ج ب دوليني

جائزة القراء ٢٠١٨

فتاة الأمس

رواية

كل ما هو لكِ
كان لها ذات يوم

مكتبة
٥٧٣

المركز الثقافي العربي

هدية

لأختي الصغيرة ..

غدا سيأتي لا محالة ..

حاملا معه كل الأماني

مكتبة 573

ج ب دوليني

فتاةُ الأمسِ

الكتاب

فتاةُ الأمسِ

تأليف

ج ب دوليني

ترجمة

مصطفى الورياغلي

الطبعة

الأولى، 2019

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-942-5

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 750507 01 ـ 352826 01

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

العنوان الأصلي للرواية:

JP Delaney

The Girl Before

© 2017 by JP Delaney

All rights reserved

نُشرت هذه الترجمة

بالتنسيق مع Ballantine Books،

دار تابعة لـ Random House

وجزء من

Penguin Random House LLC.

ج ب دوليني

مكتبة 573

فتاةُ الأمسِ

كل ما هو لكِ
كان لها ذات يوم

رواية

ترجمة: مصطفى الورياغلي

المركز الثقافي العربي

ج ب دوليني هو الاسم المستعار لكاتبٍ نشر روايات أخرى شهيرة، موقَّعة بأسماء مختلفة. **فتاة الأمس** هي أول اختراق له في مجال رواية التشويق السيكولوجية، رواية ساحرة تغوصُ بنا في أعماق الشخصيات، وتُعلِّمنا الكثير عن سيكولوجية الإنسان.

«السيد داركوود، الذي كان قديماً شديد الاهتمام بالحبِّ الرومانسي وبكلِّ ما كان يمكنُ أن يُقالَ عنه، أصبح اليوم لا يتحمّلُ هذا الموضوع بتاتاً. لماذا لا يتوقّفُ جميعُ هؤلاء العاشقين عن تكرار أنفسهم؟ ألا يتعبون أبداً من الاستماع إلى أحاديثهم؟».

إيفْ أوتنبرغ، **أوبرا الأرملة**

«مثل مدمني المخدرات، يعملُ القتلةُ المتَسلسِلون وفق سيناريو؛ يتّبعون سلوكاً تكرارياً حدَّ الهوس».

روبير د. كيبيلْ وويليام بيرنيس، **توقيعُ القَتَلة**

«إن الخاضعَ للتحليل لا **يتذكَّر** شيئاً مطلقاً ممّا هو منسيٌّ ومكبوتٌ، لكنه **يفعلُ** ذلك. إنه لا يعيد إنتاجه على شكل ذكريات بل على شكل فعلٍ، يُكَرِّرُهُ، دون أن يعرف بطبيعة الحال أنه يُكرِّرُهُ».

سيغموند فرويد، «التذكّر، التكرار، والعمل بالاستيعاب».

«شغفي بالصور التي لا تَني تتكرَّرُ، أو بِـ"Run on" في السِّينما، هو التعبير عن اقتناعي بأننا نقضي معظمَ حياتنا نرى دون أن نُلاحِظ».

آندي وارهول

1. ضعي قائمةً بجميع الأشياء التي ترينَ أنها لا يمكن الاستغناء عنها.

الأمس: إيما

مكتبة
t.me/t_pdf

– هذه شقة جميلة. قال الوكيل العقاريّ، بحماس يكاد يبدو صادقاً. جميع المرافق قريبة. ثم، هناك هذا الجزء من السطح الخاص. يمكنكما أن تحوّلاه إلى شرفة، بشرط أن يوافق المالك.

– إنها رائعة. يؤكِّد سايمن، وهو يحاول أن يتجنّب نظرتي. أما أنا، فما أن وقع بصري، عند دخولنا، على ذلك السقف الممتدِّ طوله مترَين اثنَين تحت إحدى النوافذ، حتى علمتُ أن تلك الشقة لا تلائمنا. وسايمن أيضاً يعلم ذلك، غير أنه لا يجرؤ أن يقول ذلك للوكيل، على الأقل ليس حالاً، كي لا يبدو غير مهذب. بل ربما يرجو أن أغيِّر رأيي تأثّراً بما يغمرنا به هذا الشخصُ من هراء تافه. هذا الوكيل من صنف الأفراد الذين يُقَدِّرُهم سايمن: حيوي، ووقح، وعنيد. لا بدَّ أنه يقرأ المجلة التي يعمل فيها سايمن، فقد كانا يتحدثان حول الرياضة حتى قبل أن نصعد السلَّم.

– وهنا، يضيف الوكيل، عندكما حجرة واسعة، مع...

– لا داعي، أقاطعه، واضعة حدّاً للملهاة. الشقة لا تلائمنا.

يرفع الوكيل حاجبَيه.

– لا يمكن للإنسان في هذا السوق أن يكون متشدّداً في

شروطه، يقول الوكيل. هذه الشقة ستُكترى قبل المساء. سبق أن تلقّيتُ خمس زيارات هذا اليوم، مع أننا لم نضعها بعد في موقعنا.

- ليست محميّة كفاية، أقول بلهجة قاطعة. هيّا بنا سايمن؟

- توجد أقفال في جميع النوافذ، يقول الوكيل، بالإضافة إلى كاشف الحريق فوق الباب. وإذا كانت مسألة الأمن تشكِّل لكما انشغالاً رئيساً، يمكنكما تثبيت جهاز إنذار مضاد للاختراق. وأعتقد أن المالك لن يبدي أي اعتراض.

يتوجّه بكلامه إلى سايمن، كأنني لست حاضرة. «انشغالاً رئيساً». كأنه يقول: آه، ألا تعاني صاحبتك قليلاً من البارانويا؟

- أنتظرُ في الخارج. أقول وأنا أنصرف.

يضيف الوكيل، وقد أدرك خطأه:

- إذا كنتما تعترضان على الحي، قد يكون من الأنسب أن تتوجّها في بحثكما أكثر جهة الغرب.

- فعلنا ذلك، يقول سايمن. الأثمان تفوق طاقتنا، باستثناء الشقق التي بحجم كيس شاي.

يجتهد في إخفاء إحباطه، فيزيد ذلك من غيظي.

- لديّ شقة في كوينز بارك، يقول الوكيل. أفضل قليلاً، لكن...

- زرناها، يقاطعه سايمن. وجدنا أنها شديدة القرب بعض الشيء من تلك المدينة.

تشير لهجتُهُ بوضوح إلى أن «نا» تعني «هي».

- أو إن شئتما، يقول الوكيل، حصلنا مؤخّراً على طابق ثانٍ في كيلبورن...

- ذاك أيضاً، يقول سايمن. لسوء الحظ توجد قناة هبوط بجانب إحدى النوافذ.

يبدو الوكيل حائراً.

- يمكن أن يتسلق القناةَ أحدٌ ما، يشرح سايمن

- موسم الكراء في بدايته، ربما لو تنتظران قليلاً..

من الواضح أنه قرَّر أننا نُضيّع وقته. يتوجّه بدوره نحو الباب. أخرجُ وأنتظر في الخارج، عند المدخل، كي لا يقترب مني كثيراً.

أسمع سايمن يقول:

- سبق أن قدّمنا إشعاراً بإخلاء السكن. لم يعد لدينا كبير خيار. يخفض من صوته. في الحقيقة... تعرّضنا للسرقة. اقتحم شخصان الشقة وهدّدا إيما بواسطة سكّين. تفهم الآن السبب الذي يجعلها عصبية بعض الشيء.

- آه، تبّاً، يقول الوكيل. لو أن أحداً فعل ذلك بصاحبتي لا أدري كيف سأتصرّف. اسمع... من باب الصدفة...

- نعم؟ يقول سايمن.

- هل حدّثكما شخصٌ ما في الوكالة عن شقة شارع فولغيت؟

- لا أظن ذلك. هل أُخليت مؤخراً؟

- لا، ليس تماماً.

يبدو الوكيل متردّداً في أن يتابع.

- لكن أهي متاحة؟ يلحُّ سايمن.

- تقنيّاً نعم. منتوج رائع. شديد الروعة. لا وجه للمقارنة مع هنا. غير أن المالك... القول بأنه مميّز سيكون نعتاً مخفَّفاً.

- في أي منطقة؟ يستفسِر سايمن.

- هامبستيد. هيندون، أكثر تحديداً. لكنه هادئ جدّاً.

- إيما؟ ينادي عليّ سايمن.

أعود إلى الداخل.

- لِمَ لا نذهب لنلقي نظرة؟ أقول، نحن في منتصف الطريق.

يوافق الوكيل بحركة من رأسه.

- سأمرُّ على الوكالة لأحاول العثور على الملف، يقول. في الحقيقة لم أعرضه للزيارة منذ مدة طويلة. ليس بالمكان الذي يمكن أن يُلائم أيّاً كان. لكنني أعتقد أنه يمكن أن يثير اهتمامكما.

الآن: جين

«إنه الأخير». تنقرُ الوكيلةُ العقاريةُ، المدعوّةُ كاميلا، فوق مقود سيارتها «سمارتْ». «صراحةً، آن الأوان لتتخذي قرارك».

أتنهّدُ. الشقة التي زرناها قبل قليل، والواقعة في عمارة مهترئة، قريباً من ويست إند لاين، هي الشقة الوحيدة التي تطولها ميزانيّتي. كنت قد أفلحتُ تقريباً في إقناع نفسي بأنها ستكون مناسبة -إذا ما تجاهلنا ورق طلاء الجدران المتقشِّر، ورائحة المطبخ الخفيفة الصاعدة من الشقة السفلى، والحجرةَ الضيقة، وبقعَ الرطوبة في الحمّام المحروم من التهوية- إلى أن سمعتُ صوت جرسٍ يرنُّ، وفجأة غمر صياحُ الأطفال كلَّ شيء. وعندما اقتربتُ من النافذة، وجدتُني أتأمّلُ روضة أطفال. كنت أرى مجموعة من الصغار داخل قاعة زُيِّنت نوافذُها بهيئات أرانب وإوزّ من ورق. كان الألم يُقطِّعُ أحشائي.

«لا أظن أنني سآخذها». هو ما تمكنتُ أن أتلفّظهُ.

«حقّاً؟»، كانت كاميلا تبدو مندهشة. «بسبب المدرسة؟ كان المكترون السابقون يقولون إنهم يحبّون كثيراً سماع الأطفال يلعبون في الساحة».

«لكن يبدو أن ذلك لم يحفّزهم على البقاء».

ابتعدتُ عن النافذة. «هيّا بنا؟».

تلتزمُ كاميلا بصمت استراتيجي طويل وهي تعيدني إلى الوكالة. وأخيراً، تقول:

«إذا لم تلائمك أيُّ شقة ممّا زرنا اليوم، قد يتوجّب عليك أن تعيدي النظر في ميزانيتك».

«للأسف، ميزانيتي غير قابلة للتمدُّد»، أقول بلهجة قاطعة وأنا أنظر عبر الزجاج.

«في هذه الحالة، قد ينبغي لك أن تكوني أقلَّ تشدُّداً في شروطك»، تقول لي بلهجة لاذعة.

«بخصوص هذه الشقة الأخيرة، هناك أسباب شخصية تمنعني من السكن قرب مدرسة. في الوقت الراهن».

ألمح نظرها يقع على بطني الذي لا يزال مترهِّلاً بعض الشيء من أثر الحمل، وتفتح عينَين واسعتَين وهي تدرك العلاقة: «آه». ليست كاميلا بالغباء الذي يبدو عليها، وذلك يسعدني، فأنا لن أحتاج إلى أن أحكي لها الأمر.

وفجأة يبدو أنها واتتها فكرةٌ.

«أنصتي. . . لا تزال عندي شقة أخرى. عادة، لا ينبغي لنا أن نأخذ أحداً لزيارتها دون إذنٍ مباشر من المالك، لكننا في بعض الأحيان لا نلتزم بذلك. إنها ترعبُ بعض الأشخاص، أما أنا فأجدها رائعة».

«سكنٌ رائعٌ بميزانيتي؟ أرجو ألّا يتعلق الأمر بقاربٍ؟».

«طبعاً لا. بل على العكس تماماً. بناية حديثة تقع في هندون. منزل حقيقي، بحجرة واحدة فحسب، ولكن الفضاء واسع جدّاً.

مالكُها مهندسٌ. مشهور جدّاً. هل سبق أن اشتريت ثياباً من عند وانديرير؟».

«وانديرير. . ».

في حياتي السالفة، عندما كنت أملك مالاً وعملاً حقيقياً بأجرة جيدة، كان يحدث لي أن ألج محلَّ وانديرير في بوند ستريت، متجر يرعب بشدّة ضيق فضائه، حيث تُعرَضُ فساتين قليلة فوق أحجام حجرية مثل عذارى القربان، بأثمان يترقرق منها الدمع في العينين، وحيث جميع البائعات يرتدين كيمونو أسود.

«في بعض الأحيان. لماذا؟».

«شركة مونكفورد هي التي رسمت جميع المتاجر. ذاك ما يطلق عليه «تيكنو-مينيماليزم»، أو شيء من هذا القبيل. سترين، هناك الكثير من الأدوات المخبأة تقريباً في كل مكان، لكن عدا ذلك، كل شيء عارٍ». تنظر إليّ، «يجب أن أحذركِ: بعض الأشخاص يجدون هذا الأسلوب شيئاً ما. . . متزمّتاً».

«ذاك لا يضايقني».

«و. . .».

«نعم؟» أقول، لأنها توقفت عن الكلام.

«العَقد بين المالك والمكتري ذو طبيعة خاصة»، تشرح لي بتردُّد.

«كيف ذلك؟».

«من الأحسن»، تقول وهي تضع الإشارة الضوئية لتأخذ صفَّ اليسار، «أن نذهب أولاً لزيارة البيت. وإذا ما أحببتِهِ، سأحدّثك حينئذ عن المساوئ».

الأمس: إيما

- حسنٌ، أوافق، البيت رائع. مدهش، مبهر، لا يصدّق. ليس في إمكان الكلمات أن توفيه حقّه.

كان الشارع خادعاً: صفّان من منازل كبيرة عادية، بناؤها مؤلّف من الآجر الأحمر الفيكتوري ومن النوافذ ذات المقصلة التي تشاهَدُ في كل شمال لندن، صعوداً نحو كريكلوود مثل سرب من التماثيل الصغيرة المصنوعة من ورق الجرائد، كل واحد نسخة طبق الأصل من جاره. لا يميّزها بعضها عن بعض سوى ألوان الأبواب والنوافذ الصغيرة.

وكان سياج يرتفع، في آخر الشارع، عند الزاوية. وخلفه، كنت أبصر بناية صغيرة خفيضة، مكعّب من حجر شاحب، سميك. وحدها بعض الحُزَز الزجاجية، والتي يبدو أنها أقيمت اعتباطاً من دون تخطيط، كانت تشير إلى أن الأمر يتعلق فعلاً ببيتٍ وليس بضرب من حافظة ورقٍ ضخمة.

- أواه، يتعجّب سايمن بارتياب. هل هذا هو البيت حقيقة؟

- أجل، هذا هو البيت، يجيب الوكيل العقاري بحماس. وَنْ فولغيت ستريت[1].

(1) شارع فولغيت، رقم واحد. (المترجم)

يجرّنا إلى الجانب، حيث يظهر بابٌ تقريباً لا مرئيّ في الجدار. لا أرى جرساً. بل لا أرى لا مقبضاً، ولا صندوق بريد، ولا أي لافتة، لا شيء يدلُّ على أن المكان منزل. يدفع الوكيل العقاريُّ الباب فينفتح.

- من يعيش هنا؟ أسأل.

- لا أحد حالياً.

ينزاح جانباً ليُفسح لنا الطريق.

- إذاً، لِمَ الباب ليس مقفلاً بالمفتاح؟ أقول بعصبية، دون أن أتقدّم.

يبتسم الوكيل بنوع من الاعتزاز.

- كان الباب مقفلاً. أملكُ مفتاحاً رقميّاً في هاتفي الذكي. يتحكم تطبيقٌ في كل شيء. يكفي أن أنتقل من «متاح» إلى «مشغول». ثم يصير كل شيء أوتوماتيكياً: لواقط البيت تتعرّف إلى الشيفرة وتسمح لي بالدخول. وإذا كنت أحمل سواراً رقميّاً فلن أحتاج حتى إلى هاتفي.

- أنت تسخر مني، يقول سايمن، وعيناه مثبتَتان على الباب، في اندهاش. أكاد أنفجر ضحكاً أمام ردِّ فعله. ففكرة العيش في بيت يمكن التحكم فيه بواسطة الهاتف المحمول، بالنسبة إلى سايمن المولع بالآلات، مثل أن تجمع له كل هدايا عيد الميلاد في هدية واحدة.

ألجُ ردهةً صغيرة، تكاد تكون في حجم خزانة. لا تسع اثنين معاً، لذلك ما أن يلتحق بي الوكيل حتى أستأنف التقدّم دون أن يدعوني لذلك.

وهذه المرة، أنا التي تعجّبتُ: أواه. هذا مثير حقّاً. نوافذ هائلة

مشرفة على حديقة صغيرة وسور عالٍ من الحجر تُغرقُ الداخلَ بالضوء. ليس كبيراً، بيد أنه يبدو رحيباً. الجدران والأبواب منحوتة مباشرة في حجرٍ شديدِ الصفاء. وتمنح حُزَزٌ محفورة في أسفل كل جدار الإحساسَ بأن تلك الجدران تطفو فوق الأرض. وكل شيء فارغ. هناك بعض الأثاث - أُبصِرُ طاولةً من حجر في حجرة جانبية، وكراسي جيدة التصميم، وكنبة وطيئة طويلة مغلفة بثوب سميك قشديّ اللون، لكن لا شيء غير ذلك، لا شيء يَعْلَقُ بالنظر. لا أبواب، ولا خزانات، ولا صور، ولا إطارات نوافذ، ولا مكابس كهربائية، ولا مصابيح، ولا حتى... -أنظر حولي حائرة- مجرد زرٍّ كهربائي. وإن يكن هذا البيتُ لا يبدو مهجوراً أو غير مسكون، فلا وجود لأي فوضى.

أواه، أتعجّب من جديد. يبدو لي صوتي مخنوقاً بصورة غريبة. ألاحظ حينئذ أنني لا أسمع أيَّ صوت قادم من الخارج. اختفى تماماً ضجيج العمق الحاضر دوماً في لندن، ذاك الخليط من أصوات حركة النقل، والأعمال، وأبواق السيارات.

- أجل، هي الكلمة ذاتها التي يستعملها الناس في الغالب، يلاحظ الوكيل العقاري. آسف للعب دور المزعج، ولكن المالك يلحُّ في أن نخلع أحذيتنا. إذاً، إذا تفضلتما..

ينحني ليفكّ خيوط حذائه الرياضي الفاقع. نحذو حذوه. ثم يتقدم، بجاربَيه، وقد استبدّ به ذهولٌ لا يقل عن ذهولنا، كأن فراغ هذا البيت، وعريه، وتجرّده قد امتصّ كلَّ ثرثرته.

الآن: جين

«هذا جميل»، أقول. المنزل، في داخله، مصفّى ومكتملٌ مثل رواق معرض فني. «ليس هناك كلمة أخرى».

«أليس كذلك؟» تؤكِّد كاميلا. تلوي عنقها لتنظر إلى الجدران العارية، المصنوعة من حجر بلون القشدة، لا بدَّ أنها باهظة الثمن، والتي ترتفع نحو الفراغ تحت السقف. نصل إلى الطابق العلوي بواسطة سُلَّمٍ، لم أرَ في حياتي أقلَّ حجماً منه. يبدو كأنه منحوتٌ في جدارِ جُرفٍ: درجات من حجر خالص، تطفو في الفراغ، من دون درابزين ولا أعمدة ظاهرة. «كلما دخلتُ هذا المكان، يستبدُّ بي الانبهار. في المرة الأخيرة، كنت رفقة مجموعة من طلبة الهندسة. وهذا أحد الشروط المفروضة من لدن المالك: يتوجّب عليك استقبال زوّارٍ كل ستة شهور. اطمئنّي، هم دائماً أناس جدّ محترمين. ليس الأمر كما لو كنت تملكين مسكناً تاريخيّاً، يغزوه سيّاحٌ يلقون بعلكاتهم فوق سجّادك».

«من يسكن هنا؟».

«لا أحد. البيت غير مسكون منذ ما يقارب العام».

ألقي نظرة على الحُجرة المحاذية، إذا أمكن استعمال كلمة

«حجرة» للإشارة إلى فضاء فارغ ليس به مدخل باب، ولا حتى باب. فوق مائدة حجرية طويلة وُضعت مزهرية بها زَنابق حمراء بلون الدم تُشكِّلُ بقعة ملوّنة صادمة فوق كل هذا الحجر الشاحب. «في هذه الحالة، من أين تأتي هذه الورود؟» أدنو من المائدة لألمسها. لا أثر لغبار. «ومن يقوم بأشغال البيت؟».

«أشخاص تُشغِّلُهم شركة متخصصة يحضرون مرة في الأسبوع. هذا أحد الشروط: يجب الاحتفاظ بهم. يهتمّون أيضاً بالحديقة».

أتقدّم نحو النافذة التي تنزل إلى حدود الأرضية. هنا أيضاً، كلمة **حديقة** تبدو غير مناسبة. فضاء مغلق من حوالي سبعة أمتار على خمسة، مبلَّطٌ بنفس حجر أرضية البيت. ويستند إلى جدار العمق، مستطيلٌ صغير من العشب، مرسوم بدقّة مُربِكة، ومشذَّب مثل عشب ملعب الغولف. لا وجود لورود. في الحقيقة، باستثناء بقعة العشب الصغيرة هذه، لا وجود لشيء حيٍّ في هذه الحديقة، ولا لأيِّ لون. وتشكِّل دوائرُ من الحجارة الرمادية الميزةَ الأخرى الوحيدة.

وعندما ألتفتُ إلى الداخل، أقول لنفسي إن هذا المكان لا يحتاج سوى إلى قليل من الألوان والرقّة. سجاداتٌ، ولمساتُ حضور إنساني، وسيصبح الأمر رائعاً، مثل بيت في مجلة ديكور. لأول مرة منذ أمد طويل، أشعر بدبيب الإثارة. أيبتسم لي الحظُّ أخيراً؟

«تبدو لي شروطاً مقبولة»، أقول. «هذا كل ما في الأمر؟».

تُوجّه إليّ كاميلا ابتسامة مترددة. «عندما أقول **أحد** الشروط، أقصد أحد أبسط الشروط. هل تعلمين ما معنى فقرة شرطية؟».

أنفي بحركة من رأسي.

«إنها شرط قانوني واقع بصورة دائمة على ملكية. لا يمكن

حذفه، حتى إن بيع البيتُ. يتعلق الأمر، عموماً، بحقوق الاستعمال: «هل يمكن للسكن أن يُستغَلَّ محلاً تجارياً؟» على سبيل المثال. في حالة هذا البيت، الشروطُ جزءٌ من العقد، ولكن بما أنها فقرات شرطية، لا يمكن لا التفاوض بشأنها ولا تغييرها. إنه عَقد مُلزِمٌ بشكل كبير».

«عمَّ نتكلم بالضبط؟».

«بإيجاز، يتعلق الأمر بقائمة الأشياء التي يجب القيام بها أو عدم القيام بها. وخصوصاً ما يجب عدم القيام به. لا يمكن إجراء أي تغيير بأي شكل من الأشكال من دون اتفاق مسبق. لا سجّاد ولا بساط. لا صور. لا نبتات في أُصُص. لا تُحف. لا كُتُب...».

«لا كُتُب؟ أمر سخيف!».

«ممنوع غرس أي شيء في الحديقة. لا سُتُر...».

«وكيف نحتمي من الضوء من دون سُتُر؟».

«النوافذ ذات حساسية ضوئية. تُظلمُ بإظلام السماء».

«لا سُتُر، إذاً. أمرٌ آخر؟».

«آه، أجل»، تقول كاميلا متجاهلة لهجتي الساخرة. «هناك مئتا فقرة في المجموع. لكن الفقرة الأخيرة هي التي تطرح مشكلاً».

الأمس: إيما

- . . . غير مسموح بإضاءات أخرى غير تلك الموجودة من قبل، يعلن الوكيل العقاري. لا حبل غسيل. لا سلة مهملات. التدخين ممنوع. لا محامل كؤوس، ولا غطاء مائدة. لا وسائد، ولا تحف، ولا أثاث مُعَدّ للتجميع. . .

- هذا جنون، يقول سايمن. بأيِّ حقّ؟

تطلّبَ منه الأمرُ أسابيع ليتمكن من تركيب قطع أثاث ايكيا في شقتنا الحالية؛ والنتيجة أنه ينظر إليها بفخر كأنه صنعها بنفسه بعد قطعها من جذع شجرة.

- لقد سبق أن قلت لكما إنها حالة خاصة، يجيب الوكيل العقاري وهو يهزُّ كتفيه.

أرفع عينَي نحو السقف. وأستفسر:

- والأضواء، كيف نشعلها؟

- ليس هناك ما تفعلانه، يشرحُ لنا. توجد لواقط حركة تعمل بالموجات فوق صوتية. وهي مرتبطة بمِكشاف يقوم بتكييف الإضاءة وفق كمية الضوء الوارد من الخارج. إنها التقنية نفسها التي تشعل أضواء سيارتك في الليل. ثم، تختارين الأجواء التي ترغبين فيها

انطلاقاً من التطبيق. عملية، أو مريحة، أو بهيجة... إلخ. بل تضيف أشعة فوق بنفسجية في الشتاء لمقاومة الاكتئاب. أسلوب العلاج الضوئي، كما يُقال.

يشتدُّ إعجاب سايمن إلى درجة أن منع القيام بتركيب الأثاث، المفروض من لدن المهندس، لم يعد فجأة مشكلاً بالنسبة إليه.

- التدفئة تمرُّ عبر الأرضية، بالطبع، يستأنف الوكيل العقاري، الذي يشعر أن الأمور تسير وفق هواه. تصدر الحرارة عن مضخّة موجودة أسفل البيت. وكل هذه النوافذ مجهّزة بحماية زجاجية ثلاثية. في الواقع، هذا البيت مصمَّمٌ بطريقة فائقة بحيث يبيع الكهرباءَ للشبكة الوطنية. لن تؤدّيا بعد الآن فواتير الوقود.

يكاد يصير الموقف فاحشاً بالنسبة إلى سايمن الذي صار يسبح وسط رغباته.

- والأمن؟ أسألُ بحزم.

- كل شيء موصول بالنظام ذاته، يجيب الوكيل العقاري. لا تريانه، ولكن يوجد إنذار ضدّ الاقتحام فوق الجدار الخارجي. وكل حجرة مجهّزة بلواقط، مثل تلك التي تتحكم في الإضاءة. إنه مصمّم بذكاء: يتعلّم النظامُ التعرّفَ إليكما ومعرفة عاداتكما، ولكن إذا التقط شخصاً غريباً، سيطلب منكما أن تسمحا بوجوده.

- إيما! يخاطبني سايمن. يجب أن تشاهدي هذا المطبخ.

أنتقل إلى الفضاء المحاذي، حيث توجد المائدة الحجرية. في البداية، لا أرى كيف أدركَ أنه مطبخ. تمتدُّ منضدة، حجرية أيضاً، على طول أحد الجدران. وأظنني أتعرّف في أحد الأطراف إلى صنبور ماء: أنبوب من فولاذ رقيق يتجاوز الحجر. ويشير تجويفٌ خفيفٌ أسفله إلى أن الأمر يمكن أن يتعلق بحوض. وفي الطرف

الآخر من المنضدة تصطفّ أربعة ثقوب صغيرة. يُمرِّرُ الوكيل العقاري يده فوق واحد منها. وفي الحال تنبعث شعلة نار مُحدِثَةً صفيراً.

- ها هو المطبخ! يقول بإعجاب. بل إن المهندس يُفضِّلُ عبارة «غرفة طعام» على كلمة مطبخ. يبتسم ليبيِّن أنه يعي جيداً غباء الفكرة.

وعندما أتفحّص الأمرَ عن قرب، ألاحظ أن بعض صفائح الجدران تفصل بينها أخاديد رقيقة. أضغط على إحداها فينفتح السطح الحجريُّ، مصدراً أنيناً مطاطياً. يخفي خزانة صغيرة.

- سأريكما الطابق العلوي، يعلن الوكيل العقاري.

يتشكّل السلَّم من سلسلة بلاطات حجرية مدغمة في الجدار، من دون أي حماية.

- خطير جدّاً بالنسبة إلى الأطفال بالطبع، يحذّرنا وهو يتقدم أمامنا. انتبها حيث تضعان أقدامكما.

- مهلاً، دعني أخمِّنُ، يقول سايمن. الدرابزين والحواجز ممنوعة بدورها؟

- مثلها مثل الحيوانات المنزلية، يضيف الوكيل.

لا تَقِلُّ الحجرةُ عرياً عن بقية البيت. السرير مدغم داخل قاعدة حجرية شاحبة ومزوّد بفراش من موديل «فوتون». والحمّام ليس معزولاً، بل يختفي نصفه خلف حاجز فحسب. وبينما يكتسي فراغ الطابق السفلي نوعاً من جوّ المسرح والعيادة، هنا، يمنح انطباعاً بهدوء، يكاد يكون دافئاً.

- كأننا أمام زنزانة سجن من أجل شخصيات مهمة، يعلِّقُ سايمن.

- مثلما كنتُ أقول لكما، إنه لا يُعجِبُ الجميعَ، يجيب الوكيل. لكن بالنسبة إلى الشخص المناسب. .

يضغط سايمن على الجدار قرب السرير فتتحرك صفيحة أخرى، فتظهر خزانة. لا تتسع سوى لدزينة من البدلات.

- أحد الشروط دقيق: ممنوعٌ تركُ أيّ شيء كان مرمياً فوق الأرض، في أي لحظة، يضيف الوكيل العقاري.

يعقد سايمن حاجبيه.

- من سيعلم بذلك؟

- يفترضُ عَقدُ الكراء الخضوع لعمليات تفتيش منتظمة. فإذا لم تُحترم قاعدة من القواعد، يتوجّب على شركة النظافة أن تُخبر الوكالة بذلك.

- هذا غير مقبول، يقول سايمن. سأشعر كأني أعود إلى المدرسة. أرفض أن أسمح بالتعرّض للتوبيخ لأني تركتُ قميصاً متسخاً مرمياً فوق الأرض.

أنتبه إلى أمر: لم أقم بأي تذكر أو استرجاع، ولم أتعرض لأي نوبة فزع منذ أن ولجتُ هذا البيت. إنه مقطوع عن العالم الخارجي، وشديد الحماية، لدرجة أني أشعر بأمان كامل. ويحضر في ذهني جزءٌ من حوار واردٍ في أحد أفلامي الأثيرة. **الهدوء والجلال اللذان يسودان فيه. هنا، لا يمكن أن يصيبك أيُّ شرّ.**

- أجد هذا رائعاً، صراحة، يستأنف سايمن. ولولا وجود كل هذه القواعد، لكان الأمر بالتأكيد مناسباً لنا. لكننا من الصنف الفوضوي. في حجرتنا، جهة إيما مثل فيلم French Connection بعد انفجار القنبلة.

- في هذه الحالة. . . يقول الوكيل وهو يهزُّ رأسه.

– أنا، يعجبني. أقول باندفاع.

– حقّاً؟ يندهش سايمن.

– ليس مألوفاً، ولكن... يبدو الأمر منطقياً، أليس كذلك؟ عندما تبني بيتاً مثل هذا، بيتاً لا يُصدَّق، أتفهَّمُ أن ترغب في أن يعيش الناسُ فيه بشكل لائق، وفق الروح التي تصوّرتَهُ بها. وإلّا، فما الفائدة؟ أجد البيت رائعاً. لم يسبق لي أن رأيتُ ما يشبه هذا، ولو في المجلات. يمكننا أن نكون منظَّمين، أليس كذلك، إذا كان هذا هو الثمن الذي يجب دفعه للعيش في مثل هذا المكان؟

– آه... ممتاز، يقول سايمن بتردُّد.

– يعجبك أنت أيضاً؟

– إذا أعجبكِ، فأنا أهواه.

– لا، بصراحة؟ سيكون تغييراً جسيماً. لا أريد أن نُقبِلَ عليه إذا لم تكن ترغب في ذلك حقيقة.

يراقبنا الوكيل العقاري، مستغرباً التحوّل الذي آلَ إليه نقاشُنا. غير أن الأمور بيننا تسير دوماً على هذا النحو. عندي فكرة في ذهني، ويفكّر سايمن، ثم ينتهي إلى أن يوافق ويقول نعم.

– أنتِ محقّةٌ إيما، يقول. هذا أفضل ألف مرة ممّا يمكن أن نعثر عليه. وإذا كنا نريد أن نصنع بداية جديدة... من الأحسن أن نقوم بذلك بفخامة، خير من شقة صغيرة عادية ذات حجرتين، أليس كذلك؟

يلتفتُ إلى الوكيل العقاري:

– كيف ستسير الأمور الآن إذاً؟

– آه، يقول الوكيل. هذا هو الجزء الحسّاس.

الآن: جين

«يقتضي الشرطُ الأخير أن. . . ماذا؟».

«على الرغم من جميع الإكراهات، ستندهشين لعدد الأشخاص المستعدّين للالتزام بقواعد اللعبة. الحاجز الأخير هو حقّ الفيتو المُخَوَّل للمهندس شخصياً. في الواقع، يجب أن يوافق على المكتري».

«شخصياً، تريد أن تقول؟».

تهزُّ كاميلا رأسها. «إن بلغتِ تلك المرحلة. قبل ذلك، يجب ملء استمارة طويلة. وبطبيعة الحال يجب أن توقِّعي وثيقة تؤكد أنكِ قرأتِ القواعدَ وفهمتها. إذا ما تجاوزتِ هذه المرحلة، ستُستدعين إلى حوار رأساً إلى رأس مع المهندس، أينما يكن موجوداً في العالم. في السنوات الأخيرة، كان في اليابان، لأنه كان يبني ناطحة سحاب في طوكيو. لكنه بعد ذلك عاد إلى لندن. مع أنه في غالب الأحيان لا يجد وقتاً لإجراء مقابلة: يرسل إلينا بريداً إلكترونياً ليُعلِمنا أن الطلب قد رُفِض. دون أن يُقدّم تفسيرات».

«أي صنف من الأشخاص يقبلُ؟».

تهزُّ كاميلا كتفيها. «حتى نحن، في الوكالة، لم نستخلص صنفاً

محدداً. طلبة الهندسة مقصيون بداهة. وليس من الضروري أن يكون المرء قد عاش في مكان شبيه بهذا. بل إني قد أرى في ذلك عائقاً. أما باستثناء هذا، لا أعلم شيئاً أكثر منك».

أنظر حولي. لو بنيتُ هذا البيت، أيُّ صنف من الأشخاص سأنتقيه ليعيش فيه؟ بأيّ معايير سأقوِّمُ طلباً صادراً عن مكترٍ محتمَل؟

«الأمانة»، أقول.

«عفواً؟»، تقول كاميلا وهي تنظر إليّ باندهاش.

«ما يثيرني في هذا البيت ليس قيمته الجمالية، بل العناية التي صُمِّمَ بها. تبدو عناية لا تقبل أي تنازل، بل قد تكون عنيفة في بعض مظاهرها. فهذا شخص قد وضع كلَّ ما لديه، كلَّ مثقال من هوايته، ليخلق شيئاً يناسب مئة في المئة ما يرغب فيه. هذا البيت يملك... إنها كلمة رنّانة، لكنه يملك **استقامة**. وأعتقد أن هذا الرجل يبحث عن أشخاص مستعدّين للعيش هنا بالاستقامة ذاتها».

«أجل، قد تكونين على حقّ»، تقول كاميلا (لهجتها تفضح ارتيابها). «إذاً، تريدين أن تُجرِّبي الأمر؟».

أنا إنسانة حذرة بطبعي. نادراً ما أتخذُ قرارات دون أن أُنضِجها: أعيد النظر في جميع الخيارات، وأقوِّمُ العواقب، وأقارن بين الإيجابيات والسلبيات. ومن ثمَّ أتفاجأ قليلاً وأنا أسمعني أجيبُ: «أجل. بكل تأكيد».

«طيب». لا تبدو كاميلا مندهشة: من ذا الذي لن يرغب في العيش في بيت مماثل؟ «هيّا معي إلى الوكالة، سأجدُ لك استمارة».

الأمس: إيما

1. ضعي قائمةً بجميع الأشياء التي ترينَ أنها لا يمكن الاستغناء عنها.

آخذُ قلمي، ثم أضعه. أن أضعَ قائمةً بجميع الأشياء التي أرغبُ في الاحتفاظ بها سيستغرق الليلة بكاملها. أتابعُ التفكير، وفجأة، تبدو عبارة «**لا يمكن الاستغناء عنها**» كأنها تنفصل عن الورقة لتطفو نحوي. ما هو الضروري حقيقة؟ ثيابي؟ منذ حادث السرقة لا أرتدي تقريباً سوى سروالي الجينز وقميصٍ قديم مشوّه. أحبُّ أن آخذ معي، طبعاً، بعضاً من فساتيني وتنانيري، وسترتين أو ثلاثاً، وأحذيتي، ولكن الباقي لن أحتاجه حقيقة. صُوَرُنا؟ كلّها مخزَّنة في الشبكة. والقليل من الحلي التي كانت لها بعض القيمة أخذها اللصوص. أثاثُنا؟ ليس بينه قطعة واحدة لن تبدو عديمة الذوق وغير ملائمة داخل ديكور وَنْ فولغيت ستريت.

أُدركُ أن السؤال طُرح عمداً بهذه الصيغة. لو قيل لي أن أضع لائحة بالأشياء التي يمكنني أن أستغني عنها، ما كنتُ لأنتهي من ذلك أبداً. لكن، عندما يوحي لي السؤالُ بأن لا شيء من كل ذلك

ذو أهمية حقيقية، أتفاجأ بتساؤلي إن لم يكن باستطاعتي أن أتخلّص من كل ما أملك، من كل حاجياتي، مثلما يُهجَرُ جلدٌ قديم.

ربما هذا هو الهدف الحقيقي **للقواعد**، كما سمّيناها، أنا وسايمن. قد لا يكون ذلك المهندسُ مجرّد مهووس يريد أن يُدير كلَّ شيء في بيته الجميل. ربما يتعلق الأمرُ بتجربة ما. تجربة حياة.

وفي هذه الحالة، سنكون أنا وسايمن حيوانَي تجاربه. في الحقيقة، لا أعبأ بذلك. **أرغبُ في** تغيير ما أنا -ما نحن- عليه، وأعلم أني لن أستطيع ذلك من دون مساعدة.

خصوصاً ما **نحن**.

أنا وسايمن، نحن معاً منذ زواج سُول وأماندا، منذ أربعة عشر شهراً. التقيتُ بهما كليهما في العمل، غير أنهما أكبر مني سنّاً بعض الشيء، ولم أكن أعرف كثيراً من الناس غيرهما في ذلك اليوم. كان سايمن شاهدَ سُول في الزواج، وكان الحفلُ جميلاً ورومانسياً، ونشب الودُّ بيننا سريعاً. بعد أن شربنا وتحدّثنا، أخذنا نرقص السْلُو وتبادلنا رقمَي هاتفينا. وبعد ذلك، في وقت متأخّر من المساء، اكتشفنا أننا نقطن الفندقَ نفسه، وأمرٌ يقودُ إلى آخر. . . في اليوم الموالي، قلتُ لنفسي: **ما الذي فعلته؟** كان واضحاً أن الأمر لا يتعلق سوى بمغامرة مسائية عابرة، واحدة أخرى، إثر نزوة؛ لن أرى ذلك الشخص مرة أخرى أبداً، وسأجدُ أني تافهة؛ سيتشكّلُ لديّ انطباعٌ بأني قد وقع استغلالي. وفي الحقيقة، حدث العكس تماماً. كلَّمني سايمن في الهاتف ما أن وصل إلى بيته، ثم في الغد، وفي نهاية الأسبوع، كنا قد صرنا حبيبَين، أمام اندهاش أصدقائنا. أصدقاؤه على الخصوص. يعمل في محيط جدّ ذكوريّ، وكحوليّ، حيث يكاد يُعتبر التزامُ المرء بحبيبة دائمة ضرباً من النقص. فالفتيات،

في ذلك الصنف من المجلات التي يكتبُ من أجلها، هنّ إما «مَدافع» وإما «جميلات». نجدُ، صفحة بعد صفحة، صورَ عارضات أزياء شبه عاريات، على الرغم من أن تلك المجلة تهتمّ خصوصاً بالوسائل التكنولوجية. إذا كان الأمر يتعلق بالهواتف النقالة، على سبيل المثال، ستجد فتاة متفاوتة العري تلوِّحُ بآخر طراز. وإذا تعلّق الأمر بالحاسوب، ستحمل نظارات وترقن فوق لوحة المفاتيح، وهي نصف عارية. وإذا كان المقال يهتمّ بالملابس الداخلية، فإنها في الغالب ستمسكها بين يديها، كأنها خلعتها للتو. وعندما تُنظّم المجلةُ أمسيةً، تصلُ عارضاتُ الأزياء وهنّ يرتدين «هندامَ العمل»، ثم تُعرَضُ صورُ الأمسية فوق صفحات المجلة. لست من ذلك الصنف، وقد أَسَرَّ لي سايمن، منذ البداية، أن أحد دوافع إعجابه بي، أني لا أشبه تلك الفتيات، وكان يقول إني «أصيلة».

إن اللقاء في حفل زفاف يُسرِّعُ الخطوات الأولى في الارتباط. اقترح عليّ سايمن أن أنتقل للعيش معه ولم يكن قد مضى على ارتباطنا سوى أسابيع قليلة. وأدهش ذلك الجميعَ: جرت العادة أن تكون الفتاة من تُلِحُّ على الرجل، لأنها تريد أن تتزوج أو أن تمرَّ إلى المرحلة الموالية فحسب. لكننا دائماً قمنا بالأمور عكسياً. ربما لأن سايمن يكبرني بعض الشيء. كان يقول دائماً إنه يومَ رآني، أدركَ أني المرأة التي ينتظر. وهذا ما كان يعجبني فيه: كان يعرف ما يريد. يريدني أنا. بيد أني لم أتساءل أبداً حقيقةً إن كان ذاك ما كنتُ أريده أنا كذلك؛ هل كان يُمثِّلُ بالنسبة إليَّ ما كان واضحاً أنني أمثِّلُهُ بالنسبة إليه؟ مؤخّراً، بعد تعرّضنا للسطو وقرارنا أن نترك شقته القديمة لنبحث معاً عن مسكن جديد، بدأتُ أُدركُ أن الأوان قد آن بالنسبة إليّ كي أقوم باختيار، فالحياة أقصر من أن نهدرها بسبب علاقة عرجاء.

بلى، هذا هو الحاصل.

أواصلُ التفكير في كل هذا، وأنا أمضغُ بعناية طرفَ قلمي إلى أن ينكسر بين أضراسي، فيملأ فمي بقطع صغيرة من البلاستيك. إنها عادة سيّئة ابتُليتُ بها، مثلها مثل عادة قضم أظافري. وهذا ربما أحد الأمور التي لن أستمر في القيام بها في وَن فولغيت ستريت. فذلك البيت قد يجعلُ مني شخصية أفضل. قد يُضفي طعمَ النظام والانضباط على فوضى وجودي. سأصيرُ شخصاً يحدِّد لنفسه أهدافاً، ويضع لوائح، ويستمرّ في الأمور إلى آخرها.

أعود لأركز اهتمامي في الاستمارة. قررتُ أن أختزل اللائحة ما أمكنني الاختزال، لأبرهن أني قد فهمتُ، وأني على تناغم مع مشروع المهندس.

وفجأة، أُدركُ ما هو الجواب الصحيح.

أتركُ الخانةَ فارغة تماماً، في مثل فراغ داخلِ بيت شارع فولغيت واكتماله.

عندما أمُدُّ الاستمارة إلى سايمن، أشرح له ما صنعتُهُ، فيبادرني قائلاً: وحاجاتي إيما؟ ومجموعتي؟

«المجموعة» هي عدد من الأشياء غير المتجانسة من ذكريات وكالة ناسَا الفضائية التي يراكمها بعناية منذ سنوات، وأغلبها في صناديق ورقية مصفوفة تحت السرير. أقترحُ عليه أنه بإمكاننا أن نضعها في مخزن أثاث، وأنا موزّعة من جهة بين الرغبة في الابتسام لأننا بصدد النقاش حول ما إذا كانت مجموعة من التفاهات المقتناة من موقع إيباي ومُوَقَّعَة من لدن بز ألدرين أو جاك شميت ستمنعنا من أن نعيش داخل ذلك المسكن الرائع، ومن جهة أخرى بين الاستنكار

وأنا أكتشف أن سايمن قادر على أن يمنح الأسبقية لرجال فضائه عليّ أنا، بعد الذي حصل لي.

- كنتَ دائماً تقول إنك تريد أن تمنحهم مسكناً حقيقياً، أقول له.

- لم أكن أفكر في صندوق عند شركة كيوبسمارتْ، عزيزتي.

فأردُّ عليه: ليست سوى أشياء، سايمن. والأشياء لا تهمّ، أليس كذلك؟

أشعر بشجار جديد ينمو بيننا، الغضب المعتاد يصعد إلى السطح وهو يغلي. **مرة أخرى، أرغبُ في أن أصيح، توهمني أنّكَ ستفعل شيئاً ما، ومرة أخرى، عندما يحلُّ الأوانُ، تحاولُ أن تتملَّصَ.**

لا أقول ذلك طبعاً. هذا الغضبُ لا يُشبهني.

تؤكِّد كارول، المعالجةُ النفسية التي أذهب لرؤيتها منذ حادثة السطو، أن الغضب علامة جيدة. ذاك يعني أني لم أنهزم، أو شيئاً من هذا القبيل. لا ينصبُّ غضبي، للأسف، إلّا على سايمن. لكن هذا الأمر بدوره يبدو أنه عادي. الأشخاص الأقرب هم الأكثر تعرّضاً.

- طيب، طيب، يقول سايمن. ستذهب المجموعة إلى مخزن أثاث. لكن ربما هناك أشياء أخرى..

أستشعر حاجتي الغريبة إلى حماية الحيّز الفارغ الرائع في إجابتي.

- لنقذف بكل شيء، أقول متضايقة. لنبدأ من الصفر. لنقل إننا نسافر في عطلة وإن شركة الطيران تفرض رسوماً على الحقائب، اتفقنا؟

- اتفقنا، يقول.

غير أني أحسُّ أنه لا يقول ذلك إلا ليُجَنِّبني الغضب. يتجه نحو

الحوض ويشرع في غسل الفناجين والصحون، المتسخة والمتراكمة، بعناية. يعتقد أنني لن أقدر على ذلك، أعلم أني لستُ منضبطة كما ينبغي لأعيش في محيط شديد النظافة. يقول دائماً إني أجلبُ الفوضى. وأتجاوز الحدود. لكنني، إنما أريد أن أقوم بذلك لهذا السبب. أريد أن أبتكر نفسي من جديد. وعندما أُدركُ أنّ عليّ القيام بذلك رفقة شخصٍ يظنُّ أنه يعرفني ويعتقد أني لستُ كفئاً لذلك، يصيبني الأمرُ بالجنون.

- أشعر أني سأتمكّنُ من الكتابة هناك، أقول. المكان هادئ تماماً. أنت تشجّعني على تأليف كتابي منذ شهور.

يغمغمُ بارتياب. فأستأنفُ اقتراحي: أو قد أُنشئُ مُدوَّنة.

أتأمّلُ هذه الفكرة، أفحصها من جميع الزوايا. مدوَّنَةٌ، سيكون الأمر رائقاً. يمكنني أن أسميها: **المينيماليست. رحلتي إلى بلاد المينيماليزم.** أو شيئاً أكثر بساطة: **ميسْ ميني.**

أشعر بالانفعال يغمرني. أفكّر في عدد المتابعين الذين يمكن أن تجذبهم مدوّنة حول التقليلية. قد أجذب المعلنين، وسأتخلى عندئذ عن عملي، وسأصنع منها مجلة شهيرة عن أسلوب الحياة. إيما ماتيوس، أميرة الأقل.

- هذا يعني أنكِ ستُغلقين المدوَّنتين الأخريين اللتين خلقتُهما من أجلكِ؟ يسأل سايمن، وأمتعضُ أمام تعريضه هذا بكوني لا أهتمُّ بهما بجدية. أكيد أن مدونة London Girlfriend لا تملك سوى أربعة وثمانين متابعاً، ولا تملك Chick Lit Chick سوى ثمانية عشر، لكنني لم أجد أبداً الوقت الكافي لإمدادهما بالمواد.

أعودُ إلى الاستمارة. سؤالٌ واحدٌ فحسب وها نحن نتشاجر. يتبقى أربعة وثلاثون.

الآن: جين

أتصفّحُ مطبوعَ الاستمارة. بعض الأسئلة غريبٌ حقّاً. أتفهّمُ أن تُسألَ عن الأشياء الشخصية التي ترغبُ في استصحابها معك وعن المعدّات التي قد ترغب في تغييرها. لكن لماذا:

23. هل أنتِ على استعداد للتضحية بنفسك من أجل إنقاذ عشرة غرباء أبرياء؟

24. عشرة آلاف غريب؟

25. أمام أشخاص بدينين، تشعرين: أ) بالحزن ب) بالتضايق؟

ألاحظ أني لم أخطئ عندما استعملتُ كلمة **استقامة**. تشكِّلُ هذه الأسئلة نوعاً من اختبار القياس النفسي. غير أن **الاستقامة** ليست كلمة يُكثِرُ استعمالَها الوكلاءُ العقاريون. ومن ثمَّ تنشأ حيرةُ كاميلا.

قبل أن أعبِّئ الاستمارة، أرقنُ في شريط بحث غوغل «شركة مونكفورد». يبرزُ موقعُهم على الشبكة في أول إحالة. أنقرُ فيظهر جدارٌ عار. هو جدار جميل جدّاً، من حجر ذي لون شاحب، وبنيانٍ بهيج، لكن قليل الإفادة.

أنقرُ من جديد فتبرزُ كلمتان:

إنجازات

اتصال

عندما أختار «إنجازات»، تبرزُ لائحة:

ناطحة سحاب، طوكيو
عمارة مونكفورد، لندن
مبنى جامعي وانديرير، سياتل
منزل ساحل البحر، مينوركا
كنيسة، بروج
البيت الأسود، إينفيرنيس
وَنْ فولغيت ستريت، لندن

ويسمحُ النقرُ على كل اسم من تلك الأسماء باكتشاف صور تلك البنايات، من دون أي تعليق. كلّها غاية في المينيماليزم. وأُنجِزت بنفس العناية بالتفاصيل، وبالمواد نفسها ذات الجودة العالية، مثلما هو الأمر في وَن فولغيت ستريت. لا وجود لأيِّ شخص في تلك الصور، بل ليس بها أي عنصر يمكن أن يشير إلى حضور إنساني. الكنيسة وبيت ساحل البحر يمكن استبدال أحدهما بالآخر: مكعبات ضخمة من حجر شاحب وزجاج صقيل. لا يختلفان سوى في المنظر خلف النوافذ.

أذهبُ إلى ويكيبيديا.

إدوارد مونكفورد، ولد عام 1980، هو تقني–مهندس يرتبط بالجمالية المينيماليزمية. أسَّسَ سنة 2005، رفقة الأخصائي في التكنولوجيات الجديدة ديفيد تييل واثنين آخرين، **شركة مونكفورد**. وقاموا جماعةً بالتجديد في مجال التشغيل الآلي للبيوت، والبيئات المنزلية الذكية، والتي بفضلها يصير بيتٌ أو عمارةٌ نظاماً مُدمَجاً خالياً من كل عنصر زائد.

والأمر غير المعتاد أن **شركة مونكفورد** لا تقبل سوى طلب واحد كل مرة. وإلى اليوم لا يزال إنتاجهم مُقَلَّصاً بشكل مقصود. وهم يشتغلون الآن في مشروعهم الأكثر طموحاً: **نيو أوستل**، مدينة إيكولوجية تتشكَّلُ من 10000 مسكن في نورث كورنوول.

أستعرضُ سريعاً لائحةَ جوائزهم. تَنعتُ مجلةُ *The Architectural Review* مونكفورد بـ«العبقرية غير المتوقَّعَة»، وتصفه مجلة *Smithsonian* بـ«المهندس المعماري البريطاني الأكثر تأثيراً. . . رائدٌ صموتٌ، صاحبُ عملٍ شديد التحفّظ والعمق».

أنتقلُ إلى فقرة «حياة خاصة».

في سنة 2006، وكان حينئذ مونكفورد لا يزال مغموراً، تزوّج من إليزابيث مانكاري، عضو **شركة مونكفورد**. رُزقا بولدٍ، ماكس، سنة 2007. الأمُّ والابنُ قُتِلا في حادث أثناء بناء بيت وَنْ فولغيت ستريت (2008–2011)، وهو البيت الذي كان يُفتَرَضُ أن يصبح بيتهم ويكون مرآةً لمواهب الشركة الناشئة. بعض المعلّقين[مَن؟] أشاروا إلى تلك المأساة، وما

تلاها من إقامة طويلة منعزلة لمونكفورد في اليابان، مصدر الأسلوب المينيمالي والمتقشّف الذي صنع شهرةَ الشركة.

وعندما عاد مونكفورد من عطلته الطويلة، تخلّى عن تصميمات وَنْ فولغيت ستريت الأصلية، والذي كان لا يزال مجرّد ورشة، ليعيد رسم ذلك البيت بالكامل. وقد حصل البيت في شكله الجديد على جوائز رفيعة، من بينها **جائزة ستيرلينغ** الممنوحة من لدن **المعهد الملكي للمهندسين البريطانيين**.

أعيدُ قراءة هذا المقطع. إذاً، بدأ تاريخُ هذا البيت بوفاة. بل بوفاتَين: حِدادٌ مزدوج. هل هذا هو السبب الذي جعلني أشعر به أني في بيتي؟ أيوجد نوعٌ من التناغم بين تلك الفضاءات المتقشفة وبين إحساسي بالفقد؟

وأنظر، برَدِّ فعلٍ، إلى الحقيبة الموضوعة قرب النافذة. حقيبة مملوءة بثياب رضيع.

رضيعي مات. مات رضيعي، وبعد ثلاثة أيام، وُلِد. ولا أزال إلى اليوم أجدُ أنّ هذا الانقلاب في نظام الأشياء أشدُّ إيلاماً من كلِّ ما عداه.

كان الدكتور غيفورد، المتخصّص في التوليد، وعلى الرغم من أنه لا يكبرني إلّا قليلاً، هو من نظر إليّ مباشرة في عينَي ليشرح لي أن الرضيع ينبغي أن يولد من طريق طبيعي. كان من قواعد المستشفى ألّا يقترح طريقةَ العملية القيصرية في حالة موت الجنين قبيل الولادة، بسبب أخطار التعفّن وتعقيدات أخرى، بالإضافة إلى كون القيصرية عملية جراحية كبرى. **اقتراح** - تلك هي الكلمة التي

كانوا يستعملونها، كأن وضعَ رضيع بواسطة عملية قيصرية، ولو أنه ميّت، هو هدية من نوع ما، سلة فواكه في فندق. غير أنهم سيُحَفِّزون الولادةَ، قال لي موضِّحاً، وسيسهرون على أن يكون الأمر أسرع ما يمكن وأقلّ إيلاماً.

أما أنا فكنتُ أفكر: **لا أريدُ أن يكون الأمر غير مؤلم. أريد أن أتألّم وأن يكون لي رضيع حيّ عندما يتوقف الألم.** وجدتُني باندهاش أتساءل إن كان الدكتور لديه أطفال. وقرّرتُ أنْ أجل، لأن الأطباء يتزوّجون باكراً، مع طبيبات غالباً، ثم إن من هو في شدّة لطفه لا يمكن أن يكون من دون أسرة. عندما يعود إلى بيته يحكي يومه لزوجته وهو يحتسي كأس نبيذ قبل العشاء، ويستعمل كلمات مثل **موت قُبيل الولادة**، وربما **مُحزن**. ثم تُقدِّمُ له ابنتُهُ رسماً أنجزته في المدرسة، ويقبِّلُها ويهنّئها.

كنتُ أحدُسُ، من الوجوه المقفلة والمتوترة، التي كان يُبديها أفرادُ الفريق الطبي الذين كانوا يتحرّكون من حولي، أن العملية كانت، حتى بالنسبة إليهم فظيعة ونادرة. لكن إذا كان في إمكانهم أن يجدوا نوعاً من اللجوء في احترافيتهم، فبالنسبة إليّ لم يكن عندي سوى شعور قاهرٍ بالفشل يصيبني بالشلل. وبينما كانوا يثبِّتون الحقنةَ وحمولتها من الهرمونات المرصودة لتحفيز الوضع، سمعتُ صياحَ امرأة أخرى، أبعد مني قليلاً في جناح الولادة. ستنصرفُ هي ومعها رضيعها، وليس مجرد بطاقة زيارة وموعد عند معالج نفسي. أمومة. كلمة أخرى غريبة عندما نفكر في الأمر. هل سأكون أُمّاً، بالمعنى التقني للكلمة، أم توجد كلمة أخرى لتسمية هذا الذي كنت سأصبحه؟ وقد سبق أن سمعتُهم يقولون **ما بعد الوضع** بدل **ما بعد الولادة**.

طرح عليّ أحدُهُم سؤالاً حول الأب فحرّكتُ رأسي بالنفي. ليس هناك أبٌ يمكن الاتصال به، صديقتي مِيَا فحسب، الحاضرة إلى جانبي شاحبة، ينخرها الحزنُ والقلق، بينما جميع مشاريعنا التي أعددناها بعناية -شموعٌ مزدوجة، ومسبح صغير، وآيباد مليء بجاك جونسون وباخ- كان يشطبها تسرُّعُ النشاط الطبي المظلم، من دون الإشارة إليها، كأنها لم تكن سوى مجرد جزء من وَهْم أن كل شيء يسير على ما يرام، وأنني أتحكّم في الوضع، وأن الولادة أمرٌ ليس أشدّ إتعاباً من عناية بالجسد أو من تدليكٍ مُنعش، وليست عملية جراحية يمكن أن تكون مميتة. مرة واحدة من مئتين، كما بيّن الدكتور غيفورد. وفي ثلث الحالات، لا تُعرفُ الأسباب. ولا يغيّرُ من الأمر شيئاً أن أكون في كامل صحتي، وأن أعيش حياة سليمة -قبل الحمل، كنتُ أمارس الرياضة يومياً وأعدو على الأقل مرة في الأسبوع-؛ ولا حتى عمري. بعض الرُّضَّع يموت قبل الولادة، هذا كل ما في الأمر. سأبقى من دون طفل، والصغيرة إيزابيل مارغريت كافنديش لن تكون لها أمٌّ أبداً. لن تخرج حياةٌ للوجود. عندما بدأت الانقباضات، تنشّقتُ هبّةَ غاز وغمرَت ذهني رؤى من أهوال. صور مسوخ مسجونة في قنينات من الميثانال من العصر الفيكتوري. كنتُ أصرخُ وأَشُدُّ عضلاتي، وإن كانت المولّدة تقول لي إن الوقت لا يزال مبكراً جدّاً.

لكن بعد أن خرج الرضيع إلى الحياة، أو إلى الموت، لا أعرف كيف يجب أن أقول، كان كلُّ شيء هادئاً بشكل غريب، بفضل الهرمونات، التي يبدو أنها تُشكّل الكوكتيلَ نفسه من الحب، والسعادة، والراحة، الذي تشعر به كلُّ أُمٍّ جديدة. كانت رائعة وهادئة، أخذتُها بين ذراعَيّ وأنا أهدلُ مثلما تفعل كلُّ أمّ. كانت

تفوح منها رائحةُ المخاط، والسائل العضوي، والبشرة الجديدة والناعمة. وكانت قبضتُها الصغيرة الدافئة مقفلة حول إصبعي، مثل إصبع أيِّ رضيع. وكنتُ أشعر. . . **بالفرح**.

انتزعتها مني المولِّدةُ لكي تأخذها لصنع قالب لكفّيها وقدميها، من أجل صندوق ذكرياتي. لم يسبق لي أن سمعتُ بتلك العبارة فاضطرّت أن تشرحها لي. كانوا سيسلّموني صندوقاً من ورق مقوّى يحتوي خصلة من شعر إيزابيل، والثوب الذي كانت ملفوفة فيه، وبعض الصور، والقوالب المصنوعة من الجبس. ضربٌ من تابوت مصغَّر. آثار شخص لم يوجد أبداً. وعندما أحضرت لي المولِّدةُ القوالبَ، بدت كأنها إنجازات مدرسة روض أطفال. جبسٌ ورديّ للكفّين، أزرق للقدمين. في تلك اللحظة بالذات أدركتُ أنه لن تكون هناك أبداً أعمال فنية، ولا رسوم فوق الجدران، ولا انتقاء للمدارس، ولا بدلة صغرت قبل الأوان. لم أكن قد فقدتُ رضيعاً فحسب. فقدتُ طفلة، ومراهِقَةً، وامرأة.

كانت القدمان، وجميع بقية الجسم قد صار الآن بارداً. وبينما كنتُ أنظّفُ قطع الجبس الأخيرة فوق القدمَين، في حوض الغسل بغرفتي، سألتُ المولِّدةَ إن كنتُ أستطيعُ أن آخذها معي إلى البيت، ولو للحظات قصيرة. حدجتني بنظرة رافضة وأجابتني أن الأمر سيكون غريباً. لا. لكن يمكن أن أحتفظ بها بين ذراعَي أطول مدة أريد، هنا في المستشفى. قلتُ لها حينئذ إنهم يستطيعون أخذها، كنتُ جاهزة.

وبعد ذلك، أحسستُ وأنا أنظر إلى السماء الرمادية من خلال دموعي، كأني قد صرتُ مبتورة. وعند عودتي إلى البيت، ترك الحزنُ الشديد مكانه لفتور جديد. وعندما كان أصدقائي يتحدثون عن

خسارتي بنغمة شديدة التأثُّر والمواساة، كنت أُدركُ بالطبع ما يعنيه كلامهم، لكن تلك الكلمة كانت تبدو لي مرعبة في دقتها. كانت نساء أخريات قد ربحن، انتصرن في معركتهنّ ضدّ الطبيعة، والإنجاب، والوراثة. وأنا التي كنت دائماً فعّالة، وفالحة، وناجحة، قد خسرتُ. اكتشفتُ أن الحزن لا يختلف كثيراً عن الهزيمة.

بيدَ أن الغريب أن كل شيء في السطح، كان يكاد يكون نفسه كما في السابق. قبل تلك العلاقة المتحضِّرة مع زميلي في مكتب جنيف، علاقة جرَت في غُرف الفنادق ومطاعم وظيفية، بلا ذوق، قبل ظهور الغثيان الصباحي والوعي -الفظيع، في البداية- بأننا لم نكن ربما حذرين كما ينبغي مثلما كنتُ أعتقد. قبل تبادل المكالمات الصعبة، والرسائل الإلكترونية وإشاراته المهذّبة إلى **القرارات**، وإلى **الاحتمالات**، وإلى **الوقت غير المناسب**. وفي الأخير، التطوّر البطيء لشعور مختلف، فكرة أن الوقت ربما كان ملائماً على الرغم من كل شيء، وأن تلك العلاقة وإن لم تُفضِ إلى ارتباط طويل، فإنها تمنحني فرصة وقد بلغتُ الرابعة والثلاثين من العمر. كان ما أربحه من مالٍ يكفي لاثنين، ومكتب الاستشارات الذي يوظّفني يفتخر بكرم تعويضاته عن الحضانة. ولن أستطيع أن أقضي تقريباً عاماً كاملاً مع رضيعي فحسب، بل يضمنون لي ظروف عمل ملائمة عند عودتي.

وقد أبدى رؤسائي في العمل التفهّم نفسه عندما أخبرتُهم أني وضعتُ مولوداً ميتاً ومنحوني رخصة مرضية غير محدودة؛ وفي جميع الأحوال، كانوا قد احتاطوا لتعويضي في العمل. وهكذا وجدت نفسي وحيدة في شقة كانت قد أُعِدّت لاستقبال طفل: مهدٌ من نوع كوستر، والعربة الرفيعة، وفوق جدران الحجرة، طُلِيَ الإفريزُ يدوياً،

برسوم شخصيات من السيرك. قضيتُ الشهر الأول أسحبُ مني حليبَ الأمّ وأرميه في الحوض.

حاولت البيروقراطيةُ أن تكون مواسية، دون أن تنجح في ذلك بالطبع. اكتشفتُ أن القانون لم يتصوّر أيّ استثناء بالنسبة إلى الطفل الذي يولد ميتاً. يتوجّب على امرأة في وضعيتي أن تذهب لتُخبِرَ بالوفاة، والولادة، في الوقت نفسه: قسوةٌ قانونية، لا تزال تُحنِقني إلى اليوم، كلّما فكرتُ فيها. بل كان هناك دَفنٌ، يقتضيه القانون، هنا أيضاً. لكنني كنتُ سأقوم به في جميع الأحوال. ومن الصعب أن تؤبِّنَ شخصاً لم يوجد؛ غير أننا حاولنا ذلك على الرغم من كل شيء.

قبلتُ حصصَ العلاج النفسي التي اقتُرِحت عليّ، غير أني في أعماقي، كنتُ أعرفُ أن ذلك لن يغيِّر من الأمر شيئاً. كان عليّ أن أتسلَّقَ جبلاً من الأحزان، ولم تكن كل كلمات العالم لتساعدني. كنتُ في حاجة إلى العمل. وعندما علمتُ أني لن أستطيع أن أسترجع عملي السابق قبل انصرام عام كامل (يبدو أنه غير ممكن التخلُّص من الموظفة البديلة التي تُعوِّضُ موظفة في رخصة حضانة، لهنّ حقوق مثلهنّ مثل أي موظف آخر)، قدّمتُ استقالتي والتحقتُ بعملٍ بنصف دوام، متطوِّعَةً في جمعية خيرية تعمل على تطوير البحث حول وفيات الأجنّة. وكان ذلك يعني أني لم أعد أملكُ الإمكانات التي تسمح لي بالاستمرار في العيش في شقتي، غير أني كنتُ قد عوّلتُ على الرحيل في جميع الأحوال. وحتى إن تخلّصتُ من المهد ومن ورق الطلاء على جدار غرفة الطفل، سيكون دائماً البيت حيث إيزابيل غير موجودة.

الأمس: إيما

أيقظني شيءٌ ما.

أُدرِكُ في الحال أن الأمر لا يتعلق بسكارى أمام محل كباب، ولا بشجار في الشارع، ولا بحوامة الشرطة تمرُّ في السماء، لأنني معتادة على تلك المظاهر الصوتية، ولم أعد أنتبه إليها تقريباً. أرفع رأسي وأصغي. صوتٌ مخنوقٌ، ثم آخر.

شخصٌ ما يتنقّلُ داخل شقّتنا.

حدثت مجموعة من عمليات السطو في شارعنا مؤخّراً، وأشعر للحظاتٍ بمعدتي تتلوى بفعل الأدرينالين. ثم أسترجع ما حدث. خرج سايمن هذا المساء، لقضاء أمسية في الحانة مع الأصدقاء، على ما أظن، ونمتُ دون أن أنتظره. يبدو أنه أكثرَ من الشرب. أرجو أن يستحمَّ قبل أن يلجَ الفراش.

أستطيع أن أُخمِّنَ الوقت بشكلٍ تقريبي بفضل أصوات الشارع، أو على الأصحّ بفضل غياب الأصوات. يتوقّف زئيرُ المحركات عندما يمرُّ الضوءُ الأحمرُ إلى الأخضر. وتغيبُ أصواتُ اصطفاق أبواب السيارات أمام محل الكباب. آخذُ هاتفي. نظاراتي ليست معي، لكنني أرى أن الساعة 2:41 ليلاً.

يتقدم سايمن في الممرّ، ولا يتذكر، من شدّة سكره، أن الأرضية تصرُّ أمام باب الحمّام.

- طيب، أقول له. أنا لستُ نائمة.

تتوقف خطاهُ أمام الباب. وأضيفُ، لأظهِرَ له أني غاضبة: أعرف أنك سكران.

أصواتٌ مبهمة. همسات.

أستنتج أنه اقد استصحب معه شخصاً إلى البيت. زميلٌ، سكران هو أيضاً، أفلتَ القطارَ الأخيرَ ليرجع إلى ضاحيته. أمرٌ يثير أعصابي. عندي في الغد -بل اليوم- أعمالٌ كثيرة، ولا يدخل ضمن برنامجي أن أعدَّ الفطور لشخصَين مخمورَين. لكنني أعلم أن سايمن، عندما سيحين الوقتُ، سيكون معي ساحراً ومسلِّياً، سيدعوني حبيبتي أو حلوتي، وسيشرح لصاحبه كيف أني كدتُ أن أصبح عارضة أزياء. أليس أكثر الرجال حظّاً؟ وسأنتهي إلى التسليم وسأصل متأخّرة إلى العمل. مرة أخرى.

- نلتقي فيما بعد، إذاً. أصيح به، متضايقة. أراهنُ أنهما سيُخرجان لعبة إكس بوكس.

غير أن الخطوات لا تبتعد.

يبلغ بي الضيقُ مداهُ، فأنهضُ -مرتديةً قميصي القديم وتبّاناً، مظهر مقبول أمام زميل- وأفتح الباب.

أنا أقلُّ سرعة من الشخص الذي يرتدي الأسود، ويضع قناعاً على وجهه، ويوجد في الجهة الأخرى ويضرب الباب بكتفه، فيرمي بي. أصرخُ، أو على الأقل أظن أني أصرخ؛ ربما لم يكن سوى فواقِ المفاجأة، لأن الخوف والصدمة يشلّان حنجرتي. تلمعُ مديةُ

سكّينه، عندما يرفعه، بفعل ضوء المطبخ. سكين صغير، صغير جدّاً، في حجم قلم تقريباً.

يُبرِزُ القناعُ الصوفيُّ الأسودُ عينيه. وتجحظان عندما يراني جيداً.

- واه! يصيح متعجباً.

خلفه، أُبصِرُ قناعاً آخر، وعينين أكثر قلقاً. دعْ عنك ذلك، يا صاح، يقول الرجلُ الثاني. أحدهما أبيض، والآخر أسود، لكنهما كليهما يتحدثان بلهجة أحياء السّود.

- ارتح يا صاحبي، يقول الأول. هذه قنبلة، أليس كذلك؟

يرفع السكين أكثر، قريباً من وجهي. أعطني هاتفك، يا عاهرة. أتجمّدُ.

لكنني هذه المرة أسرعُ منه. أمدُّ يدي خلف ظهري، فيظن أني سآخذُ هاتفي، غير أني في الحقيقة، لديّ سكينٌ أنا أيضاً، سكين اللحم الكبير من المطبخ والموضوع فوق طاولة السرير. تُمسكُ أصابعي بالمقبض، الصقيل والثقيل، وبحركة واحدة سريعة، أستدير وأغرسُ المديةَ في بطن هذا الوغد، تماماً تحت الضلوع. تدخل بسهولة. ينفجر الدم مثلما يحدث في أفلام الرعب، أقول لنفسي وأنا أُخرِجُ السكينَ لأطعنه مرة ثانية. هذا يُسهِّلُ الأمور. أخترقُ ذراعه، ثم أغرسُ المديةَ في بطنه، ثم أسفل البطن عند مستوى الخصيتَين، وأُقلِّبُ المدية بوحشية. وعندما انهار فوق الأرض، أتخطّى جسده لأهجم على شريكه.

- أنتَ أيضاً، أقول له. كنتَ هنا، ولم توقِفْهُ. أيها الوضيع الخسيس. أُغمِدُ السكينَ في فمه، بسهولة كأنني أضع رسالة في صندوق البريد.

ثم يمّحي كلُّ شيء فجأة وأستيقظُ وأنا أصرخ.

- أمرٌ طبيعي، تقول كارول وهي تهزُّ رأسها. طبيعي جدّاً. بل إن هذا علامة جيدة.

أرتعشُ، على الرغم من الهدوء الذي يعمُّ القاعة حيث تستقبل كارول مرضاها. وغير بعيد، في الخارج، يُقلِّمُ أحدهم العشبَ بالجزّازة.

- علامة جيدة؟ أقول، باندهاش.

تهزُّ كارول رأسها من جديد. تفعل هذا كثيراً، كلما قلتُ لها تقريباً أي شيء في الحقيقة، كأنها تريد أن تُبَيِّنَ لي أنها لا تجيبُ عادة عن أسئلة مرضاها، لكنها توافق أن تفعل ذلك معي استثناءً، ولمرة واحدة فحسب. من أجل شخص يقوم **بعمل جيد**، ويحصلُ على **نتائج ممتازة**، بل قد **يتخطى مرحلة**، كما تقول عند نهاية كل حصّة. نصحني بها رجالُ الشرطة، وهذا يعني أنها ضليعة في مهنتها، لكن بكل صراحة، أُفضِّلُ أن يقبضوا على الأوغاد، بدل أن يوزّعوا بطاقات زيارة الطبيبة النفسية.

- أن تتخيّلي أنكِ كان لديك سكين، فهذا قد يعني أن لا شعورك يُعبِّرُ عن إرادته التحكّمَ في ما جرى، تضيف كارول.

- آه حقّاً؟ أقول. أطوي قدمَي تحتي. وعلى الرغم من أنهما حافيتان، لستُ متأكدةً من أن الأمر مسموح به، فكنبةُ كارول تبدو شديدة النقاء، لكنني أستحق أن أفعل ما أشاء مقابل الخمسين جنيهاً التي أدفعها. أسألُ: هذا اللاشعور نفسه الذي قرّرَ أن عليّ نسيان جميع ما حدثَ بعد أن سلَّمتُ هاتفي؟ ألا يكون بالأحرى يقول لي إنني كنتُ خرقاء لأنني لم أحتفظ بسكين قرب سريري؟

- أجل، هذا تأويل ممكن، إيما. تقول بإقرار. لكن يبدو لي أنه ليس مفيداً جدّاً. إن الأشخاص الذين يقعون ضحية اعتداء ينسبون دائماً الخطأ إلى أنفسهم بدل أن يتّهموا من اعتدى عليهم. مع أنه هو من خالف القانون، وليس أنتِ. أنصتي إليّ، تضيف قائلة، لا تهمّني ظروفُ هذه المأساة بقدر ما تهمني سيرورة الشفاء. ومن هذا المنظور، فهذه مرحلة مهمة. في كوابيسك الأخيرة، بدأتِ تردّين، وهذا يعني أنك صرتِ تتّهمين المعتدين عليك، ولا تتهمين نفسك. ترفضين أن تتقبّلي دورَ الضحية.

- غير أني فعلاً ضحيتهما، أقول. لا شيء يستطيع أن يُغيّر هذا.

- أني؟ تكرر كارول. أو كنتُ؟

وبعد فترة توقّف دالّة -«فضاء علاجي»، مثلما تقول أحياناً، طريقة بليدة لنعت ما ليس سوى صمت-، تسأل برقّة: وسايمن؟ كيف تسير الأمور معه؟

- بصعوبة.

وأدركُ أن هذه الإجابة يمكن أن تؤوَّل بطريقتَين متباينتَين، فأضيفُ:

- يفعل ما يستطيع. يُقدِّمُ الكثير من فناجين الشاي والكثير من اللطف. كأنه يشعر بالذنب لأنه لم يكن حاضراً. يعتقد، على ما يبدو، أنه كان يستطيع أن يُشبعهم ضرباً كليهما وأن يسلّمهما للشرطة. بينما في الواقع، كانا سيطعنانه بلا شكّ. وربما عذّباه ليعرفا شفرة البطاقة البنكية.

- المجتمع، تقول كارول، يمنحنا... رؤية حول ما هي

الفحولة، يا إيما. وعندما تتزعزع هذه الأخيرة، يمكن لأي رجل أن يشعر أنه مهدَّدٌ وضائعٌ.

وهذه المرة، يدوم الصمتُ دقيقة كاملة.

- تستطيعين الأكل؟

ومن دون سبب ظاهر، اعترفتُ لكارول أنني عانيتُ في السابق من اضطراب في التغذية. وعندما أقول في **السابق**، فكلُّ شيء نسبي، لأن ذلك المرض، كما يمكن أن يُخبركَ أيُّ شخص مرَّ به، لا يختفي أبداً بشكل كامل، وعندما تضطربُ حياتك، ويُفلتُ منك زمامُ الوضع، يظهر خطرُ أن يعود المرضُ من جديد.

- يُجبرني سايمن أن آكل، أقول لها. كل شيء على ما يُرام.

لا أقول لها إني في بعض الأحيان أُوسِّخُ صحناً وأضعُهُ في حوض الغسيل لأوهِمَ سايمن أنني أكلتُ، ولا أنني أُكرهُ نفسي على القيء عندما نعود إلى البيت بعد عشاء في مكان ما. تظلُّ أجزاء معيّنة من حياتي محظورة، لا تُقتَحَم. وفي الحقيقة، هذا أحد الأمور التي كنتُ أحبّها عند سايمن، من قبل، تلك الطريقة في العناية بي عندما أكون مريضة. لكن المشكل هو أنه عندما لا أكون مريضة، فإن كل ذلك الاهتمام يصيبني بالجنون.

- لم أقم بردٍّ فعلٍ، أقول فجأة. عندما دخلوا الشقة. هذا ما لا أُفلِحُ في فهمه. كنت أنتفضُ من فعل الأدرينالين. يُفترَضُ أن يكون لدينا الخيار بين المواجهة أو الهروب، أليس كذلك؟ أنا، لم أختر لا هذا ولا ذاك. لم أفعل **أيَّ شيء**.

ومن دون سبب محدَّد، أُجهشُ بالبكاء. آخذُ وسادةً وأضغطُها على صدري، كأني أخنقُ ذينك الوغدين الحقيرين.

- لقد فعلتِ شيئاً، تقول كارول. فعلتِ النعامة. وهذا أمرٌ

شرعيٌّ تماماً. مثلما هو الأمر عند الأرانب البرية والأرانب: الأرانبُ تعدو، والأرانب البرية تنكمش. لا يوجد ردُّ فعل جيّد أو سيّئ في مثل هذه الأوضاع، لا وجود لِ«وإذا؟» لا يوجد سوى ما وقع.

تميل نحو الأمام لتمدّني بعلبة مناديل من فوق الطاولة الخفيضة.

- إيما، أرغبُ في أن أجرِّبَ أمراً، تقول بعد أن مسحتُ أنفي.

- أيّ أمر؟ أرجو ألّا يكون التنويم المغناطيسي. لقد قلتُ لكِ إني لا أريد ذلك. تهزُّ رأسها بالنفي.

- إنه علاجٌ يُدعى EMDR[1]. قد يبدو ذلك في البداية غريباً بعض الشيء، غير أنه في الحقيقة بسيط جدّاً. سأجلسُ بجانبك وسأُحرِّكُ أصابعي من اليمين إلى اليسار أمام مجال رؤيتك، بينما تقومين في ذهنك باستعادة تجربتك الصادمة. وأريد منك أن تتابعي أصابعي بعينَيك في الوقت نفسه.

- وما فائدة ذلك؟

- في الحقيقة، لا نعلمُ بالتدقيق كيف يعمل علاجُ EMDR. لكن يبدو أن هذه التقنية تساعدك على مواجهة ما وقع، وعلى أن تعيدي تقويم منظور الأمور. وهذا ينفع خصوصاً في حالة شخص لا يتذكر تفاصيل واقعة. هل أنت مستعدة للتجربة؟

- أجل، أقول وأنا أهز كتفَيّ.

تدفع كارول الأريكة لتدنو مني، لا تفصلنا سوى عشرة سنتيمترات، وترفع إصبعَين.

- ركِّزي على صورةٍ من البدايات الأولى لعملية السطو. صورة

---

(1) Eye Movement Desensitization and Retraining.

إزالة حساسية حركة العين والترويض. (المترجم)

ثابتة في هذه اللحظة. مثلما يحدث عندما تضغطين على زرِّ «وقف» عند مشاهدة فيلم.

تُحرِّكُ إصبعَيها من اليمين إلى اليسار. وأطيعُ، فأتابعهما بنظري.

- نعم، هذا جيد، إيما. الآن، دعي الفيلم يتقدّم. تذكَّري ما شعرتِ به.

في البداية، أجدُ صعوبة في التركيز، لكن عندما أعتاد حركات إصبعَيها، أتمكّنُ من استعراض، ذهنيّاً، فيلم تلك الليلة.

صوتٌ مكتومٌ في الصالة.

خطوات.

همسات.

أخرج من الفراش.

دفعُ الباب بضربة كتف. السكين أمام وجهي...

- استنشقي بعمق، تهمسُ لي كارول. مثلما تعلّمنا.

نَفَسان، ثلاثة أنفاس. **أخرج من الفراش...**

السكين. الدخيلان. الشجار بين الرجلَين، التوتر: هل يتوجب عليهما أن يغادرا المكان أم أن يستكملا السّطوَ على الشقة، على الرغم من وجودي. الأكبر سنّاً، ذاك الذي يمسك بالسكين، يشير إليّ بإصبعه.

إنها نحيفة جدّاً. ما الذي يمكن أن تفعله؟

- تنفّسي، إيما. تنفّسي.

يضغطُ بسكينه على حنجرتي. **إذا تحرّكت، نُقطِّعُها.**

- لا، أقول بعنف، مذعورة. لا أستطيع. آسفة. تعود كارول إلى الجلوس في عمق أريكتها.

- كان الأمر جيداً، إيما. برافو.

أستمر في التنفّس بعمق، وأحاول أن أسترجع هدوئي. أعرف، بفضل تجربتي من الحصص السالفة، أن كسر الصمت الآن يعود إليّ. بيد أنني لا أريد أن أستمر في الحديث عن حادث السّطو.

- قد نكون عثرنا على مسكن جديد، أقول.

- آه حقّاً؟

تحتفظ كارول بنغمة محايدة، كدأبها.

- تقع شقة سايمن في شارع رهيب. حتى قبل أن أساهم في ارتفاع إحصائيات الجريمة. الآن، أراهنُ أن الجيران يكرهونني: لا بدَّ أنني قد خفَّضتُ خمسة في المئة من قيمة ممتلكاتهم العقارية.

- لا، إنني على يقين أنهم لا يكرهونكِ، إيما.

آخذُ في مصِّ كمِّ سترتي. عادة قديمة يبدو أنها عاودتني.

- أعرفُ، أقول، تغييرُ السكن، هو استسلام. لكنني لا أستطيع أن أبقى هناك. وفق الشرطة، يمكن لهذا الصنف من المجرمين أن يعودوا. يبدو أن هؤلاء الأشخاص يَعتبرون أنك صرت ملكاً لهم.

- والواقع ليس كذلك، بالتأكيد، تُدَقِّقُ كارول. تملكين نفسَكِ وحدَكِ، إيما. ثم إني لا أعتقد أن تغيير المسكن استسلامٌ. على العكس تماماً. تلك علامة على أنكِ استرجعتِ قدرتكِ على اتخاذ القرارات. تستعيدين التحكّم. أعرف أن الأمر صعبٌ الآن. لكن الناس يتجاوزون هذا النوع من الصدمة. غير أن الأمر يحتاج إلى وقت ويجب أن تقبلي بذلك.

تلقي نظرة على ساعة الحائط.

- عملٌ ممتاز، إيما. نلتقي الأسبوع المقبل في الساعة نفسها؟

الآن: جين

30. أيُّ صيغة من هذه الصيغ تصفُ أفضل من غيرها آخر علاقاتكِ الحميمة؟

- **❍ علاقة صداقة أكثر من حبّ**
- **❍ مسترخية ومريحة**
- **❍ مؤثرة وقوية**
- **❍ جامحة وقاسية**
- **❍ رائعة، لكن قصيرة**

تزداد أسئلةُ استمارة الترشُّح غرابة. أحاول، في البداية، أن أفحصها بدقة، لكن عددها كبير بحيث أجدني في النهاية أجيبُ تقريباً من دون تفكير. أُعَلِّمُ الخانات حدساً.

تُطلبُ مني ثلاث صور حديثة. أنتقي صورة فوريةً التُقِطت أثناء حفل زفاف إحدى صديقاتي، وصورة «سيلفي» لي رفقة مِيَا ونحن نتسلّقُ سنودونيا[1]، منذ سنوات قليلة، وصورة أكثر جدّية، كنتُ قد

(1) منطقة جبلية في بلاد الغال. (المترجم)

عملتُ على التقاطها من أجل العمل. وها قد انتهى الأمر. أُحرِّرُ رسالة مصاحِبة، غير مبالغة في أسلوبها، مجرد كلمات قليلة، لأقول مدى حبّي لبيت وَنْ فولغيت ستريت وإنني سأفعل ما في وسعي لأعيش فيه، بكلِّ الاستقامة التي يستحقُّها. ومع ذلك أضطر إلى إعادة كتابة هذه السطور القليلة مرات عديدة قبل أن تنال رضاي. وعلى الرغم من أن الوكيلة العقارية قالت لي ألّا أبنيَ آمالاً كبيرة، لأن غالبية المرشحين لا يتجاوزون هذه المرحلة، لكنني أذهبُ للنوم يغمرني الأمل. انطلاقة جديدة. وبينما أغوصُ في النوم، تتسرّبُ كلمةٌ أخرى إلى عقلي. **ولادة من جديد.**

2. عندما أشتغل على أمر ما لا أستطيع أن أسترخي ما لم أحصل على نتيجة كاملة.

نعم ❍ ❍ ❍ ❍ ❍ كلا

الأمس: إيما

ينصرمُ أسبوع دون أن نتوصل بِرَدٍّ على طلبنا، ثم أسبوعٌ آخر. أبعثُ برسالة إلكترونية لأتأكّدَ من كونهم قد توصلوا بالطلب. دائماً، لا شيء. ينتابني الغضبُ: أجبرونا على الإجابة عن كَمٍّ هائل من الأسئلة البليدة، واختيار الصور، وكتابة رسالة تحفيز؛ يستطيعون على الأقل أن يُخبروننا بأن الاختيار لم يقع علينا... عندئذ وصلت رسالة إلكترونية من admin@themonkfordpartnership.com. الموضوع: «وَنْ فولغيت ستريت». لا أترك لي مهلة للقلق. أفتحها حالاً.

المرجو منكم الحضور لإجراء مقابلة غداً الثلاثاء 16 مارس على الساعة الخامسة مساءً، بمقرّ شركة مونكفورد.

هذا كل شيء. لا عنوان، ولا تفاصيل، ولا يُقالُ لنا إن كنّا سنلتقي إدوارد مونكفورد أو تابعاً له. لكن بطبيعة الحال، يمكن الحصول على العنوان بسهولة من الإنترنت، ولا يهمُّ كثيراً أن نعرف من سيستقبلنا. ها نحن قد تخطّينا جميع العقبات، سوى الأخيرة.

تشغلُ شركة مونكفورد الطابق الأخير من بناية عصرية في المدينة. لا وجود لعنوان حقيقي، لكن الجميع يدعوها «الخلية»، لأنها بالفعل تشبه خليّةً حجريةً عملاقة. تنتصبُ، وسط مباني الزجاج والفولاذ، المكعَّبة، في سكوير ميل، حيث تقع على أطراف سان بول مثل شرنقة غريبة وشاحبة، تخلّى عنها كائن فضائي. وتبدو، عندما يُنظر إليها من الأسفل، أكثر غرابة. لا يوجد في البهو مكتب استقبال، بل مجرّد جدار طويل من حجر شاحب، تخترقه فتحتان ضيّقتان تقودان بلا شكّ إلى المصاعد، لأن ثمة أمواجاً متلاحقة من البشر تنغمر فيهما وتطلع منهما. جميعهم، رجالاً ونساءً، يظهر أنهم يرتدون بدلات سوداء نفيسة فوق قمصان مفتوحة العنق.

يرنُّ هاتفي المحمول. وصلت للتوّ رسالة فوق الشاشة. **عمارة مونكفورد. أتريدان الدخول؟**

أضغطُ على «قبول».

مرحباً بكما، إيما وسايمن. المرجو أن تأخذا المصعد رقم ثلاثة وأن تصعدا إلى الطابق الرابع عشر.

لا أعرف بتاتاً كيف تمكّنت العمارةُ من التعرّف إلينا. ربما كانت الرسالة الإلكترونية مصحوبة ببرنامج خفيّ. سايمن على دراية بجميع تلك التقنيات. أُريهِ هاتفي، وأنا آملُ أن أثير اهتمامه، لكنه يكتفي بهزِّ كتفَيه، من دون اكتراث. لا يُعجبُهُ هذا الصنفُ من الديكور، الباهظ والمتبجّح.

لا أحد غيرنا ينتظر أمام المصعد سوى رجل مظهرهُ أكثر نشازاً منّا، ذي شعر أشيب طويل مُهمَل، وإن كان مربوطاً بعقصة حصان، ولحية يومَين، ويرتدي سترة صوفية نخرَتها العُثَّةُ فوق سروال بالٍ من كتّان. ألقي نظرة على قدميه وألاحظ أنه لا ينتعل سوى جوربَين!

يأكلُ قطعة حلوى بصوت مسموع. وعندما ينفتح بابُ المصعد، يتسللُ إلى الداخل ويذهب للاستقرار في آخره.

أبحث عن الأزرار، ولكنها غير موجودة. أستنتجُ من ذلك أن هذا المصعد لا يوصِلُ إلّا إلى الطابق الذي بُرمِجَ عليه.

أثناء الصعود، والذي يجري بسلاسة لا نشعر معها بأي حركة، أُحِسُّ بعينَي الرجل ترعياني. تقعان على بطني، وتطيلان النظر، بينما يلعقُ الشوكولاتة فوق أصابعه. أتضايقُ، فأضع يدي فوق المكان الذي يُحملقُ فيه وأكتشفُ أن القميص قد خرج نصفُهُ من السروال. وتظهر بُقعةُ جلدٍ فُويق الحزام.

- ما الذي يجري إيما؟ يسألني سايمن، وقد انتبه إلى تضايقي.

- لا شيء، أقول وأنا أستدير نحوه، مولّية ظهري لهذا الشخص الغريب، وأنا أعيد حشو قميصي في السروال، بتكتّم.

- هل غيّرتِ رأيكِ؟ يهمسُ لي سايمن.

- لستُ أدري، أقول. في الحقيقة، لم أغيِّر رأيي، لكنني لا أريد أن يعتقد سايمن أني لا أقبل النقاش.

ينفتحُ بابُ المصعد فيخرج الرجلُ بخطوات متثاقلة، مواصِلاً أكل قطعة الحلوى بالشوكولاتة.

- موعد الفرجة، يقول سايمن متطلّعاً حوله.

نحن الآن داخل فضاء آخر ذي خطوط خالصة، يغمرهُ الضوءُ، ويشغلُ طولَ البناية كلَّهُ. ينتهي أحدُ الجدران بواجهة زجاجية منحنية تُشرفُ على المدينة: تظهر منها قبّةُ سان بول، ولويدز لندن، وجميع البنايات الأخرى المميِّزة للعاصمة الإنجليزية، ثم كناري وارف في البعيد، ونهر التمز الذي يحيط بجزيرة الكلاب ويخترقُ السهولَ الواطئة واللامنتهية باتجاه الشرق. تَفرِدُ امرأةٌ شقراء، ترتدي فستاناً

أسود ضيّقاً، قامتَها لتغادر أريكةً جلدية حيث كانت تنقر فوق آيباد.

- مرحباً إيما وسايمن، تقول. تفضّلا بالجلوس. سيستقبلكما إدوارد بعد قليل.

يبدو أنها لا تتواصل إلا عبر لوحتها، لأنها، بعد صمتٍ دامَ عشر دقائق، تقول لنا: تفضّلا معي، رجاءً.

تدفعُ باباً. وأُدرِكُ، من الطريقة التي ينفتح بها المصراعُ أن الباب شديد الثِّقل، لكنه دقيق التوازن. في الطرف الآخر، يقوم رجلٌ خلف طاولة كبيرة، متّكئاً على قبضتَيه، منشغلاً بدراسة تصاميمَ كبيرة الحجم، تكاد تضيقُ عنها مساحةُ الطاولة. وعندما ألقي عليها نظرة أكتشف أنها ليست تصاميم وإنما رسوماً. وُضع قلمان أو ثلاثة وممحاةٌ في زاوية، وقد رُتِّبت بعناية وفق الحجم.

- إيما، سايمن، يقول الرجلُ وهو يرفع رأسه. أترغبان في فنجان قهوة؟

طيّب، إنه جذّاب. هذا أول أمر ألاحظُهُ فيه. والثاني. والثالثُ أيضاً. يرتدي كنزة سوداء فوق قميص مفتوح، لا شيء باذخ، غير أن نسيج الكنزة يسقط بشكل رائع فوق كتفيه الواسعتين والرقيقتين، وترتسم على شفتيه ابتسامةٌ جميلةٌ تكسوها لمسةُ سخرية من الذات. قد تخاله أستاذاً جذّاباً ومنفتحاً، لا يمتُّ بِصلة إلى المهووس الغريب الذي تخيّلتُهُ.

ويبدو أن سايمن قد تكوّن لديه الارتسامُ نفسه، أو لعله قرأ ذلك في نظرتي، لأنه ها هو يتقدّمُ بخطى كبيرة ويضع يده على كتف إدوارد مونكفورد.

- إدوارد، أليس كذلك؟ أم إيدي؟ إيد؟ أنا سايمن. سعيد بلقائك، عزيزي. يا له من مكان فاخر. هذه حبيبتي، إيما.

أمتعضُ، لأن هذه المحاكاة لتحيّةٍ ساخرة، ضربٌ من التمثيل يلجأ إليه عندما يشعر أنه مُهدَّد. لذلك، أسارعُ بالجواب: فنجان قهوة، سيكون رائعاً.

- فنجانان من القهوة، من فضلك، أليشا. يقول إدوارد مونكفورد لمساعِدته. وبحركة، يأخذنا إلى الجانب الآخر من الطاولة. حسنٌ، يقول وقد جلسنا جميعنا، وهو ينظر إليَّ بتركيز دون أن يعبأ بسايمن، اشرحا لي لماذا تريدان العيش في وَنْ فولغيت ستريت.

لا، ليس أستاذاً. مديرٌ، أو رئيس مجلس إدارة. تظلُّ نظرتُهُ دافئةً، لكنها ممزوجة بلمحة افتراس. الأمر الذي يجعله أكثر اجتذاباً، بطبيعة الحال.

وكنّا قد استبقنا هذا السؤال، أو شيئاً من هذا القبيل، وأتمكّنُ من سرد الجواب الذي كنّا قد أعددناه: نحن مبتهجون بالفرصة التي تُتاحُ لنا وسنفعل ما في وسعنا لنكون في مستوى هذا البيت. يرمي سايمن، وهو جالس إلى جانبي، بنظرات سوداء، دون أن يقول شيئاً. وعندما أنتهي، يهزُّ مونكفورد رأسه، بأدب. يبدو أنه ضجرٌ بعض الشيء.

وأتفاجأ إذ أضيفُ: أعتقد أنه سيغيِّرُنا.

يُبدي اهتماماً لأول مرة: يُغيِّركم؟ كيف؟

- تعرّضنا لعملية سطو، أقول. من لدن رجلَين. صبيّان على الأصح. مراهقان. لا أتذكر التفاصيل جيّداً. أعاني من ضربٍ من آثار ما بعد الصدمة.

يهزُّ رأسهُ، في تأمّل.

يُشجّعني ذلك، فأستأنفُ: لا أريد أن أظلَّ تلك المرأة التي

بقيَت جامدة من دون ردٍّ فعل وتركتهما يهربان. أريد أن أكون شخصاً يتّخذ القرارات. يردُّ. وأعتقد أن هذا البيت يستطيع أن يساعدني. لسنا معتادين على العيش بهذه الطريقة، وفق كل هذه القواعد. لكننا نودُّ فعلاً أن نُجرِّب.

يتمدّدُ الصمتُ. أركلُ مؤخرتي في ذهني. ما وجه الأهمية في ما وقع لي؟ كيف يمكن لبيت أن يُغيِّر أحداً ما؟

تعود الشقراءُ الجليديةُ بالقهوة وتتجهُ نحو الطاولة. أَهُبُّ لآخذ فنجاناً، وفي تسرّعي، تخونني أعصابي، فأنجح في قلب القهوة فوق الرسوم.

- يا الله، إيما، يهمسُ سايمن وهو ينهضُ بدوره. انظري ما صنعتِ!

- أنا جدُّ آسفة، أقولُ، بشكلٍ مثير للشفقة، بينما يغمرُ النهرُ البنّيُّ الرسومَ ببطء. يا إلهي، أنا آسفة..

تُسرع المساعدة في الذهاب للبحث عن ممسحة. وأرى هذه الفرصة الوحيدة تُفلتُ. تلك اللائحة من الأشياء الشخصية الفارغة بروعة، كل هذه الأكاذيب المفعمة بالأمل التي أتخمتُ بها الاستمارةَ، كلُّ ذلك لن يفيد في شيء. لا أربَ لهذا الرجل في امرأة خرقاء تقلبُ القهوة في بيته الجميل.

لكن، وأمام عظيم اندهاشي، يضحك مونكفورد.

- كانت هذه الرسوم بغيضة، يقول. كان عليّ أن أُلقي بها منذ أسابيع. لقد جنّبتِني هذا المجهود.

تعود المساعِدة بمناديل ورقية وتشرعُ في التنظيف والمسح بعصبية.

- أليشا، أنت لا تزيدين الأمور إلا استفحالاً. دعي الأمرَ لي.

يُكوِّمُ الرسومَ، ليحبس القهوةَ داخلها، مثل طبقة عملاقة، ويمدُّها إليها.

- ارمي هذا.

- آه، أنا آسف، عزيزي. يقول سايمن.

ينظر إليه مونكفورد في عينَيه، لأول مرة.

- لا تعتذر أبداً من أجل شخص تحبّه. يقول له دون أن يرفع صوته. تكون أحمق إن فعلت.

يتفاجأ سايمن حيث يبقى بلا صوت، فاغراً فاه. لا شيء في سلوك مونكفورد كان يوحي أنه سيدلي بملاحظة شخصية بهذه الدرجة. وقد لَكَمَ سايمن أشخاصاً لأسباب أقلّ أهمية من هذا. لكن مونكفورد يلتفتُ نحوي ويقول، برقّة: سأخبركما بالمستجدات. شكراً لحضورك، إيما. وبعد برهة قصيرة، يضيف: وشكراً لك أيضاً، سايمن.

مكتبة
t.me/t_pdf

الآن: جين

بينما أنتظرُ في مكتب الاستقبال بالطابق الرابع عشر في الخلية، أراقبُ رجلَين يتشاجران داخل قاعة اجتماعات زجاجية. أحدهما، أكاد أكون واثقة من ذلك، هو إدوارد مونكفورد. يرتدي لباساً يشبه ما يظهر به في الصورة التي عثرتُ عليها في الإنترنت: سترة من كشمير أسود فوق قميص أبيض مفتوح العنق، وأتعرّفُ إلى شعره المجعّد الأشقر الغامق المحيط بوجهٍ نحيفٍ متقشّفٍ. إنه جميل، دون أن يثير الانتباه في الوهلة الأولى، لكن يصدر عنه انطباع بالوثوق والجاذبية، ويملك ابتسامة جانبية جميلة. يصرخ الرجل الآخر في وجهه، لكن زجاج الفاصل شديد السُّمك بحيث لا أستطيعُ سماع أي شيء. يسود في هذا الطابق صمتُ مختبر. يومئ الرجلُ بغضب، يلوّحُ بيدَيه أسفل ذقن مونكفورد. ويجعلني شيءٌ ما في تلك الحركة، وشكلُ وجهه، أظنُّ أنه يمكن أن يكون روسيّاً.

والمرأة التي تقف جانباً، وتتدخّلُ أحياناً لتُبديَ اعتراضاً، تُشبه زوجةَ أوليغاركي. أصغر من زوجها بكثير، ترتدي مجموعة لباس فيرزاتشي مطرّزة بشكل لافت، وشعرها أشقر ذي صباغة باهظة الثمن. زوجها يتجاهلها، لكن مونكفورد يلتفتُ نحوها بين الفينة

والأخرى، من باب الأدب. وعندما يسكن الرجلُ أخيراً ويتوقف عن الصياح، يقول المهندسُ بعض الكلمات، بهدوء، ويهزُّ رأسه. فينفجر الرجل مرة أخرى أكثر من السابق.

تتقدمُ نحوي الشابةُ السمراء الجميلة التي استقبلتني. «أخشى أن يكون إدوارد لا يزال في الاجتماع. أيمكنني أن أقدّم لك شيئاً؟ ماء؟».

«لا، لا داعٍ، شكراً». وبحركة من رأسي أشير إلى المشهد الذي يجري أمامي. «أفترضُ أنك تتحدثين عن هذا الاجتماع؟».

تتابع نظرتي.

«يضيّعان وقتهما»، تقول. «لن يُغيِّر شيئاً».

«لماذا يتشاجرون؟».

«طلب الزبونُ بيتاً عندما كان متزوجاً بامرأته السابقة. وتريد الزوجةُ الجديدة أن تُثَبِّتَ مطبخاً من صنف أغا. ليكون أكثر دفئاً»، تقول.

«وشركة مونكفورد لا تشتغل بِ«الدفء»؟».

«المسألة ليست هنا. إذا كان المطبخ لا يشكِّل جزءاً من الطلب الأصلي، لن يقبل إدوارد بأي تغيير. إلا إذا تعلّق الأمرُ بتغيير شيء لا يرضى عنه، هو. ذات مرة، قضى ثلاثة شهور يعيد تصميم سطح بيتِ عطلةٍ ليخفضه متراً واحداً وعشرين سنتيمتراً».

«كيف هو العمل مع محبٍّ للكمال؟».

من الواضح أنني تجاوزتُ حدّاً، لأنها توجِّهُ لي ابتسامة باردة وتنصرف.

أُواصِلُ مراقبة الشّجار، أو على الأصحّ صراخ الزبون، لأن إدوارد مونكفورد لا يشارك فيه تقريباً. يتركُ غضبَ مُحاوره يندلقُ

عليه مثل موج فوق صخرة، مُظهِراً اهتماماً مؤدَّباً، لا غير. وفي الأخير يفتح الرجل الباب بعنف ويخرج بضجّة، دون أن يتوقف عن الاحتجاج؛ تتبعه زوجتُهُ متمايلة فوق كعبَيها العاليَين. يخرج مونكفورد بدوره، بهدوء. أُمَسِّدُ فستاني وأنهضُ. بعد تفكير عميق، قصدتُ متاجر برادا لشراء فستان: أزرق بحري، ذو طيّات، ينزل إلى حدود ما فوق الركبة، لا شيء شديد الإثارة.

«جين كافنديش»، تُذَكِّرُهُ موظفة الاستقبال.

يلتفتُ نحوي. ويبدو، للحظة قصيرة، مُفاجَأً، بل مندهشاً، كأنني لا أشبه ما كان ينتظر. ثم يستردُّ زمامهُ ويمدُّ لي يده.

«جين. نعم، أكيد. لنجلس هنا».

يمكنني أن أعاشرَ هذا الرجل. لم أتبادل معه من كلام سوى التحية، لكنني وجدتُ الوقت لألاحظ أن شيئاً ما بداخلي، أعمق من إرادتي الواعية، قد أصدرَ حكمه. يمسك لي بابَ قاعة الاجتماع مفتوحاً، ويبدو فعلُ المجاملة البسيط هذا، مفعماً بالمعنى.

نجلس متقابلَين، على جانبي مائدة زجاجية طويلة، يتربّع فوقها نموذج مصغّر لمدينة صغيرة. أُحِسُّ بنظره يتجوّل فوق وجهي. عندما قرّرتُ أنه جذّابٌ، ولكن لا شيء أكثر، كان ذلك قبل أن أراهُ عن قُرب. عيناه تغلبُ عليهما زرقةٌ باهتة آسرة. أعلمُ أن عمره لا يتجاوز الثلاثين، غير أن تجاعيد تحفرُ وجهه عند زاويتَي عينَيه. تجاعيد تعبيرٍ، كانت تقول جدتي. بيد أنها تُضفي على وجه إدوارد مونكفورد قوّةَ افتراس الكواسر.

«هل انتصرتَ؟» أسألُ، بما أنه لا يقول شيئاً.

يبدو كأنّهُ يعود إلى الأرض. «ماذا تقصدين؟».

«الشِّجار».

«آه، هذا». يهزُّ كتفَيه ويبتسم، الأمر الذي يُضفي رقّةً سريعة على ملامحه. «تقتضي بناياتي مجهوداتٍ من لدن الناس، يا جين. لا أعتقد أنها غير مقبولة، وفي كل الأحوال تُعوِّضُ عواملُ الرِّضى التضحيات بشكلٍ كبير. وأفترض أنك هنا لهذه الأسباب، بشكلٍ ما».

«آه حقّاً؟».

«يستعملُ ديفيد، شريكي، الأخصائي في التكنولوجيات الجديدة، مصطلح UX[1]، رطانة يقصد بها «تجربة المستعمِل». كما تعلمين، بما أنك قد اطّلعتِ على مبادئ العَقد وشروطه، يمنحنا بيتُ وَنْ فولغيت ستريت عدداً معيّناً من المعلومات تفيدنا في تدقيق تجربة المستعمِل من أجل زبائننا الآخرين».

كنتُ قد اكتفيتُ بتصفّح تلك الوثيقة، التي تتكون من عشرين صفحة، مكتوبة بحروف صغيرة. «أيُّ صنفٍ من المعلومات؟».

يهزُّ كتفيه مرة أخرى. كتفان عريضتان، بيد أنهما دقيقتان، تحت السترة.

«بيانات تعريفية، في الأساس. ما هي الحجرات التي تستعملينها أكثر، هذا النوع من الأمور. ومن حين إلى آخر سنطلبُ منكِ أن تملئي الاستمارة من جديد، لكي نرى كيف تتطور إجاباتك».

«لن يطرح ذلك أيَّ إشكال»، أقولُ. وأضيفُ، خشية أن أبدو مغرورة: «إذا واتتني الفرصةُ، بالطبع».

«رائع».

يمدُّ إدوارد مونكفورد يدَهُ نحو طبقٍ وُضِعت فوقه فناجين القهوة، وإبريق حليب، وآنية تحتوي على قطع السكّر الملفوفة. ويشرع بشكل

---

(1) من User Experience. (المترجم)

آليٌّ في مراكمة قطع السكّر، وهو يُرتِّبها إلى أن تُشكِّلَ مجموعاً متكاملاً، نوعاً من مكعب روبيك[1]. ثم يُحوِّلُ الفناجين لكي تشير جميعُ مقابضها إلى الاتجاه نفسه.

«بل قد أطلبُ منكِ أن تلتقي ببعض زبائننا، لمساعدتنا على إقناعهم بأن العيش من دون مطبخ أغا أو واجهة مليئة بكؤوس الرياضة ليس نهاية العالم».

ترتسم ابتسامةٌ أخرى في زاويتَي عينَيه وأشعرُ بركبتَيّ ترتعدان. **هذا الأمر ليس دأبي**. ثم أتساءلُ: **هل الأمر متبادل؟** وفي المقابل، أوجِّهُ إليه ابتسامةَ تشجيعٍ صغيرةً جدّاً.

صمتٌ. «حسن يا جين. هل لديكِ أسئلة تودّين طرحَها عليّ؟».

أُفكِّرُ. «بنيتَ وَنْ فولغيت ستريت من أجلك؟».

«أجل». لا يسترسل في الجواب.

«فأين تسكن إذاً؟».

«في الفندق، أساساً. قريباً من المشاريع التي أشتغل عليها. أمرٌ يمكنُ تحمُّلُهُ، بشرط إخفاء جميع الوسائد في الخزانة».

يبتسمُ مرة أخرى، لكنني أخمِّنُ أنه لا يمزح.

«ألا يضايقك ألّا يكون لك بيتك الخاص؟».

«هذا يسمح لي أن أُركِّزَ على عملي».

لا تُحفِّزُ لهجةُ جوابه على طرح أسئلة أخرى.

يدخل رجلٌ إلى الحجرة، ويتعثّرُ مصطدِماً بالباب، وهو يدلقُ

---

(1) لغز في شكل مكعب من البلاستيك، مغطّى بمربعات متعددة الألوان، يحاول اللاعبُ تحريكها وتحويلها بحيث تُصبح كل المربعات الموجودة على كل وجه من وجوه المكعب من اللون نفسه. (المترجم)

طوفاناً من الكلمات. «إيذْ، يجب أن نتحدث حول الصبيب. هؤلاء الأوغاد يحاولون الاقتصاد في الألياف البصرية. لا يُدركون أن بعد مئة عام، ستكون الأسلاك النحاسية غير صالحة مثل الأنابيب الرصاصية اليوم..».

الدخيلُ رجلٌ ضخم، مُهمَلُ المظهر؛ تُغطي وجهَهُ الممتلئَ المترهِّلَ لحيةٌ شعثاءُ وغيرُ منتظمة. شعرُهُ، الأشدّ شيباً من لحيته، معقود بهيئة ذيل حصان. ويرتدي، على الرغم من وجود مكيِّف الجو، سروالاً قصيراً وشبشباً.

لا يبدو مونكفورد منزعجاً من هذه المقاطعة. «ديفيد، أُقدِّمُ لك جين كافنديش. تُقدِّمُ طلباً من أجل وَنْ فولغيت ستريت».

لا بدَّ أن الأمر، إذاً، يتعلق بديفيد تيبل، الشريك الأخصّائي في التكنولوجيات الجديدة. تتحوّلُ عيناه الغائرتان بشكلٍ لا يسمح لي بتمييز تعبيرهما، إليَّ ثم تعودان بسرعة إلى مونكفورد. «بصراحة»، يستأنف كلامه، «الحلُّ الوحيد هو أن تمتلك المدينةُ قمراً صناعيّاً خاصّاً بها. يجب أن نبدأ كل شيء من جديد...».

«قمر صناعي خاص؟ هذه فكرة مهمة»، يقول مونكفورد، حالماً. يلتفتُ نحوي. «جين، أخشى أن أكون مضطرّاً أن أعتذر منكِ في هذه اللحظة».

«بالتأكيد».

عندما أنهضُ، تُسرعُ عينا ديفيد تيبل إلى رجلَيّ العاريتَين. ينتبه مونكفورد إلى ذلك في الحين، فيُظلِمُ انعقادُ الحاجبَين وجهه. أشعرُ أنه سيقول شيئاً، لكنه يمتنع.

«شكراً على استقبالي»، أقول.

«سأتصلُ بك سريعاً».

الأمس: إيما

ثم أتوصّلُ، في الغد نفسه، برسالة إلكترونية: **طلبُ ترشحكم نال الموافقة.**

لا أتمكن من تصديق الأمر، خصوصاً أن الرسالة ليس بها أي شيء آخر: لا شروحات ولا معلومات حول تاريخ الانتقال للسكن في البيت أو حول ما يُفترَضُ أن نفعل بعد ذلك. أطلبُ بالهاتف الوكيلَ العقاريّ، مارك. بدأتُ أعرفُهُ الآن جيداً، منذ أن انشغلت بكدٍّ ذهني من أجل ملء تلك الاستمارة. في الحقيقة، ليس كريهاً مثلما كنتُ أتمثّلهُ في البداية.

يبدو مسروراً حقيقة عندما أنقلُ إليه الخبر.

- بما أن البيت خالٍ، يقولُ، تستطيعان الانتقال إليه منذ نهاية الأسبوع المقبل لو تشائين. هناك أوراق تحتاج إلى توقيعات، ويجب أن أشرح لكما كيفية تثبيت البرامج في الهاتف. لكن هذا تقريباً كلُّ شيء.

هذا تقريباً كلُّ شيء. أبدأ أُدركُ أننا توفّقنا. سنعيشُ في أحد أشهر منازل لندن. نحن. أنا وسايمن. كلُّ شيء سيكون مختلفاً إذاً.

3. أنتِ مسؤولة في حادث سير. السائقة الأخرى مضطربة ويبدو أنها تعتقد أنها مسؤولة عن الاصطدام. أتقولين للشرطة إنه خطأها أم خطأك؟

❍ خطأها
❍ خطأك

الآن: جين

أشعرُ، وأنا جالسةٌ وسط ديكور وَنْ فولغيت ستريت العاري والمتقشّف، بقدر كبير من الرِّضى.

يقع بصري على فراغ الحديقة النقيّ. اكتشفتُ سبب خلوّ المكان من الورود. وأعرفُ من الإنترنت أنه يستلهمُ الكاريسانسوي. حدائق التأمل في المعابد البوذية. الأشكالُ رمزيةٌ: جبل، وماء، وسماء. فهو فضاء مرصودٌ للتأمل، وليس لإنبات أيِّ شيء.

قضى مونكفورد عاماً في اليابان، بعد موت زوجته وابنه. وذاك ما أوحى لي بفكرة القيام بهذا البحث.

حتى الاتصالات بالإنترنت هنا مختلفة. وبعد أن قمتُ بتحميل البرنامج على هاتفي وحاسوبي المحمول، سلّمتني كاميلا سواراً خاصاً يُفعِّلُ لواقطَ البيت؛ اتصلَت بالواي-فاي وأدخلَت كلمة المرور. ومنذئذ، كلما شغّلتُ آلةً، لا أقع على غوغل أو سافاري، بل على صفحة بيضاء، عنوانها «Housekeeper»[1]. لا يوجد سوى ثلاث علامات تبويب: «البيت»، «أبحاث»، و«سحابة». «البيت»

(1) أي مدبِّرة البيت، أو المسيِّرة. (المترجم)

يُظهر جميع المعطيات المتعلقة بِوَنْ فولغيت ستريت - الإضاءة، والتدفئة. . . إلخ. يمكن الاختيار بين أربعة أجواء؛ مُنتِج، هادئ، بهيج، محدَّد. التبويب «أبحاث» يقودني إلى الإنترنت. «السحابة» تضمن حفظ وثائقي وتخزينها.

كل يوم، يقترح عليّ Housekeeper نوعَ اللباس، وفق أحوال الجو، ومواعيدي، وثيابي التي تنتظر التنظيف. وإذا أكلتُ في البيت، تُبيِّنُ لي الأطعمة الموجودة في الثلاجة، كيف أطهوها، وعدد الكالوريات الذي سينضاف إلى المجموع اليومي. ومن جهته، تقوم وظيفة «أبحاث» بتصفية الإشهارات والاقتحامات التي تعدني ببطنٍ ضامر، والأخبار التي تصيبني بالكآبة، والرطانة حول الشخصيات الوهمية، والاختراقات، والبرمجيات الدخيلة. لا وجود للمفضَّلة، ولا للتأريخ، ولا للمعطيات المسجَّلة. كلٌّ شيء يُمحى بمجرد إطفاء الشاشة. أمرٌ محرِّرٌ بشكلٍ غريب.

أحياناً، أصبُّ لي كأسَ خمر وأتجوّلُ في الشقة، لألمسَ الأشياء، وأعتاد على الأنسجة الباردة والنفيسة، وإعادة كرسيّ أو آنية إلى وضعها الدقيق. طبعاً، كنتُ أعرف عبارة ميس فان دير روه[1]، Less is more[2]، لكن إلى الآن لم أشعر كم يمكن أن يكون التجرّدُ شهوانياً، وكثيفاً، ومُبهِجاً للحواس. الأثاث القليل كلُّهُ كلاسيكيّ في تصميمه: كراسي قاعة الطعام لهانس فيغنر[3] من السنديان الناصع،

---

(1) مهندس ألماني (1886-1969)، حصل على الجنسية الأميركية عام 1944. تميّزت تصميماتُه بأشكال واضحة واستعمال مكثّف للزجاج والفولاذ والخرسانة. (المترجم)

(2) القليل كثيرٌ. (المترجم)

(3) مصمِّم دانماركي (1914-2007). (المترجم)

وكنبة ليسوني[1] ذات الخطوط الخالصة. ومن جهة أخرى، يُقدِّمُ البيتُ عدداً من الإكسسوارات البسيطة، منتقاة بتقتير، لكنها رفيعة: مناديل تنظيف سميكة بيضاء، ملاءات صوفية عالية الكثافة، كؤوس خمر من زجاج منفوخ ذوات قوائم دقيقة مثل ميزان الحرارة. يشكِّلُ كلٌّ تفصيلٍ مفاجأةً، ومدحاً خفيّاً للقيمة النوعية.

لديّ انطباعٌ أني شخصية في فيلم سينمائي. أتفاجأ، وسط هذه الأشياء الرفيعة، وأنا أخطو بأناقة أكبر، وأقف مستقيمة، وأتّخذُ هيئاتٍ مميَّزة. لا أحد يستطيع أن يراني، طبعاً، بيد أني أتصرّفُ كأن وَنْ فولغيت ستريت أصبح جمهوري الخاص، يملأ هذه الفضاءات المجرّدة بقطع موسيقية مهدِّئة، والأشرطة الصوتية الصادرة عن مُشَغِّل الموسيقى الأتوماتيكي المدمج في الـHousekeeper.

طلبك مقبول. هذا ما كانت تقوله الرسالة الإلكترونية. وكان قصر وقت المقابلة قد بدا لي مثل علامة سيّئة، ولكن يبدو أن إدوارد مونكفورد يميلُ إلى الدقّة في جميع المجالات. وأنا على يقين أنني لم أتخيّل ذلك الاهتمام غير المعبَّر عنه، تلك الدّفقة الكهربائية التي يُسبِّبُها انجذابٌ متبادل. **يعلمُ أين يجدني**، هذا ما أقوله لنفسي. الانتظار نفسه مُفعَمٌ بالكثافة، والشهوانية، مثل غزلٍ صامت.

ثم، هناك الورود. يوم انتقالي إلى هنا، كانت الورود تنتظرني أمام الباب: باقة زنابق هائلة، ملفوفة بالبلاستيك. لكن ليس هناك رسالة، لا شيء يفيد إن كان يستقبل هكذا جميعَ المكترين أم أن تلك معاملة يخصّني بها. المهم أني وجّهتُ إليه شكراً مؤدّباً.

بعد يومين، أجدُ باقة زنابق أخرى، مماثلة. وبعد أسبوع،

---

(1) مهندس ومصمّم إيطالي، ولد عام 1956. (المترجم)

واحدة أخرى. الباقة نفسها تماماً، موضوعة في المكان نفسه، أمام الباب. يغمرُ عطرُها المسكِرُ كلَّ ركن في وَنْ فولغيت ستريت. بصراحة، زاد الأمرُ عن حدّه قليلاً.

وعندما أكتشف الباقة الرابعة المطابِقة، أُقرِّرُ وضع حدٍّ للأمر. يوجد اسم بائع الورود مطبوعاً فوق ورق القصدير الذي لُفَّت فيه الورود. أطلبهم بالهاتف لأسألهم إن لم يكن في الإمكان تغيير الطلب.

تبدو المرأةُ في الطرف الآخر من الخط حائرةً. «لا أجدُ أيَّ طلب من أجل وَنْ فولغيت ستريت».

«ربما باسم إدوارد مونكفورد؟ أو شركة مونكفورد؟».

«لا، لا شيء من كل هذا. في الحقيقة لا يوجد أيُّ طلب في ناحيتكم كلها. نحن محلُّنا موجود في هاميرسميث، ولا يصل توزيعُنا إليكم بعيداً في الشمال».

«طيب»، أقول حائرة.

في اليوم الموالي، عند وصول باقة الزنابق، ألتقطُها وفي نيّتي أن ألقي بها مباشرة في سلة المهملات.

في تلك اللحظة أكتشفُ بطاقةً مرفَقَةً لأول مرة. كُتِبَ فيها:

إيما، سأحبّكِ إلى الأبد. نامي جيداً حبيبتي.

الأمس: إيما

البيت رائعٌ مثلما كنّا نرجو. أو على الأصح، مثلما كنتُ أرجو. سايمن يساير الأحداث، ولكنني أشعرُ أنه لا تزال لديه تحفّظات. أو ربما لا يحب الشعور بأنه مدينٌ للمهندس الذي يسمح لنا بالسكن هنا مقابل لقمة خبز.

غير أنه شديد الإعجاب برشاش الاستحمام، العريض مثل صحن، والذي يشرعُ في صبِّ الماء بمجرد أن تَفتحَ بابَ قمرة الاستحمام، التي تتعرف إليك بفضل السِّوار المختوم الذي يجب أن نحمله ويتذكر درجةَ حرارة الماء التي تُفضّلها. نستيقظ، في الصباح الأول، مع الإضاءة التي تتزايد شيئاً فشيئاً، شروق شمس إلكتروني، بينما تكبح الجدرانُ والزجاجُ السميكُ أصواتَ الشارع؛ وأنتبه إلى أني لم أنمْ جيداً بتلك الطريقة منذ سنوات.

لا يستغرقُ منّا تفريغُ الصناديق وقتاً طويلا، بالطبع. توجد أشياء كثيرة جميلة في البيت، وتلتحق أمتعتُنا سريعاً بـ«المجموعة» في خزانة حفظ الأثاث.

أظلُّ في بعض الأحيان جالسة فوق السلَّم، ممسكة بفنجان قهوة، ركبتايَ مجَمَّعتان تحت ذقني، لكي أنغمس في كل هذا

الجمال. لا تهرقي قهوتك، حبيبتي، يقول سايمن. صار الأمرُ دعابة بيننا. لقد اتفقنا على أننا إنما حصلنا على هذا البيت، لأنني هرقتُ فنجان قهوتي.

لا نتحدّثُ أبداً عن كون مونكفورد قد وصف سايمن بالأحمق، ولا عن عدم ردٍّ فعل سايمن.

- أأنت سعيدة؟ يسألني وهو يلحق بي ليجلس إلى جانبي فوق درج.

- أجل، أنا سعيدة، أقول. لكن. . .

- تريدين الرحيل، يقول. لقد سئمتِ الأمر. كنت أعرف ذلك.

- هذا الأسبوع عيد ميلادي.

- آه فعلاً؟ كنتُ قد نسيتُ.

يمزحُ، طبعاً. دائماً ما يغالي سايمن في عيد الحبّ أو في عيد ميلادي.

- ما رأيكَ أن ندعو أشخاصاً؟ أقترح.

- تقصدين أن نقيم حفلاً؟

أؤكّد الأمر بهزّة من رأسي.

- السبت؟

يبدو سايمن قلقاً.

- أيحقُّ لنا أن نقيم حفلات هنا؟

- لن يكون الأمرُ فوضى، أقول. ليس كالمرة الأخيرة.

أقول هذا لأننا عندما نظّمنا حفلاً في المرة الأخيرة، اتصل ثلاثة جيران بالشرطة.

- طيب، اتفقنا، يقول متردِّداً. حسناً، ليكن يوم السبت.

يوم السبت في التاسعة ليلاً، البيتُ مزدحمٌ بالناس عن آخره. وضعتُ شموعاً فوق جميع درجات السلَّم، وفي الخارج في الحديقة، وخفّفتُ الإضاءة. في البداية، يُقلقني بعضَ الشيء، كونُ Housekeeper لا يملك ضمن تحديداته في ضبط الإضاءة «حفل». غير أنني راجعتُ القواعد، ولم أقف فيها على تحديد «الحفلات محظورة». ربما يكونوا قد أغفلوا ذلك، غير أن اللائحة هي اللائحة.

بطبيعة الحال، لا يُصدِّق أصدقاؤنا أعينهم وهم يتجاوزون عتبة البيت، ومع ذلك لا نَسلمُ من مزاحهم من قبيل: «أين ذهبت قطعُ الأثاث؟» و«ألمْ تُفرغوا بعد صناديقكم؟». يجد سايمن مبتغاه: يحبُّ أن يستثير حسدَ أصدقائه، كأن يمتلك ساعةً لم يحصل على مثلها أحدٌ بعد، أو آخِر تطبيق، أو الهاتف المحمول الأكثر إثارة للإعجاب. وها هو الآن يعيش في أرقى مكان في لندن. وأراهُ يعتاد على هذه النسخة الجديدة من ذاته، يعرضُ المطبخ بفخر، والنظامَ الذي يتحكم في باب الدخول، والمكابسَ الكهربائية -ثلاث فتحات بسيطة في جدار حجري-، وحتى الأدراج تحت السرير تختلف بين جهة الرجل وجهة المرأة.

كنتُ قد فكرتُ في أن أوجِّهَ الدعوةَ إلى إدوارد مونكفورد، غير أن سايمن أقنعني بالعدول عن الفكرة. والآن، بينما تتعالى أصواتُ أغنية كيلي مينوغ Can't Get You Out of My Head فوق رؤوس المدعوين، أقتنعُ أنه كان على صواب. سيمقتُ مونكفورد كلَّ هذا الضجيج، والفوضى، وهذه الأجسادَ المتمايلة. أراهنُ أنه سيُقِرُّ في الحال قاعدةً جديدةً وسيطرد الجميعَ خارج البيت. وأتمثَّلُ المشهدَ للحظة: يصلُ مونكفورد من غير دعوة، يوقِفُ الموسيقى ويأمر

الجميعَ بالانصراف، والغريب أني أجد الأمر لطيفاً. وهذا من العته، فإنما هو حفل عيد ميلادي.

يمرُّ سايمن أمامي، يداه مملوءتان بالزجاجات، ويميلُ عليَّ ليقبّلني.

- أنتِ رائعة، حبيبتي. أهذا فستان جديد؟

- أمتلكه منذ أزل، أكذبُ. يقبّلني من جديد.

- هيه أنتما، توجد فنادق من أجل ما تفعلان! يصيح بنا سول من فوق الموسيقى، بينما تجذبه أماندا إلى وسط جماعة من الراقصين.

يوجد كثير من الكحول، وقليل من المخدرات، وكمٌّ هائلٌ من الموسيقى والصراخ. ينتشر المدعوون في الحديقة الصغيرة ليُدخِّنوا فيتعرَّضون لشتم الجيران. وعند الساعة الثالثة صباحاً، يشرعُ ضيوفنا في الانصراف. ويقضي سول عشرين دقيقة، وهو يحاول أن يُقنعنا، أنا وسايمن، بمرافقته إلى ملهى ليلي، غير أني مهدودة، ويعترفُ سايمن بأنه قد أفرط في الشرب. وفي الأخير، ترافق أماندا سول إلى بيته.

- هيّا إلى النوم، إيما، يقول سايمن بعد انصرافهما.

- انتظر دقيقة. لستُ قادرة حتى على النهوض.

- رائحتكِ جميلة، آية في الجمال، يقول وهو يغمر أنفه في عنقي. هيّا بنا ننام.

- سايمن... أقول مترددة.

- ماذا؟

- لا أظن أني أشتهي ممارسة الجنس هذا المساء. آسفة.

أُفكِّرُ في أننا لم نمارس الجنس منذ حادث السّطو. وكذلك لم نتحدث فيما بيننا عن الأمر.

- كنتِ تقولين إن كلَّ شيء سيكون مختلفاً هنا، يهمس لي.
- قريباً. ولكن ليس الآن.
- نعم، بالتأكيد. لا داعي للاستعجال، إيما. لدينا ما يكفي من الوقت.

بعد ذلك بقليل، وبينما نحن متمددان جنباً إلى جنب في الظلام، يسألني بهمس:

- أتذكرين كيف احتفلنا بتدشين شقة بلفور غاردن؟

كان تحدِّياً أحمق فرضناه على أنفسنا: أن نمارس الجنس في جميع الحجرات خلال الأسبوع الذي تلا انتقالنا إلى الشقة.

لا يقول شيئاً آخر. يدوم الصمتُ، ثم أستسلم للنوم.

الآن: جين

أدعو أصدقاء للغداء، لاحتفالٍ صغيرٍ بالسكن الجديد. يأتي مِيَا وريشار رفقة طفليهما، فريدي ومارتا؛ ويصطحبُ بيث وبيت معهما سام. أعرفُ مِيَا منذ كامبريدج، فهي أقدم أصدقائي وأقربهم إليّ. أعرف عنها أشياء يجهلها زوجها، مثل تلك العطلة في إيبيسا، قُبيل زواجها، حيث مارست الجنس مع رجل آخر وكادت تُلغي كل شيء، أو كونها فكرت في الإجهاض عندما وجدت نفسها حاملاً بمارتا، بسبب كآبة ما بعد الوضع التي عانت منها إثر ولادة فريدي.

وعلى الرغم من أنني أحبُّ جميع هؤلاء الأشخاص، إلّا أنه ما كان عليّ أن أدعوهم مجتمعين. قمتُ بذلك لأن هذه أول مرة أسكن بيتاً بمثل هذا الاتساع، غير أنهم وإن اجتهدوا في المراعاة، فإنهم لا بدَّ أن ينتهوا إلى الحديث عن أطفالهم. يقتفي ريشار وبيت صغيريهما خطوة خطوة كأنهما مشدودان إليهما بروابط خفيّة؛ يخشيان الأرضية الحجرية، والسلَّم المميت، والنوافذ الممتدّة من الأرض إلى السقف والتي يمكن لطفل ألّا ينتبه إليها في عَدْوِهِ، بينما تتناول النساءُ كؤوس خمر أبيض كبيرة ويُسْرِرْنَ الشكوى، بفخر قدماء المحاربين، من كون

حياتهنّ قد صارت مُملّة. «في الأسبوع الماضي، غلبني النومُ أمام نشرة أخبار السادسة مساء!».

«هذا لا شيء، أنا يمكنني أن أنهار أمام التيليتابيز[1]». تتقيّأُ مارتا غذاءها فوق المائدة الحجرية، بينما يتركُ سام لطخات كبيرة فوق زجاج النوافذ بأصابعه المغموسة في قشدة الشوكولاتة. وأتفاجأ بتفكيري في كون الحرمان من الأطفال له مزاياه. ويودُّ جزءٌ مني لو أنهم ينصرفون كي أتمكّن من تنظيف كل شيء.

ثم هناك ذلك الحوار الغريب مع مِيَا. فبينما تساعدني في إعداد السّلَطة، تقول لي: «جين، أين هي الملاعق الأفريقية؟».

«آه، تبرّعتُ بها للمتجر التضامني».

«أنا التي أهديتُكِ إيّاها».

«أعلم».

كانت مِيَا قد سافرت، ذات زمن، إلى أفريقيا في عمل تطوعي، وجلبت لي معها ملعقتَي سَلَطة خشبيتَين صنعهما الأطفال يدويّاً.

«لم تتجاوزا الإقصائيات. آسفة. أيزعجكِ الأمرُ؟»

«أوه، لا»، تجيبُ، بادية الانزعاج بعض الشيء.

من الواضح أن الأمر يُضايقها. غير أننا نكاد ننتهي من إعداد الغداء فلا تعود تفكر في ذلك.

«أخبريني جين، أين وصلَت حياتُك الاجتماعية؟»، تسألُ بيث وهي تصبُّ لنفسها كأساً ثانية من الخمر الأبيض.

«الهدوء الرتيبُ المعتاد». هذا هو الدور الذي أُنيطَ بي في

---

(1) Teletubbies: برنامج خاص بالأطفال، يُعرض عادة في وقت مبكّر. (المترجم)

المجموعة منذ سنوات: أن أجعلهم يعيشون بالنيابة حكاياتِ فواجعَ جنسيةٍ تمنحهم الإحساسَ بكونهم لم يُضربوا تماماً عن هذه الأشياء، وتُطمئنُهُمْ لأنهم يُقنعون أنفسهم أنهم، في وضعهم، أكثر سعادة.

«ومع مهندسكِ؟»، تسأل مِيَا، «ألم تَصِلي إلى شيء؟».

«آه، لم أكن أعلم بالأمر»، تقول بيث. «احكِ».

«تعشقُ الشخصَ الذي بنى هذا البيت»، تشرحُ مِيَا. «أليس كذلك، جين؟».

أخذ بيت سام إلى الخارج. يجلس الولدُ الصغير على جانب مربع العشب، ويرمي فيه ملء قبضته حجارةً صغيرة. هل سينعتونني بمعكِّرة البهجة إن أنا طلبتُ منه أن يتوقف عن ذلك؟

«لم أشرع بعد في أي شيء»، أقول.

«لا تتلكّئي»، تنصحني بيث. «ضعي يدك عليه قبل أن يفوتك الأوان». تصمتُ، وقد أرعبَتْها كلماتُها. «تبّاً، ما كنتُ أقصدُ هذا بكلامي..».

يُمزِّقُ الحزنُ والقلقُ قلبي، غير أني أقول بهدوء:

«لا تبالي. لقد فهمتُ ما تقصدين. وعلى كل حال، يبدو أن ساعتي البيولوجية قد دخلت في السُّبات هذه الأيام».

«آسفة على كل حال. كان كلامي أخرق بشكل فظيع».

«تساءلتُ إن لم يكن مهندسُكِ هو من في الخارج»، تقول مِيَا.

أعقدُ حاجبَيّ. «عمَّ تتحدثين؟».

«عندما ذهبتُ لجلبِ بِطْريقِ مارتا من السيارة، منذ لحظات، رأيتُ رجلاً يتقدّمُ نحو بابكِ حاملاً باقة ورد».

«أيّ نوع من الورود؟».

«زنابق. جين؟».

هرعتُ نحو الباب. يحيّرني لغزُ الورود منذ اكتشفتُ تلك البطاقةَ الغريبة. وعندما أفتح الباب، أجدُ الباقة موضوعة فوق العتبة والرجل يكاد يصلُ إلى الشارع. «مهلاً!» أصيح به. «انتظر دقيقة!».

يلتفتُ نحوي. تقريباً من عمري، ربما أكبر مني بعامَين أو ثلاثة، ذو شعر بنيّ يخطُّهُ شيبٌ مبكّر. ملامحه متعبَةٌ ونظرته قوية بشكلٍ غريب.

«نعم؟».

«من أنتَ؟» أشير إلى الباقة. «لماذا تحمل إليّ كلَّ هذه الورود؟ اسمي ليس إيما».

«هذه الورود ليست من أجلك، بطبيعة الحال»، يجيبُ باحتقار. «لهذا السبب تركتُ رسالةً، لكي يكون الأمر واضحاً في دماغكِ بأنها ليست مرصودة لتُبهِجَ مطبخك الجيد التصميم».

يتوقف عن الكلام، ثم يضيف:

«غداً، عيد ميلادها. أو على الأصحّ، كان يمكن أن يكون».

أخيراً أفهمُ. هذه الورود ليست هديّة، بل من أجل الذكرى. مثل تلك الباقات التي يضعها الناسُ فوق مكان حادث. أصفعُ نفسي ذهنياً: لم أضع في حسباني هذه الإمكانية بسبب هوسي بإدوارد مونكفورد.

«أنا آسفة»، أقول. «هل هي؟... هل حدث ذلك هنا؟».

«في هذا البيت». يشير إلى وَنْ فولغيت ستريت خلفي وأشعرُ بقشعريرة تعبرُ عمودي الفقري. «ماتَت هنا».

أضيفُ، وأنا أخشى أن أبدو فضولية: «أعرف أن هذا ليس من شأني...».

«هذا يتعلق بمن تطرحين عليه سؤالك»، يقاطعني.

«ماذا تعني؟»

يحدجني بنظرة ثابتة، باديَ الذهول.

«لقد قُتِلَت. قرَّرَ الطبيبُ الشرعي أن الموت كان من دون سبب محدَّد، غير أن الجميع، بما فيهم الشرطة، كان يعلم أنها قُتِلَت. أولاً، سمَّمَ عقلَها، ثم قتَلها».

أتساءلُ، للحظاتٍ، إن كان كلُّ هذا يحملُ معنى، إن لم يكن هذا الرجلُ مجنوناً، بكل بساطة. لكنه يبدو شديد الصدق، وعادياً بشكل كبير.

«من فعل ذلك؟ من قتَلها؟».

يكتفي بهزٍّ رأسه قبل أن يُوليني ظهره لينطلق نحو سيارته.

الأمس: إيما

لا نزال نائمَين، بعد حفل أمس، عندما يرنُّ هاتفي. هاتفٌ محمولٌ جديد، عوّضتُ به الهاتف الذي سُرِقَ مني أثناء عملية السّطو، وأحتاج إلى بعض الوقت لأستيقظ على هذا الرنين غير المعتاد. لا أزالُ شبه مخدّرة بالنوم، غير أن ذلك لا يمنعني من أن ألاحظ أن الإضاءة في الغرفة ترتفع بارتفاع إيقاع صوت الهاتف، وأن النوافذ بدورها تزداد إضاءتُها شيئاً فشيئاً.

- إيما ماتيوس؟ يسألني صوتٌ نسائي.

- نعم؟

صوتي مبحوح.

- معك الرقيبة ويلان، من فرقة القرب. أنا الآن أمام بيتكم رفقة زميل. قرعنا جرس الباب، لكن لا أحد أتى ليفتح. أيمكننا الدخول؟

كنتُ قد نسيتُ أن أُعلم الشرطة بانتقالنا إلى المسكن الجديد.

- لم نعد نسكن في ذلك العنوان، شرحتُ لها. نسكن الآن في هِندون. في وَنْ فولغيت ستريت.

- لحظة، تقول الرقيبة ويلان. لا بدَّ أنها تضع الهاتف فوق صدرها لتخاطبَ شخصاً آخر، لأن صوتها يصلني مخنوقاً. ثم:

- سنكون عندك بعد عشر دقائق، إيما. طرأ جديدٌ في قضيتكِ.

قبل أن يَصِلا أعدْنا ترتيب كل شيء تقريباً. لا تزال بعض بقع الخمر الأحمر فوق الأرضية الحجرية، والتي يجب أن نهتمَّ بتنظيفها فيما بعد، ثم إن وَنْ فولغيت ستريت لا يعرضُ أبهى وجوهه، غير أن الرقيبة ويلان تبدو مُعجَبَة على الرغم من كل ذلك.

- هذا البيت يختلف عن شقتك السابقة. تُعلِّقُ الرقيبةُ وهي تجول بنظرها في الديكور.

قضيتُ المساء كلَّه أشرح **القواعد** لأصدقائنا ولا أملك الشجاعة أن أُكرِّرَ الأمر مرة أخرى.

- نكتريه بأجرة غير مرتفعة، أقول، وفي المقابل نعتني به.

- قلتِ إن هناك طارئاً في القضية، يقول سايمن مستعجلاً. أقبضتُم على ذينك الشخصَين؟

- أجل، أعتقد أنهما من اعتقلنا، يجيبُ زميلُ ويلان، رجل أكبر سنّاً، المفتِّش كلارك. يتحدّثُ بلهجة هادئة، وبصوت عميق، ذو خدّين أحمرين وبنية فلاح. يروقني في الحال.

- اعتُقِلَ شخصان يوم الجمعة مساء بينما كانا يسطوان على شقّة وفق أسلوب عمليات شبيه بالأسلوب الذي استُعمِل في شقتكما. وعندما انتقلنا إلى عنوان في مقاطعة لويشام، اكتشفنا عدداً من الأشياء المسجّلة في قاعدة بياناتنا.

- هذا رائع، يقول سايمن بفرح. يلتفت نحوي. هيه، إيما؟

- ممتاز، أقول.

يلي ذلك صمتٌ.

- نودُّ الآن إيما، وقد بدأت تلوحُ إمكانيةُ عقد محاكمة، أن نطرح عليك بعض الأسئلة الإضافية. ربما تفضّلين أن يتمّ الأمر في لقاء خاص؟

- لا، ليس في الأمر أي مشكل، يجيب سايمن. قبضتم على المجرمَين، وهذا أمرٌ جيّد، وسنقومُ بكل ما في وسعنا لمساعدتكم. أليس كذلك إيما؟

تواصِلُ الرقيبة النظر إليّ.

- إيما؟ هل تفضّلين أن تجيبي عن أسئلتنا من غير أن يكون سايمن حاضراً؟

كيف يمكنني الجواب بنعم عندما يُطرح السؤال بهذه الطريقة. وفي جميع الأحوال لا وجود لمكان يمكن الاختلاء فيه بهذا البيت، فجميع الحجرات يؤدّي بعضُها إلى بعض، من دون أي باب، حتى بين الغرفة والحمّام.

- هنا، مناسب جدّاً، أقولُ. أسيتوجّبُ عليّ الذهاب إلى المحكمة؟ أقصدُ، من أجل الإدلاء بالشهادة؟

يتبادل الشرطيان نظرة.

- هذا يتعلق بهل سيعترفان بجريمتهما أم لا، تجيب الرقيبة ويلان. نرجو أن تكون الأدلةُ قوية بحيث لا يستطيعان الإنكار.

وبعد صمتٍ جديد:

- إيما، اكتشفنا عدداً من الهواتف المحمولة في العنوان الذي أشرنا إليه. واستطعنا أن نحدّد هاتفك.

ينتابني فجأة إحساس بنذير سوء. تنفَّسي، أقول لنفسي.

- بعض تلك الهواتف، تستأنف كلامها، كان يحمل صوراً وفيديوهات، صوراً فاضحة لنساء.

أنتظر. أعلم ما سَيَلي، لكن يبدو لي من الأيسر ألّا أقول شيئاً، أن أترك الكلمات تمرُّ فوق رأسي كأنها غير حقيقية.

- إيما، وجدنا في هاتفك الدليلَ على أن رجلاً شبيهاً بأحد الشخصَين اللذين قبضنا عليهما استعمله ليصوِّر نفسه في شريط بينما كان يقوم بعلاقة جنسية معك. أيمكنك أن تخبرينا أكثر عن الأمر؟

أحسُّ بسايمن يلتفتُ فجأة نحوي. لا أنظر في اتجاهه. يتمدّدُ الصمتُ مثل خيط زجاجٍ مُذابٍ، يزداد دقةً أكثر فأكثر إلى أن ينكسر في الأخير.

- أجل، أجيبُ أخيراً، بصوت شديد الضعف حيث إني لا أكاد أسمعه. لا أعي سوى الطرقات في أذنَيّ. غير أني أعرفُ أني يجب أن أقول شيئاً، لا يمكنني أن أواريَ كلَّ شيء.

إذاً، أتنفّسُ بعمق وأنطلقُ.

- كان يقول إنه سيبعثُ الشريطَ إلى الجميع. إلى جميع معارفي. أرغمني على. . . القيام بذلك. ما شاهدتموه. واستعمل هاتفي لتصويرنا.

أصمتُ. أشعرُ أني أنظر في الفراغ من فوق حافة جرفٍ.

- كان لديه سكّين، أقول.

- خذي وقتك، إيما. أعرفُ مدى صعوبة الأمر. تقول الرقيبة ويلان، بلطف.

لا أجد الشجاعةَ للنظر إلى سايمن، غير أني أُرغمُ نفسي على الاسترسال.

- قال أيضاً إنه سيعلمُ بالأمر إن أنا أخبرتُ أحداً بذلك -الشرطة أو صاحبي- وسينشر الشريط حينئذ. كان هاتفي المهنيَّ أيضاً، وفيه أرقام جميع من أتصلُ بهم. رئيسي في العمل. وزملائي. وعائلتي.

يتدخلُ المفتّش كلارك، كأنه يعتذر:

- شيء آخر، يقول... نحن ملزمون بأن نطرح عليك السؤال، أخشى ذلك. أيمكن أن يكون ذلك الرجل قد ترك آثار حمضه النووي؟ ربما في الفراش؟ أو فوق الملابس التي كنت تلبسينها؟

أنفي بحركة من رأسي.

- فهمتِ السؤالَ، أليس كذلك إيما؟ تُلحُّ الرقيبة ويلان.

أرى، بطرف عيني، سايمن يشدُّ قبضتَيه.

- أخذ كل الاحتياطات، أقول بصوت ضعيف. قال إن عليه إخفاء جميع الآثار حتى لا تستطيع الشرطةُ التقاطَ حمضه النووي بالذات. إذاً، كنتُ أعلمُ أن الحديث إليكم عن ذلك لن يفيد في شيء. أنا آسفة.

تمكّنتُ، هذه المرة، من أن أنظر إلى سايمن. وأكرّرُ:

- أنا آسفة

صمتٌ طويل مرة أخرى.

- في إفادتك السابقة، إيما، يستأنفُ المفتّش كلارك بلطف، قلتِ إنك لا تتذكرين بالتدقيق ما جرى أثناء عملية السّطو. هل يمكنك، من أجل أن نتمكن من الفهم، أن تشرحي لنا، بكلماتك أنت، لمَ قلتِ ذلك؟

- كنتُ أريدُ أن أنسى ما حدث، أقولُ. لم أكن أريدُ أن أعترف أني أَشَدُّ خوفاً من أن أخبر بذلك أيّاً كان. كنتُ أشعر بالعار.

أُجهشُ بالبكاء. وأضيف:

- لم أكن أريدُ أن أضطرَّ إلى الاعتراف لسايمن.

جعلنا صوتُ ارتطامٍ نقفز. رمى سايمن فنجانه على الجدار. تتناثر شظايا الخزف الأبيض فوق الأرضية وتنتشر لطخاتٌ بُنِّيَّةٌ فوق الجدار الحجري الصافي.

- سايمن، انتظرْ! فاتَ الأوان، لقد انصرف.

أسألُ، وأنا أُجفِّفُ دموعي بكمّي:

- أيمكن أن تستعملوا تلك الصور؟ من أجل إدانته؟

مرة أخرى، يتبادل الشرطيان نظرةً.

- هذه وضعية حساسة، تجيب الرقيبة ويلان. في أيامنا هذه، يطالبُ المحلّفون بآثار الحمض النووي. وشريط الفيديو لا يسمح بالتعرّف إلى المشتبه فيه بطريقة قاطعة. كان حريصاً على ألا يُظهر وجهه... ولا السكين.

تتوقف برهة، ثم:

- ومن جهة أخرى، نحن ملزمون بأن نخبر الدفاعَ بأنك صرّحتِ أوّلَ الأمر أنك لا تتذكرين شيئاً. أخشى أن يحاولوا استعمال هذا ضدّك.

- تحدثتما عن هواتف أخرى، أقولُ بصوت مطفأ. أولئك النسوة ألا يمكنهنّ أن يُدلينَ بأدلة؟

- نظنُّهُ، بالفعل، قد أخضع نساء أخريات للمعاملة نفسها، يقول المفتش كلارك. المعتدون، وخصوصاً المعتدون جنسياً، لديهم ميلٌ إلى أن يتبنّوا دائماً الطريقة نفسها. يعيدون إنتاج ما يُصلح، ويتركون ما لا يصلح. بل يجدون نوعاً من اللذّة في ذلك التكرار،

ويصبح طقساً من نوع ما. وللأسف، لم نتمكن بعد من العثور على أثر ضحاياه الأخريات.

- تقصدان أن ولا واحدة منهنّ تقدّمت بشكاية؟

أفهم ما يقتضيه ذلك. أفلحَت تهديداتُهُ: النساء الأخريات لم يقلن شيئاً.

- هذا ما يبدو، يؤكّد المفتشُ كلارك. إيما، أفهمُ سببَ رفضكِ الكلام مع أيٍّ كان قبل الآن. لكن من المُهمّ أن نحصل على سردٍ مفصَّلٍ لما حصل. أتوافقين على المجيء إلى المكتب لاستكمال إفادتك الأولى؟

أهزُّ رأسي، برخاوة. يلتقط سترته.

- شكراً على صراحتك، يقول. أعلمُ مدى صعوبة الأمر. لكن يجب أن تفهمي شيئاً: وفق القانون، إن أي نوع من العلاقات الجنسية القسرية، مهما كان نوعها، يُعتبر اغتصاباً. وهذا الشخص يجب أن يدفع ثمن فعلته.

يظلُّ سايمن غائباً أكثر من ساعة. أثناء هذا الوقت أجمعُ شظايا الفنجان وأنظّفُ الجدار. كأنني أفركُ لوحة بيضاء، أقول لنفسي. غير أن ما كُتِبَ لا يمكن أن يُمحى.

عندما يعود، أحدِّقُ في وجهه، كي أتمكّن من استقراء حالته النفسية. عيناه حمراوان كأنه قد بكى.

- أنا آسفة، أقول بطريقة مثيرة للشفقة.

- لماذا، إيما؟ لماذا لم تُخبريني بذلك؟

- كنتُ أعتقد أنك ستغضب.

- كنتِ تعتقدين أني لن أكون مواسياً، هذا ما تحاولين أن

تقولينه لي؟ يبدو مندهشاً بقدر ما هو غاضب. كنت تعتقدين أن الأمر لن يهمّني؟

- لستُ أدري. لم أكن أريد التفكير في ذلك. كنتُ... كنتُ أشعر بالعار. كان من الأيسر بالنسبة إليّ أن أتصرّف كأنني نسيتُ كلَّ شيء. وكنتُ خائفة.

- بالله عليك إيما! أعلمُ أني أكون معتوهاً في بعض الأحيان، لكن أتعتقدين فعلاً أني يمكن ألّا أهتم للأمر؟

- لا... أسأتُ التصرّف. لكنني لم أكن أستطيع أن أخبرك بالأمر. أنا آسفة.

- كان مونكفورد على صواب، يقول. تعتبريني، في أعماقك، مجرّد أخرق.

- ما دخلُ مونكفورد في كل هذا؟

يشير إلى الأرضية، والجدران الحجرية الرائعة، والسقف بعلوِّهِ المهيب.

- نحن هنا من أجل كل هذا، أليس كذلك؟ لأنني لستُ في مستوى ما تطمحين إليه.

- الأمر لا يتعلقُ بكَ، سايمن. ثم إني لا أعتقد شيئاً من كل هذا.

يهزُّ رأسه وأرى أن غضبه قد تبخّر بالسرعة ذاتها التي تجلّى بها.

- لو أنكِ على الأقل أخبرتني بذلك، يقول.

- تعتقد الشرطة أنه يملكُ إمكانية الإفلات من العقاب.

أُقَرِّرُ أن أُلقيَ إليه بالأخبار السيّئة دفعة واحدة.

- ماذا؟ يتعجّب سايمن.

- لم يقولا لي ذلك بشكلٍ واضح. لكن بما أنني قد غيّرتُ إفادتي وأن ولا ضحية واحدة أعلنت عن نفسها، يعتقدان أنه يمكن أن يُفلت بجلده. ومن ثم يريان ألّا فائدة من الذهاب أبعد في القضية.

- آه، لا، يقول وهو يضرب بقبضتَيه فوق المائدة الحجرية. يمكنك أن تُصدِّقيني، إيما: إذا ما أُطلِقَ سراحُ هذا الوغد، فسأقتله بنفسي. وأنا الآن، أعرفُ اسمه: ديون نيلسون.

الآن: جين

بعد انصراف أصدقائي، أُشغِّلُ حاسوبي وأرقنُ «وَنْ فولغيت ستريت». ثم أضيفُ «وفاة» وفي الأخير «إيما».

لا أقف على أي إجابة. غير أنني علمتُ أن Housekeeper لا يعمل بنفس طريقة عمل غوغل. بينما يُغرقك هذا الأخير بآلاف، بل ملايين النتائج، يُفضِّلُ Housekeeper أن ينتقي إجابة واحدة، مكتملة، ولا شيء غير ذلك. عموماً، يرتاح المرء للأمر، حيث لا يجد نفسه في مواجهة تلك الأكوام من الاحتمالات. لكن عندما لا تعرف بالضبط ما تبحث عنه، يصبح الأمر مزعجاً.

اليوم الموالي يوم الاثنين، وهو أحد الأيام التي أمارسُ فيها العمل التطوعي عند جمعية **الأمل الجديد**. يشغلُ مقرُّ الجمعية الخيرية ثلاث حجرات مزدحمة في كينغز كروس: تناقض تام مع الجمال المجرّد في وَنْ فولغيت ستريت. لديّ مكتب هناك، أو على الأصح نصف مكتب أقتسمه مع تيسا، متطوّعة أخرى تعمل بتوقيت جزئي. وحاسوب قديم.

أنتقلُ إلى غوغل وأرقُنُ الكلمات نفسها لأبدأ البحث. أغلب

النتائج ترتبط بمونكفورد. أكتشفُ بحنق أن صحافية متخصّصة في الهندسة المعمارية، اسمها أيضاً إيما، كتبَت مقالاً عنه، عنوانه «موتُ الرّكام»، ومن ثم توجد على الأقل خمسمئة إجابة ترتبط به. بيد أنني أجد أخيراً، في الصفحة السادسة، ما أبحثُ عنه: مقال صدر في صحيفة محلية.

التحقيق الجنائي حول مأساة هيندون
تنتهي بحكم يقرُّ بوفاة
من دون سبب محدَّد

توصّل التحقيق حول وفاة إيما ماتيوس، 26 سنة، التي عُثر عليها ميتة في مسكنها في وَنْ فولغيت ستريت، في شهر يوليو الأخير، إلى حكمٍ ينصُّ على أن الوفاة من دون سبب محدَّد، على الرغم من قرار التأجيل لمدة ستة أشهر كي تتمكّن الشرطة من القيام بتحقيقات جديدة.

وأعلن المفتش جيمس كلارك قائلا: «نملكُ عدداً معيّناً من الآثار المفترَضة، أدّى أحدها إلى عملية اعتقال. غير أن مكتب المدّعي اعتبر أن الدلائل المتوفرة غير كافية لإثبات أن موت إيما كان ذا طابع إجرامي. لكننا، بطبيعة الحال، سنستمرُّ في التحقيق حول هذه الوفاة غير المفهومة، باذلين كلَّ ما في وسعنا».

وكان الطبيب الشرعي قد وصف، في استنتاجاته، البيتَ الذي صمّمهُ المهندس المعماري ذو الشهرة العالمية إدوارد مونكفورد، بأنه «كابوس بالنسبة إلى الصحّة

والأمن». لنتذكّر أن جسد إيما ماتيوس كان قد اكتُشِفَ عند أسفل سلَّمٍ مفتوح من الحجر الخالص.

في سنة 2010، خاضَ السكّانُ معركة طويلة في محاولة لمنع بناء ذلك البيت، قبل أن يُمنَحَ التصريحُ أخيراً من لدن مصالح البلدية. أخبرتنا البارحة ماغي إيفانس، إحدى الجارات، بما يلي: «مرّات عديدة، قمنا بتحذير المهندسين المعماريين من مثل هذه الحوادث. الأفضل الآن أن يقوموا بهدم هذا البيت من أجل بناء بناية أكثر ملاءمة».

رفضت شركة مونكفورد الإدلاء بأي تعليق.

هكذا إذاً. لم تحدث وفاتان، بل ثلاث. أولاً زوجة مونكفورد وابنه، ثم هذه المرأة الشابة. الوَنْ فولغيت ستريت مكانٌ أكثر مأساوية مما كنت أفترض.

أتخيّلُ جسدَ امرأة شابة ممدّداً عند أسفل هذا السلَّم الحجري المينيمالي، والدّم يسيلُ من الجمجمة المشروخة، فوق الأرضية. كان الطبيب الشرعي على صواب، طبعاً: هذا السلَّمُ المفتوحُ خطيرٌ بشكل سخيف. لماذا لم يحاول إدوارد مونكفورد، بعد ذلك الحادث المريع، أن يجعله أكثر أماناً؟ بأن يحيطه بحاجز زجاجي مثلاً، أو بتثبيت درابزين.

لكنني بالطبع، كنتُ أعرفُ الإجابة. «بناياتي تقتضي مجهودات من الناس، جين. لا أعتقد أنها غير مقبولة». لا بدَّ أن العَقد يحتوي على بند يشير إلى أن المكترين يستعملون السلَّم على مسؤوليتهم.

«جين؟» تهمس آبي، المسؤولة عنّا. أرفعُ رأسي. «هناك

شخص يريد أن يراكِ». تبدو مرتبكةً بعض الشيء، محمرّة الخدّين. «يقولُ إن اسمه إدوارد مونكفورد. ويجب أن أقول إنه **شديد الجاذبية**. ينتظرك في الأسفل».

يقف في الردهة الصغيرة، يرتدي اللباس ذاته تقريباً الذي كان يلبسه عند آخر لقاء بيننا: سترة من كشمير أسود، وقميص أبيض ذو ياقة مفتوحة، وسروال أسود. الاستثناء الوحيد بسبب البرد القارس: وشاحٌ ملفوف حول العنق، مثل ربطة المشنقة.

«مرحباً»، أقول، بينما أودُّ في الواقع أن أصيح به: «**ما الذي أتى بك إلى هنا؟**».

كان يتفحّص إعلانات **الأمل الجديد** فوق الجدران. يلتفتُ نحوي.

«هذا يفسِّرُ كلَّ شيء»، يقولُ.

«ما هذا؟»

يشيرُ إلى الإعلانات. «فقدتِ طفلاً أنتِ كذلك».

«أجل، هذا حقيقي».

لا يقول **أقدِّمُ لك تعازي**، ولا أي واحدة من تلك العبارات المأثورة التي يردّدها الناسُ عندما لا يعرفون ما يقولونه. يكتفي بهزِّ رأسه. ثم:

«أودُّ أن أتناول فنجان قهوة معك، جين. لا أتوقف عن التفكير فيكِ. لكن إذا كان الأمر سابقاً لأوانه، قولي لي ذلك وسأنصرف».

تحتوي هذه الجملُ الثلاث القصيرة على عدد من الافتراضات، والأسئلة، والاعترافات لدرجة أنني أعجزُ عن تحليل كل ذلك. غير

أن الفكرة الأولى التي تخامر ذهني هي: **لم أكن مخطئة. الأمر متبادَل.**

والثانية أكثر حسماً: **ليكن، هذا أفضل.**

* * *

«ذهبتُ إذاً إلى كامبريدج. لكن لم تكن هناك آفاق كثيرة بالنسبة إلى حاصلة على شهادة في تاريخ الفنّ. وفي الواقع لم أكن قد فكرتُ حقيقة في المهنة التي أرغب في أن أمارسها فيما بعد. أنجزتُ تدريباً عند سوثيبيز لم أصل فيه إلى نتيجة، ثم اشتغلتُ في عدد من المعارض الفنية، باعتباري «مستشارة»، لكنني في الواقع لم أكن سوى موظفة استقبال من الصنف الفاخر. ومن ثمَّ، انحرفتُ نحو العلاقات العامة. في البداية، كنتُ أعملُ في ويست إيند، من أجل زبائن الميديا، لكنني لم أشعر أبداً بالارتياح في أوساط حي سُوهُو[1]. كنتُ أُفضِّلُ حيَّ سيتي، حيث الناس أكثر تزمّتاً. وكنتُ، بصراحة، أُقَدِّرُ الجانب الماليَّ، أيضاً. والعملُ كان أكثر أهمية، كان زبائننا مؤسسات مالية ضخمة. لم يكن عملنا أن نجتهد في أن تُذكَرَ أسماؤهم في وسائل الإعلام، ولكن على العكس، ألّا تظهر فيها أبداً. أنا آسفة، أتكلم أكثر من اللازم».

يبتسم إدوارد مونكفورد ويهزُّ رأسه.

«أحبُّ كثيراً الإنصاتَ إليكِ».

«وأنتَ؟» أسألُ. «كنتَ دائماً تريد أن تصبح مهندساً؟».

«عملتُ لبعض الوقت في شركة العائلة، مطبعة. كنتُ أمقتُ ذلك. وكان أحدُ أصدقاء أبي يبني بيتاً للعطلة في اسكتلندا وغارقاً

---

(1) سوهو: حي سكني في لندن. (المترجم)

في الجدال مع مهندسٍ محلّيٍّ. وأقنعتُهُ بأن يُكلِّفني بإنجاز المشروع، بالميزانية نفسها. تعلّمتُ المهنة بالممارسة. أسينتهي بنا المطافُ معاً في فراش واحد؟».

تغيُّرُ اتجاه الكلام مفاجئٌ بحيث أظلُّ مشدوهة.

«تميلُ العلاقاتُ الإنسانية، مثل حيواتنا، إلى الانشغال بما لا طائل تحته»، يقولُ. «بطاقات عيد الحبّ، والحركات الرومانسية، والمواعيد العاشقة، والكلمات الحنونة المضحكة... مللُ العلاقات الخجولة والتقليدية وثقلُها حتى قبل أن تبدأ. لكن ماذا لو حذفنا كلَّ هذا؟ يوجد نوعٌ من النّقاء في العلاقة المتخلِّصة من الأعراف، وشعورٌ بالبساطة والحرية. أجدُ هذا مثيراً: شخصان يجتمعان من دون أي اعتبار سوى اللحظة الحاضرة. وعندما أرغبُ في شيء، أعملُ على الظفر به. غير أنني حريصٌ على أن تفهمي بوضوح ما أقترحُهُ عليك».

يريد أن يقول: الجنس، من دون قيود. أغلب الرجال الذين طلبوا مني أن أخرج معهم في الماضي لم يكونوا يريدون شيئاً آخر، أنا واثقة من ذلك. بمن فيهم والد إيزابيل. لكن قلّما يجرؤ أحدُهم على الاعتراف بمثل تلك الصراحة. وإذا كان جزء مني لا يستطيع أن يتجنّبَ الإحساسَ بالخيبة -أُقدِّرُ حركة رومانسية من حين إلى آخر-، فإن جزئي الآخر حائر.

«في أيِّ فراش؟» أسأل.

الجواب بالطبع، هو فراش وَنْ فولغيت ستريت. وإذا كانت علاقاتي بإدوارد مونكفورد، إلى حدود هذه اللحظة، جعلتني أتخيّلُ عاشقاً محافظاً ومتردِّداً، أكتشف بسعادة أن الواقع شديد الاختلاف.

إن إشارته إلى علاقات من دون عوائق لم تكن صيغة مُغَلَّفةً للإشادة بعلاقة مرصودة للذة الرجل وحده. بدل ذلك، يُظهِرُ إدوارد الكثير من العناية، والكرم، وليس تماماً من أنصار الاقتضاب. كما أنه يردِّد اسمي في اللحظات الحميمة، مرة بعد مرة بعد مرة. . .

جين. جين. جين.

كأنه يحاول أن يطبعه في روحه.

ثم، بينما نحن ممدّدان جنباً إلى جنب، أتذكّرُ المقال الذي كنتُ أقرأهُ قبل قليل. «هناك رجلٌ يأتي دائماً لوضع ورود هنا. قال لي إنها موجَّهة إلى امرأة اسمها إيما، وهي قد ماتَت. الأمرُ مرتبطٌ بهذا السلَّم، أليسَ كذلك؟».

لا تتوقفُ يدُهُ التي تُداعبُ ظهري بغير انتظام. «فعلاً. أيُزعِجُكِ ذلك الرجل؟».

«لا، ليس حقيقة. ثم، إذا كان قد فقدَ شخصاً عزيزاً. .».

لا يجيبُ إدوارد في الحال. ثم:

«ينسبُ الخطأ إليّ. اقتنع أن البيت مسؤول. لكن التشريح برهنَ أن تلك المرأة كانت قد شربت الخمر. ومياه الحمّام كانت لا تزال تسيلُ عندما عثروا عليها. لا بدَّ أنها، من دون شكّ، قد جرَت على السلَّم وقدماها مُبلّلتان».

أعقدُ حاجبَيّ. يبدو لي الجريُ، في هدوء هذا البيت، غير لائق.

«أتريد أن تقول إنها كانت تحاول أن تهرب من شخص ما؟».

يهزُّ كتفيه. «أو كانت تعجّل إلى فتح الباب».

«قرأتُ أن الشرطة كانت قد ألقت القبض على أحدهم. من دون

الإفصاح عن هوية ذلك الشخص. وفي جميع الأحوال، قد أطلقوا سراحه».

«آه فعلاً؟» عيناه الشاحبتان لا تنطقان. «لا أتذكر جميع التفاصيل. كنتُ في تلك الآونة أعملُ على إنجاز طلب في الخارج».

«حدثني ذلك الشخصُ عن رجل قد يكون سمَّمَ روحَ تلك المرأة..».

يُلقي إدوارد نظرة على ساعته وينهضُ.

«أنا آسف حقيقةً، جين. لقد نسيتُ تماماً، هناك من ينتظرني لتفتيش ورشة».

«ليس لديك الوقت لتناول بعض الطعام؟».

أشعرُ بالخيبة بسبب انصرافه السريع.

أهزُّ رأسي.

«شكراً، لكنني فعلاً قد تأخرت. سأهاتفكِ».

وشرع في الحين في ارتداء ملابسه.

4. لا وقت لديّ أُخصِّصُهُ للأشخاص الذين لا يبذلون ما في وسعهم ليتحسّنوا.

نعم ○ ○ ○ ○ ○ كلا

الأمس: إيما

- المشكلُ، يقول برايان بلهجة محتدّة، هو أننا لا يمكن أن نُحرِّرَ خطابَ رسالة قبل أن نكون قد حدّدنا ماهية قيمنا. يجولُ بنظره في أرجاء قاعة الاجتماع كأنه يتحدّى أيَّ واحدٍ أن يقول العكس.

نحن في القاعة 7b، مكعب زجاجي مطابق لِـ 7a و7c. سجَّلَ أحدٌ ما الهدف من الاجتماع فوق ورق مقوّى: **خطاب رسالة الشركة**. لا تزال أوراقٌ مُقتلَعَةٌ يعود تاريخها إلى الاجتماع السابق مُلصَقَةً في زجاج النوافذ. يمكن أن يُقرأ فيها: **تفاعل خلال 24 ساعة؟ قدرة على التخزين طارئة؟** يبدو ذلك أكثر إثارة من هذا الذي نتداولُ حوله.

قضيتُ حتى الآن عاماً وأنا أحاولُ أن ألتحق بقسم التسويق. لكنني إنما اكتسبتُ الحقَّ أن أوجدَ الآن هنا بفضل صداقتي مع أماندا، ومن ثمَّ مع سول، وليس لأن برايان قد رغب في ذلك، بل لأن سول يشغلُ منصباً أعلى داخل القطب المالي. أحاولُ أن أهزَّ رأسي باقتناع كلما التفت برايان جهتي. كنتُ أتصوَّرُ أن التسويق سيكون أكثر إثارة من هذا.

- أيرغبُ أحدٌ في القيام بمهمة الكتابة؟ تسألُ ليونا وهي تنظر

إليّ. أفهمُ الرسالةَ، فأنهضُ بسرعة وأذهبُ لأقف بجانب الورق المقوّى، متسلحة بقلم: العضو الجديد المتحمّس. أكتبُ على رأس الصفحة 1: **القِيم**.

- الطاقة، يقترحُ أحدُهم. أسجِّلُ، بانصياع.

- فكر إيجابي، يقترحُ آخر.

ترتفع أصواتٌ أخرى: اعتبار، حيوية، مصداقية.

يقول لي شارل:

- إيما، لم تُسجّلي «حيوية».

هو من اقترح هذه الكلمة.

- أليس لها مدلول «الطاقة» نفسه؟ أسألُ. يعقد برايان حاجبَيه. فأكتبُ: حيوية.

- أعتقد أن علينا أن نتساءل: ما هي الغاية القصوى لِفلو؟ تقول ليونا وهي تنظر من حولها بارتياح. ما هي الإضافة الفريدة التي يمكن أن نمنحها لحياة الناس؟

يلي ذلك صمتٌ طويل.

- ماء في القناني؟ أقترح. أقول هذا لأن فلو شركة تُزوِّدُ بالقنينات الضخمة البلاستيكية التي توضعُ في حنفيات المكاتب.

وعندما أرى حركة وجه برايان، أقرِّرُ أن ألتزم الصمت.

- الماء أساسيّ. **الماء هو الحياة**، يقول شارل. اكتبي هذا إيما.

أُنفِّذُ الأمر بتواضع.

- قرأتُ في مكان ما، تضيفُ ليونا، أن جسمنا يتكوّن أساساً من الماء. فالماء يمثّلُ إذاً، بالمعنى الحرفي، جزءاً كبيراً من ذواتنا.

- تَمْييه، يقول برايان، مفكِّراً. يُوافقُ العديدُ من الأشخاص بحركات من رؤوسهم، وأنا واحدة منهم.

ينفتحُ البابُ ويُطِلُّ سول برأسه من الشِّقّ.

- آه، عباقرة التسويق منهمكون في عملهم، يقول بحرارة. إلى أين وصلتم؟

يُغمغمُ برايان:

- خطاب الرسالة، جحيم.

يلقي سول نظرةً على الورق المقوّى.

- لكن الأمر بسيط، أليس كذلك؟ يقول. ردعُ الناس عن شرب ماء الصنبور وجعلهم يدفعون ثمن هذه الخدمة بأغلى ثمن.

- اغربْ من هنا، يجيب برايان ضاحكاً. أنتَ لا تُساعدنا.

- كل شيء على ما يُرام، إيما؟ يسألني سول بمرح، قبل أن يقفل الباب. يغمزني، فأرى ليونا تدير رأسها نحوي. أراهنُ أنها لم تكن تعلم أني لديّ أصدقاء في الإدارة.

أُسجِّلُ: «أساساً الماء» و«تمييه».

بعد انتهاء الاجتماع -حيث يبدو أن الرسالة والغاية القصوى لشركة فلو تتمثل في **تشجيع اللحظات التي تُقضى أمام حنفيات الماء، كلَّ يوم وفي كل مكان**، فكرةٌ اعتبرها جميعُ الأشخاص الحاضرين إبداعية ولامعة، أعودُ إلى مكتبي وأنتظر أن يخلو المكان ساعة الغداء لأقوم بمكالمة هاتفية.

- شركة مونكفورد، يجيبُ صوتٌ نسائيّ جِدّ مُؤدَّب.

- إدوارد مونكفورد، من فضلك.

صمت. شركة مونكفورد ليست من مناصري الموسيقى المسجَّلة. ثم:

- إدوارد، في الاستماع.

- سيّد مونكفورد...

- نادِني إدوارد.

- إدوارد، يجب أن أطرح عليكَ سؤالاً يتعلق بالعَقد بيننا. أعلمُ أنه ينبغي عليّ، من أجل مثل هذا الأمر، أن أمُرَّ أولاً عبر مارك، الوكيل العقاري. لكني عندي إحساس أنه سيكتفي بالتحدّث إلى سايمن.

- أخشى أن تكون القواعد غير قابلة للتفاوض، يقول إدوارد مونكفورد بلهجة جافة.

- القواعد لا تطرح بالنسبة إليّ أيّ مشكل، أقولُ. على العكس من ذلك. ولستُ أرغبُ في مغادرة وَنْ فولغيت ستريت.

صمتٌ.

- لِمَ سيكونُ عليكِ مغادرته؟

- هذا العَقد الذي وقّعناه، أنا وسايمن... ما الذي سيحدث إن لم يعد أحدُنا نحن الاثنين يسكن في هذا البيت؟ وماذا لو كان الآخر يريد البقاء؟

- سايمن وأنتِ لم تعودا معاً؟ أنا آسف لذلك، إيما.

- هذا مجرّد... سؤال نظريّ في هذه اللحظة. أتساءلُ حول هذه الوضعية الجديدة.

أشعر بالطّرقات في رأسي. مجرد تصوّري أن أهجرَ سايمن يصيبني بإحساس غريب، مثل دُوار. أيكون هذا نتيجة حادث السطو؟ أم نتيجة حصصي مع كارول؟ أم من تأثير وَنْ فولغيت

ستريت، هذه الفضاءات الفارغة والقوية حيث يصير كلُّ شيء فجأة أكثر وضوحاً؟

يفكر إدوارد مونكفورد.

- تقنيّاً، يقولُ، يُعتبر هذا نقضاً للعَقد. غير أنك يمكن أن توقِّعي مرفقاً تتعهدين فيه بأن تتحمّلي وحدكِ جميع المسؤوليات. يمكن لأي محامٍ يستحق هذا اللقب أن يُحرِّر لكِ ذلك في عشر دقائق. لكن هل ستستطيعين تحمّل أداء واجب الكراء وحدكِ؟

- لستُ أدري، أجيبُ بكل صراحة.

على الرغم من أن سُومة كراء وَنْ فولغيت ستريت جدّ رخيصة بالنسبة إلى مكان مثل هذا، إلّا أنها تتجاوز ما يمكن أن أدفعه من مرتبي الهزيل.

- أنا واثقٌ من أننا يمكن أن نجد تسوية.

- هذا لطفٌ منك، أقول.

وأشعر، فجأة، أني أقلُّ وفاء، لأن سايمن، لو أنصتَ إلى هذا الحوار، سيقول إني إنما تحدثتُ مع إدوارد مونكفورد، بدل الحديث إلى الوكيل العقاري، لأني كنتُ أتطلع إلى هذا المخرج.

يعود سايمن تقريباً ساعة بعدي.

- ما كلّ هذا؟ يسأل.

- أطبخُ، أقول وأنا أوجّه إليه ابتسامة عريضة. طبقكَ المفضَّل. لحم ويلينغتون.

- آه، يتعجّب، مندهشاً، وهو يلقي نظرة متفحّصة على المطبخ.

صحيح تسود الفوضى المكانَ بعض الشيء، لكنه على الأقل يرى كلَّ ما تجشّمتُهُ من تعب.

- كم من الوقت استغرقت منكِ؟ يسألُ.

- تسوّقتُ وقتَ الغداء، وغادرتُ المكتب في الوقت المناسب لأتمكّن من إعداد كل شيء، أقول باعتزاز.

شعرتُ، بعد مكالمتي مع إدوارد مونكفورد، بتأنيب ضمير شديد. ما الذي دهاني؟ بذلَ سايمن مجهوداتٍ كبيرةً وأنا أتصرّفُ مثل وحش حقيقي منذ أسابيع عديدة. لذا قرّرتُ أن أُكَفِّرَ عن ذنبي، منذ هذا المساء.

- اشتريتُ خمراً كذلك، أقولُ. يُفَتِّحُ سايمن عينيه وهو يرى أني قد سبق أن شربتُ ثلثَ القنينة، ولكنه لا يبدي أيَّ تعليق. وزيتوناً، أقولُ، وبطاطس مقلية، وأشياء أخرى كثيرة نقضمها مع الشراب.

- سأستحمُّ، يقولُ.

عندما ينزل، وقد استحمَّ وغيّر ملابسه، يكونُ لحمُ العجل مستقرّاً في الفرن، وأنا ثملة قليلاً. يمدُّ إليّ علبةً ملفوفةً.

- أعلمُ أن الموعد غداً، لكني أرغبُ في أن أمنحك إياها الآن، حبيبتي. عيد ميلاد سعيد.

من شكلها، أُخمّنُ أنها إبريق شاي؛ لكنني عندما أنزعُ ورق تغليف الهدية، أكتشفُ أنه ليس إبريقاً عادياً؛ بل إبريقاً رائعاً من موديل فنّ الديكور، إبريقٌ سفينة من ثلاثينيات القرن العشرين. تحبسُ المفاجأةُ أنفاسي.

- إنه رائع، أقول.

- وجدتُهُ في موقع إيتسي، يقول بافتخار. أتتعرّفين إليه؟ إنه

الإبريق الذي تستعمله أودري هيبورن في فيلم Breakfast at Tiffany's. فيلمكِ الأثير. استقدمتُهُ من متجر لبيع الآثار في أميركا.

- أنتَ رائعٌ، أقول.

أضعُ الإبريقَ وأجلسُ فوق ركبتيه. أحبكَ، أقولُ بهمسٍ. لم أقل ذلك منذ وقت طويل. وهو أيضاً.

- ما الذي أصابكِ؟ يسألُ، متسلّياً.

- لا شيء، أجيبُ. لكن ربما يمكنكَ أنتَ أن تتكفّل بذلك.

أهمسُ في أذنيه: لقد كنتَ صبوراً جدّاً. كنتُ قد خطّطتُ أن أفعل ذلك في وقت متأخّر، بعد العشاء، لكن لا شيء يساوي اللحظة الحاضرة، والخمر فعل فعله. أبتسم في وجهه ابتسامة أريدها ماجنة وجذّابة، وأغمُرُ وجهي بين فخذَيه.

يتركني أفعل ذلك ما يقارب الدقيقة. أضاعفُ من مجهوداتي، إلا أن ذلك لا يؤثّر عليه. وعندما أرفعُ رأسي من جديد، أجدهُ مغمض العينين وقبضتاه مشدودتان بقوة، كأنه يستغيث بإرادته كلِّها ليقاومني. يفتح عينيه فجأة ويبعدني عنه.

- بربِّكِ إيما. يقولُ وهو ينهضُ. يا إلهي.

- ماذا بكَ؟ أسألُ.

يحدجني بنظرة. ثم يقول بلهجة غريبة:

- ديون نيلسون.

- ماذا عنه؟

- كيف يمكنك أن تفعلي معي ما فعلتِهِ مع ذلك... ذلك الوغد؟

أعبِّرُ بدوري عن انزعاجي.

- لا تكنْ مضحكاً. فهو أرغمني على فعل ذلك.

أُدركُ الأمرَ فجأة: أثناء كل هذه المدة التي كنتُ فيها أعتقدُ أني أنا التي أتحاشى الاقتراب من سايمن، كان العكس هو الصحيح.

أنتفضُ، كأنني ضُربتُ.

- لم أسمح له، أقولُ. لقد أجبرني. كيف يمكنكَ أن تقول لي هذا؟ كيف تجرؤ؟

تغيّر مزاجي من جديد، انتقلتُ من النشوة إلى قمة المحنة.

- لحم العجل سيحترق في الفرن، أقول.

- مهلاً، إيما. لديّ ما أقوله لكِ.

يبدو شديد الحزن إلى درجة أني أقول في نفسي: **انتهى الأمر. سيهجرني.**

- حضرت الشرطة اليوم لمقابلتي، يقول. حول موضوع يتعلق بتناقض في شهادتي.

- تناقض، كيف هذا؟

يخطو إلى النافذة. صارت مظلِمة، لكنه ينظر إلى الخارج كأنه يستطيع أن يرى شيئاً.

- بعد حادث السطو، يقولُ، أدليتُ بإفادة لدى الشرطة. شرحتُ لهم أنني كنتُ في ملهى.

- أجل، أعلمُ. ملهى بورتلاند، أليس ذلك؟

- في الحقيقة، لم يكن بورتلاند. لقد راجعوا الأمرَ. بورتلاند ليس له الحق في أن يظل مفتوحاً إلى ذلك الوقت المتأخّر، فقاموا بمراجعة بيانات بطاقتي البنكية.

أجدُ أنهم تعبوا كثيراً لا لشيء، سوى أن يتأكدوا من اسم الحانة التي كان يوجد بها سايمن ذلك المساء.

- لماذا؟ أسألُ.

- شرحوا لي أنهم لو لم يفعلوا ذلك لاتّهمَهُمْ محامي نيلسون بالإهمال.

يترك فترة صمت تنصرمُ. ثم:

- لم أكن في تلك الحانة، إيما. كنتُ في نادٍ. نادٍ للرقص.

- أنتَ تقولُ لي الآن أنك بينما كنتُ أنا... أُغتَصَبُ من لدن ذلك الوحش، كنتَ أنتَ تتفرّجُ على فتيات عاريات؟

- كنّا جماعة، إيما. رفقة سول وأصحاب آخرين. لم أكن أنا صاحب الفكرة. ثم إن الأمر لم يرقني.

- كم أنفقتَ؟

يبدو مندهشاً.

- أيُّ علاقة؟

- كم أنفقتَ؟! أصرخُ. يرتدُّ صدى صوتي على الجدران الحجرية. لم أكن قبل الآن قد لاحظتُ وجودَ صدى في هذا البيت. يبدو كأنه ينضمُّ إليّ ليصيح به.

يتنهّدُ.

- لستُ أدري... ثلاثمئة جنيه.

- يا إلهي.

- تعتقد الشرطة أن هذا الأمر يمكن أن يُثار في المحكمة، يقولُ.

أُدرِكُ شيئاً فشيئاً ما الذي يعنيه ذلك. يستطيع سايمن، ليس فقط أن يُنفق المال الذي يفتقر إليه لمشاهدة فتيات عاريات لا يستطيع حتى أن يضاجعهنّ، لمجرّد أن أصحابه أخذوه معهم. ولا يعتقد فحسب أنني قد تلوّثتُ بسبب ما فعله بي ذلك الرجل. لكنني أفكِّرُ خصوصاً فيما سَيَنْبَني على ذلك في المحاكمة. سيُبرزُ الدّفاعُ أن

علاقتنا فاسدة، وأننا نكذبُ بعضنا على بعض، مثلما نكذبُ على الشرطة.

سيقولون إنني كنتُ راضيةً ذلك المساء، لذلك لم أبلِّغ عن الاغتصاب.

أحاول أن أصلَ إلى الحوض، لكن الغثيان -كل ذلك الخمر الأحمر، والزيتون، والأشياء الصغيرة الصالحة للقضم من أجل سهرتنا الصغيرة- طلعَ من فمي على شكل سَيْلٍ من القيء الساخن والحامض.

- انصرفْ، أقول عندما أنتهي من القيء. انصرفْ. خذْ أمتعتكَ واغربْ عن وجهي.

عبرتُ الحياةَ مثل مُسرنَمَة، وسمحتُ لهذا الرجل الضعيف أن يتظاهر بأنه يحبني. حان الأوانُ ليتوقف ذلك.

- انصرفْ، أكرِّرُ.

- إيما، يتوسلُ إليّ. إيما، أنصتي إلى نفسكِ. لا أتعرَّفُ إليكِ. أنتِ تتحدثين هكذا بسبب ما وقع. كلانا يحب الآخر. سنطوي هذه الصفحة. لا تقولي أشياء ستندمين على قولها غداً.

- لن أندمَ على شيء غداً، أقولُ. لن أندم على ذلك أبداً. هذا فراقٌ بيننا، سايمن. الأمور بيننا ليست على ما يُرامُ منذ مدة طويلة. لم أعد أرغبُ في العيش معك وأخيراً وجدتُ شجاعةَ الإفصاح عن ذلك.

الآن: جين

«هيه؟ ماذا قال؟».

«يوجد نقاءٌ مُسكِرٌ في علاقة من دون حواجز. ربما لا أنقلُ كلامه حرفياً، لكن بصورة عامة هذا هو».

تبدو مِيَا مندهشة.

«هذا الشخص رائع!».

«أجل، هذا صحيح. إنه شديد... الاختلاف عن جميع الرجال الذين عرفتُهُم».

«أأنتِ واثقة من أنكِ لا تعاني من متلازمة ستوكهولم أو من شيء ما من هذا القبيل؟».

تنظر من حولها إلى الفضاءات الفارغة والواضحة في وَنْ فولغيت ستريت. «أن تعيشي هنا... هو نوعاً ما كأنك تعيشين مسجونة داخل رأسه. ربما أجرى لك غسيل دماغ».

أضحكُ. «أعتقد أني كنتُ سأجد إدوارد جذّاباً حتى لو لم أسكن في إحدى بناياته».

«وأنتِ؟ ما الذي يُعجبُهُ فيك، عزيزتي؟ باستثناء المضاجعة من غير حواجز، كما يقول؟».

«لستُ أدري»، أتنهّدُ. «وقد يكون لي بعض الحظّ لاكتشافه».

أحكي لها أن إدوارد قد غادر فراشي بطريقة متسرّعة. تلوي قسمات وجهها.

«لديّ انطباعٌ أن هذا الشخص عنده مشاكل حقيقية، جين. قد يكون عليكِ أن تتفاديه».

«جميع الناس لديهم مشاكل»، أُجيب بلهجة خفيفة. «حتى أنا».

«شخصان غير سويَّين لا يلتقيان. أنتِ تحتاجين إلى رجل لطيف وثابت. رجل يعتني بكِ».

«للأسف، أخشى ألّا يكون صنفُ «الطيف وثابت» هو ما يناسبني».

لا تنتبهُ مِيَا إلى هذه الملاحظة. «لم تصلكِ أخبارٌ عنه منذ ذلك اليوم؟».

أنفي بحركة من رأسي. «لم أطلبه بالهاتف». لا أشيرُ إلى الرسالة الإلكترونية الهادئة في ظاهرها، التي أرسلتُها إليه في اليوم الموالي، ولم أتلقَّ منه ردّاً عليها.

«من دون حواجز، فعلاً». وبعد هنيهة صمت، تسألُ: «والرجل صاحب الورود؟ لا يزالُ يواصلُ وضعها؟».

«لا. غير أن إدوارد يؤكد أن الوفاة كانت جرّاء حادثة. يبدو أن الفتاة المسكينة سقطت من السلَّم. في الواقع، كانت الشرطة تميلُ إلى فعل إجرامي، غير أنهم لم يتمكّنوا أبداً من إثبات ذلك».

تنظر إليّ مِيَا برعب. «هذا السلَّم؟».

«أجل».

««فعل إجرامي»؟ ما هذه القصة؟ ألا يُقلقكِ ذلك؟ أن تعرفي أنكِ تعيشين في مسرح جريمة؟».

«لا، لا يخيفني ذلك حقيقة. لا شكّ أن الأمر مأساوي، لكن مثلما كنتُ أقولُ لكِ، لم تحدث جريمة، في الغالب. ثم، هناك العديد من البيوت التي مات فيها أناس».

«ليس بهذه الطريقة. وأنتِ تعيشين وحيدة...».

«لستُ خائفةً. إنه بيتٌ هادئٌ جدّاً. لن أتأثّر لمجرّد موت امرأة غريبة لا أعرفها، وقد مضى على ذلك سنوات عديدة».

«ماذا كان اسمها؟»، تُخرجُ ميّا آيبادها.

«الفتاة المتوفاة؟ إيما ماتيوس. لماذا؟».

«ألا تشعرين بأي فضول؟» تنقر فوق الشاشة. «آه، يا إلهي!».

«ماذا؟».

تعرض عليَّ الشاشة، دون أن تقول شيئاً. أكتشفُ صورةَ امرأة في حوالي الخامسة والعشرين. جميلة نوعاً ما: نحيفة وسمراء. والغريبُ أني أجد فيها شيئاً مألوفاً.

«ماذا تقصدين؟»، أقول.

«ألا تلاحظين شيئاً؟»، تسألُ مِيا.

أتفحّصُ الصورةَ.

«ما هذا الشيء؟».

«إنها تُشبهكِ، جين! أو على الأصح، أنتِ تُشبهينها».

أجل، بالفعل، كثيراً أو قليلاً. كلانا لدينا شَعر بنّي، وعينان زرقاوان، والبشرة شديدة الشحوب. إنها أكثر نحافة مني، وأصغر سنّاً، ولكي أكون صادقة، هي أكثر جمالا أيضاً. وأكثر زينة: خطّان عريضان يرسمان العينين، بشكلٍ مثير. لكن يوجد بيننا ضربٌ من الشبه، بكل تأكيد.

«وليس في مستوى الوجه فحسب»، تضيفُ مِيَا. «انظري إلى طريقتها في الوقوف. هيئة لا غبار عليها. أنتِ تقفين بالطريقة نفسها تماماً».

«صحيح؟».

«تعلمين ذلك جيداً. إذاً، ألا تزالين تعتقدين أن هذا الشخص لا يعاني من مشاكل؟».

«قد يكون الأمر مجرد مصادفة. ثم، لا شيء يدلُّ على أن إدوارد كان على علاقة مع تلك الفتاة. كم من ملايين النساء في العالم شُعورهنّ بنيَّةٌ وعيونهنّ زرقاء؟».

«أكان يعلمُ هيئتك قبل أن تنتقلي للعيش هنا؟».

«أجل»، أعترفُ. «أجرى لي مقابلة. وقبل ذلك كان عليّ أن أرسل ثلاث صور. لم أكن قد فكرتُ في الأمر قبل الآن، لكن لِمَ يطلبُ صاحبُ البيت صوراً من المكترين؟».

فجأة، تُفتِّحُ مِيَا عينيَها؛ فكرةٌ جديدة سنحت لها.

«وزوجتُهُ؟ ماذا كان اسمها؟».

«مِيَا، لا..»، أقول، بصوت خفيض.

أرى أن الأمور قد تعدّتْ حدودَها. لكن ها هي تنقر من جديد فوق لوحتها.

«إليزابيث مونكفورد. اسم عائلتها قبل الزواج مانكاري»، تقرأ مِيَا. «ولنبحث الآن عن صورة..». تستعرض عدداً من الصور. «لا، لا يمكن أن تكون هذه... ليست هذه هي الجنسية المناسبة... آه، وجدتُها!».

تُطلقُ مِيَا صفير دهشة.

«ماذا هناك؟».

تُوجِّهُ مِيَا الشاشة لتجعلها مقابلة لي. «هذه العلاقة من دون حواجز لا تخلو من لغز»، تعلِّقُ مِيَا.

تُظهر الصورةُ امرأةً شابّةً سمراء، جالسة أمام نوع من طاولة مهندس، وهي تبتسم لعين الكاميرا. وعلى الرغم من عدم دقّة الصورة، فإني أرى أنها تشبه بقوة إيما ماتيوس. ومن ثَمَّ، فإنها تشبهني أنا كذلك.

الأمس: إيما

أن أقول لسايمن وللشرطة إني قد كذبتُ عندما قلتُ إني لا أتذكر الاغتصاب، كان أمراً قاسياً. لكن أن أعترف بذلك لكارول، كان أكثر قسوةً. أشعر بالارتياح عندما أرى أنها لم تغضب من الأمر.

- لستِ أنتِ المذنبة في هذه القصة، تقول لي. أحياناً، لا نكون مستعدين لمواجهة الحقيقة أمامنا، بكل بساطة.

ويُدهشني أنها أثناء الحصة كلها، لا تُركِّزُ على ديون نيلسون وتهديداته الرهيبة، بل على سايمن. تريد أن تعرف كيف كان ردُّ فعله على فراقنا، وهل اتصل بي بعد ذلك -وقد قام بذلك فعلاً، مرّات عديدة، على الرغم من أنني لم أعد أردُّ على رسائله-، وماذا أنوي أن أفعل بخصوص هذا الموضوع.

- إذاً، إيما، إلى أين وصلتِ؟ تسألني في الأخير. ماذا تنتظرين الآن؟

- لستُ أدري، أقولُ وأنا أهزُّ كتفَيّ.

- سأطرحُ عليكِ السؤالَ بطريقة أخرى: هل يتعلق الأمرُ بانفصالٍ نهائيّ؟

- سايمن لا يعتقد ذلك، أقولُ. قد سبق أن انفصلنا، لكن، في كل مرة، يظلُّ يتوسّلُ إليّ إلى أن أستسلم وأسمح له بالعودة. أما الآن، فالأمر مختلف. ألقيتُ كلَّ أمتعتي القديمة، كلَّ تلك الأشياء غير المفيدة. وأعتقد أن هذا منحني القدرةَ على التخلُّص منه هو أيضاً.

- العلاقة الإنسانية، تختلفُ كثيراً عن صندوق أمتعة قديمة، تقولُ.

أحدِّقُ في وجهها.

- أرجو ألّا تكوني تعتقدين أني أرتكب خطأً؟

تُفكِّرُ ملياً.

- إن تجربةً صادمةً مثل التي عانيتِ منها، تقولُ، يكون من نتائجها في بعض الأحيان أن تُضعِفَ الحواجزَ القائمة. في حالات معيّنة، تكون التغييرات مؤقتة. غير أن الفرد يمكن أن يكتشف أنه يُقدِّرُ هذا المظهر الجديد في شخصيته، ويصير هذا جزءاً من ذاته. هل هذا أمر جيد أم سيّئ؟ لستُ أنا من يتوجب عليه أن يقول ذلك، إيما. أنتِ وحدكِ يمكنكِ أن تُصدري هذا الحكم.

بعد حصة العلاج النفسي، عندي موعد مع المحامي الذي حرَّرَ عَقدَ الكراء. كان إدوارد مونكفورد على صواب: اتصلتُ بمكتب قانوني في الحي، اقترح أن يتكفَّلَ بالأمر مقابل مبلغ زهيد لا يزيد على خمسين جنيهاً.

- المشكل الوحيد، قال المحامي الذي اتصلتُ به، سايمن بدوره يجب أن يوقّع الوثيقة.

أثناء هذا اللقاء، يُسِرُّ لي المحامي أنه لم يسبق له أبداً أن رأى

عَقداً مثل هذا. إن من حرَّر هذا العَقد حرصَ على إقفاله من جميع الجهات.

- لكي تبتعدي عن أي خطر، يقول لي، عليكِ أن تطلبي من سايمن أن يوقِّع الملحق، هو أيضاً.

أشكُّ في أن يقبل سايمن توقيع أي وثيقة تُرسِّمُ الانفصالَ بيننا، غير أني آخذُ الوثيقة على الرغم من ذلك. ويضيف المحامي، وهو يبحثُ عن غلاف، كأنه يستأنف الحديث:

- تصوّري أنني قمتُ بأبحاث حول هذا البيت في أرشيفات البلدية. الأمر مدهش.

- آه؟ أقولُ. لماذا؟

- يبدو أن تاريخ وَنْ فولغيت ستريت تلطِّخُهُ المأساة، يُسِرُّ لي. البيت الأصلي هدّمتهُ غارةٌ ألمانية أثناء الحرب، وهلكَ جميعُ سكّانه، أُسرة بأكملها. وبما أن البيت لم يكن له وريث، أصدر المجلس البلدي أمراً بمصادرته حتى يتمكّن من رفع الأنقاض. ثم، ظلت القطعةُ الأرضية مهملةً إلى أن اقتناها مهندسكِ. كانت تصميماتُهُ الأصلية تُخطِّطُ لبيتٍ أكثر محافظة... بعض الجيران راسلوا البلدية بعد ذلك مشتكين من كونهم خُدِعوا. ويبدو أن الصراع قد احتدَّ بين الطرفَين.

- لكن أشغال البناء تواصلت، أقولُ، غير مهتمة حقيقةً بماضي البيت.

- تماماً. ولكي يضيف الإهانةَ إلى الشتيمة، طلب المهندسُ التصريح بأن يدفن في البيت شخصاً، بل شخصَين بالتحديد.

- أن يدفن أحداً داخل بيتٍ؟ أهذا قانوني؟

يهزُّ المحامي رأسه:

- الأمر، في الواقع، سهلٌ بشكلٍ مدهش. بما أن وكالة حماية البيئة لا تجد مانعاً، ولا يوجد أي قانون محلي يمنع ذلك، فالبلدية مرغمة نوعاً ما على منح التصريح بالدفن. الشرط الوحيد: أسماء الأشخاص المتوفين والمكان الذي دفنوا فيه يجب أن يقع التنصيصُ عليها في التصميمات، لأسباب واضحة. ها هي.

يُخرجُ صورة منسوخة ويفردُ تصميماً مشبوكاً بظهرها. ويقرأ بصوت عالٍ:

- مكان دفن السيدة إليزابيث جيورجينا مونكفورد وماكسيميليان مونكفورد.

يضع الكلَّ في الغلاف رفقة الملحق ويسلّمني إياها.

- تفضلي. يمكنك الاحتفاظ بها إن شئتِ.

الآن: جين

بعد انصراف مِيَا، أشغِّلُ حاسوبي وأرقنُ «إليزابيث مانكاري». أرغبُ في أن أعرف المزيد، دون أن تتلصّص مِيَا من فوق كتفي. والغريب أن Housekeeper لا يُظهرُ أيَّ صورة من الصور التي وجدَتها في لوحتها.

ما قلتُهُ لِمِيَا صحيح: منذ أن أقمتُ في وَنْ فولغيت ستريت، وإن لم يكن ذلك منذ زمن بعيد، لم أشعر أبداً بالخوف من هذا البيت. لكن يبدو أن الصمت والفراغ صارا يتخذان مظهراً أكثر كآبة. هذا مضحك بالطبع؛ مثلما يحدث عندما نشعر بالخوف بعد الاستماع إلى حكاية أشباح. هذا لا يمنعني من أن أضبط الإضاءة على قوتها القصوى وأن ألفَّ على الحجرات لأتأكد من. . . من ماذا؟ لم يدخل أحدٌ، هذا واضح. لكن البيت، لسبب ما، يبدو لي أنه لم يعد يوفّر لي الحمايةَ نفسَها.

لديّ انطباعٌ أني مراقَبةٌ.

أطردُ عني هذا الإحساس. أتذكر أني عندما انتقلتُ إلى هنا، كان يبدو داخلُ البيت كديكور سينمائي. وكنتُ قد أحببتُ هذا الإحساس. ما الذي طرأ منذئذ؟ قمتُ بعلاقة جنسية قصيرة وبليدة مع إدوارد مونكفورد واكتشفتُ أنه يفضِّلُ صنفاً معيّناً من النساء. لا شيء آخر.

مُمَدَّدَة عند أسفل السلَّم، محطّمة الجمجمة. بردٍّ فعلٍ أوتوماتيكي، أذهبُ لرؤية المكان المقصود. أظن أني أُميِّزُ بشكل غامض ملامح بقعة دم، جرى محوُها منذ أمد طويل. لكن، كيف أعلمُ أن دماً كان في هذا المكان؟

أرفعُ رأسي. من فوقي، في أعلى السلَّم، أُبصِرُ شيئاً ما. خطّ ضوء لم يكن موجوداً هناك من قبل.

أصعدُ الدرجات بحذر، عيناي مثبّتتان على ذلك الضوء. وكلما أقتربُ، أرى إطار بابٍ صغير يرتسم، يبلغ علوُّهُ ما يقاربُ المترَ الواحد: إطار مَخفيٌّ في الجدار، شبيه بالخزانات غير المرئية في الحجرة والمطبخ. لم أكن حتى انتبهتُ إلى وجودها.

«مرحباً!»، لا من مجيب.

أدفعُ البابَ، فينفتحُ على مصراعَيه. يتعلق الأمرُ بخزانة، عالية وعميقة، مملوءة بأدوات الصيانة: ممسحات، ومنشفات، ومكنسة كهربائية، وحتى سلَّم تيليسكوبي. أكاد أنفجر ضاحكة. كان عليّ أن أتوقّعَ وجودَ مرفقٍ من هذا النوع. قد تكون عاملةُ النظافة، يابانية متوسطة العمر لا تكاد تتكلم الإنجليزية وتقاوم جميع محاولاتي إقامة تواصلٍ معها، تركَت البابَ مواربا.

يبدو أن الخزانة قد صُمِّمت ليكون لها أيضاً منافذ إلى مرافق البيت الأخرى. أحد الجدران تُغطّيه تفريعاتٌ كهربائية وتختفي أسلاكٌ في أحشاء وَنْ فولغيت ستريت عبر كوّة محفورة في السقف.

أفتحُ لنفسي طريقاً وسط مواد الصيانة وأمرُّ برأسي من خلال الفتحة. وبفضل ضوء هاتفي، أكتشفُ سقفاً مزيّفاً يشغلُ كلَّ طولِ البيت. والأرضية مغطاة بأسلاك أخرى. يقود إلى نوع من العِلِّيّة، أكثر رحابة، تقعُ فوق الحجرة. وأُمَيِّزُ في العمق شبكةَ قنوات.

أقول لنفسي إني قد عثرتُ على حلٍّ لمشكلٍ كان يقلقني. لم أكن أستطيع أن أحسمَ في وضع ملابس إيزابيل، التي لم ترتديها، في خزانة، بالإضافة إلى أمتعة أخرى وجميع كُتُبي. كان يبدو لي أن إفراغها وترتيبها بعناية في الخزانات فعلٌ غير لائق. والنتيجة، أن الحقيبة كانت تنتظرُ في الحجرة منذ أن رحلتُ. أذهبُ للبحث عنها وأدفعها فوق أرضية السقف المزيَّف، إلى العلّيّة. يمكن أن أتركها هنا، ولن تُزعج أحداً.

ضوء هاتفي المحمول ليس قويّاً جداً، لذلك لم أخفض بصري إلا عندما أحسستُ بشيء رخو تحت قدمي وأُبصِرُ كيسَ نوم، مدسوس بين عارضتَين خشبيتَين. يُغطّيه الغبار. عندما أرفعه، يسقطُ منه شيءٌ ما: سروال لباس نوم فتاة صغيرة، مزيَّن بتفاحات صغيرة. أَدُسُّ يدي داخل كيس النوم وأكتشفُ في قاعه جواربَ ملفوفة على شكل كرات. وبطاقة زيارة مطوية الزوايا. **كارول يونسون. معالجة نفسية محلَّفة.** عنوان بريد إلكتروني ورقم هاتف.

وعندما أنظر من حولي، أكتشفُ أشياء أخرى: عُلب تونة فارغة، بقايا شموع، قارورة عطر فارغة، قنينة من البلاستيك لمشروب طاقة.

غريب. غريب وغير مفهوم. ليس لديّ أيّ وسيلة لمعرفة إن كان كيس النوم هذا من ممتلكات إيما ماتيوس؛ لا أعرفُ حتى عدد المكترين الذين استقبلهم وَنْ فولغيت ستريت. وإن كانت ملكيته تعود إلى إيما، فلن أعرف أبداً أيَّ رعبٍ من دون اسم دفعها إلى ترك تلك الحجرة الرائعة، والشديدة الأناقة، لتأتي للنوم هنا.

يرنُّ هاتفي، بشكل يخترق السمع، في هذا الفضاء المعزول.

«جين، أنا إدوارد».

الأمس: إيما

أحاولُ أن أُقنِعَ سايمن أن نلتقي في مكان محايد مثل حانة. لكنه، وإن وافق على توقيع الملحق، فإنه لن يفعل ذلك إلّا في وَنْ فولغيت ستريت.

- في جميع الأحوال، يقول، عليّ أن أمُرَّ لأخذ بعض الأمتعة التي نسيتُها.

- حسناً، أقولُ على مَضَض. أضبطُ الإضاءة على قوتها القصوى، ثم أرتدي سروال جينز مهمَلاً وقميصاً قديماً، الأقل إثارة من بين ثيابي. أنا منهمكة في ترتيب المطبخ (غريبٌ كيف تتجمع الأكوامُ، حتى عندما لا يملك المرء سوى القليل من الأشياء)، عندما أسمعُ صوتاً من خلفي، فتنفلتُ مني صرخةٌ صغيرة.

- أهلاً إيما، يقولُ.

- تبّاً، أفزعتَني حقيقة! أقولُ غاضبة. كيف دخلتَ؟

- احتفظتُ بالمفتاح الرقمي إلى أن أسترجع أمتعتي. لا تقلقي، سأمحوهُ، بعد ذلك.

- طيب اتفقنا، أقول. أَعِدُ نفسي بأن أسأل مارك، الوكيل العقاريّ، عن الطريقة التي تسمح بإقفال قُنِّ سايمن.

- كيف حالكِ إيما؟

- بخير، أجيبُ.

أعرفُ أن عليّ أن أسألَ أنا أيضاً عن أحواله، لكنني أرى أنه ليس على ما يرام. شاحب السحنة، رخاميّ الجلد، كعادته عندما يُفرِطُ في الشّرب، وقَصَّةُ شَعره مروعة.

- ها هو الملحق، أقولُ وأنا أمدُّ إليه الوثيقة. وهاك القلم. أنا سبق أن وقّعتُهُ.

- هيه! هيه! ألا نشربُ أولاً كأساً صغيرةً؟

- لا أعتقدُ أن هذه فكرة جيدة، سايمن.

وعندما أرى ابتسامة في طرف شفتيه، أُدرِكُ أنه قد شرب قبل الحضور.

- هذا مجرد هراء، يعلنُ بعد أن قرأ الملحق.

- لقد قام بتحريره محامٍ، أقولُ.

- لا، أنا أتحدّث عمّا نحن بصدد القيام به. نحن نحبُّ بعضنا بعض، إيما. صحيح، وقعت لنا مشاكل، لكننا في العمق كلانا يحب الآخر.

- أرجوك، سايمن، لا تُعقِّد الأمور.

- أنا؟ هذه مبالغة، أليس كذلك؟ بينما أنا من وجدتُ نفسي مطروداً من البيت، دون أن أعرف إلى أين أمضي. لولا أني أعلمُ أنكِ ستنتهين إلى تغيير رأيكِ، عاجلاً أو آجلاً، لكنتُ غاضباً حقيقة.

- لن أغيِّرَ رأيي، أقولُ.

- بالتأكيد ستفعلين.

- لا.

- ومع ذلك، **أنا هنا**، أليس كذلك؟

- لكي تسترجع أمتعتك.

- أو لأرجع إلى حيث توجد أمتعتي.

- يجب عليك أن تنصرف، سايمن. أقول وأنا أشعر بالغضب ينمو بداخلي.

يتّكئُ على منضدة المطبخ.

- لن أنصرف إلا بعد أن أشرب كأساً وأن يكون لي نقاشٌ حقيقي معكِ، يُعلِنُ.

- يا إلهي! ألا يمكنكَ أن تتصرف مثل إنسان راشد ولو لمرة واحدة؟

- إيما، إيما، يقولُ بنغمة ساحرة. لا تغضبي. أقول إني أحبكِ فحسب وإني لا أريد أن أفقدكِ.

- ليست هذه هي الطريقة الملائمة.

- آه! هذا يعني أن هناك طريقة ملائمة؟

أجدني حائرة. لو أنني أتركُه يعتقد بوجود إمكانية لنعود للعيش معاً بعد فترة من الوقت، قد ينصرف دون أن يثير مشاكل. إيما القديمة كانت ستختار هذا الحلّ. لكن إيما الجديدة أكثر جرأة.

- لا، أقولُ، ليس هناك أيّ إمكانية لنعود للعيش معاً في أي يوم من الأيام.

يتقدّمُ نحوي ويضعُ يديه فوق كتفَيّ. نَفَسُهُ يعبق برائحة الكحول.

- أحبكِ، إيما.

- توقّفْ، أقولُ وأنا أتخلّصُ منه

- أحبُّكِ، هذا أقوى مني.

في نظرته بعض الجنون.

يرنُّ هاتفٌ. أنظرُ من حولي. هاتفي المحمولُ يرنُّ ويومِضُ، وهو يتحرّكُ نحو حافة المنضدة.

- دعني أَمُرّ، أقول وأنا أدفعُهُ.

هذه المرة، يُطلقني وأرتمي على هاتفي.

- ألو؟

- إيما، أنا إدوارد. كنتُ أريد أن أتأكد من أنكِ قد وجدتِ حلاً لمشكل العَقد الذي تحدثنا عنه فحسب.

يتحدثُ إدوارد مونكفورد بلهجة مؤدّبة ورسمية.

- أجل، شكراً. وبالمناسبة، سايمن موجود هنا. لقد حضر ليُوقِّعَ الوثيقة.

يلي ذلك صمتٌ قصير.

- دعيني أكلِّمُهُ، من فضلكِ.

أرى وجهَ سايمن يربدُّ بينما يُحدِّثُهُ إدوارد في الهاتف. يستغرق الحديثُ نحو دقيقة، لم يقلْ سايمن أثناءها أيَّ شيء تقريباً. يكتفي بأن يُصدر همهماتٍ بين الفينة والأخرى.

- خذي، يقول بعبوس وهو يعيد إليّ هاتفي.

- ألو؟ أقول.

- سيوقِّعُ سايمن الوثيقةَ، إيما. وبعد ذلك، سينصرفُ. سأحضُرُ لأتأكد من أنه قد انصرف بالفعل، لكن خصوصاً لكي أنام معك. لكن لا تقولي شيئاً لسايمن، بطبيعة الحال.

يقطع المكالمة. أنظرُ إلى الهاتف. أسمعتُ جيّداً؟ أجل، من دون شكّ.

- ماذا قال لكَ، سايمن؟

- لم أكن لأصيبكِ بأذى، يقول حزيناً، بدل أن يجيب عن

سؤالي. أبداً لن أوذيكِ. عمداً. أحبّكِ، إيما، لستُ أملكُ أمري في هذا. وسأُفلِحُ في استعادتكِ، سترين.

متى سيصلُ إدوارد مونكفورد؟ ألا تزال أمامي فُسحة للاستحمام؟ أنظر من حولي فألاحظُ دزينة خروقٍ لقواعد عَقد الكراء. أمتعة ملقاة فوق الأرض، وأشياء فوق المنضدة، وجريدة فوق الطاولة الحجرية، وقمامة تدوير النفايات تفيض. هذا إضافة إلى الحجرة المقلوبة على رأسها، وبقع الخمر التي لم أنظفها منذ حفل عيد ميلادي. أستحمُّ بسرعة وأتنشّفُ سريعاً وأنا أنتقي لباساً: قميصاً وتنورة بسيطَين. أينبغي أن أضع عطراً؟ لا، سيكون الأمر مبالغة بعض الشيء. وأثناء كل هذا الوقت، يواصل جزء مني الاعتقاد بأن إدوارد إنما كان يمزح أو أنني لم أسمع جيداً.

وأنا أرجو ألا يكون الأمر كذلك.

يرنُّ هاتفي المحمول. إنه Housekeeper يخبرني بوجود شخص ما أمام الباب. أضغطُ على «فيديو» فتُبرزُ لي الكاميرا الخارجية صورة إدوارد، يحمل باقة ورد وقنينة خمر.

لم أخطئ إذاً. أضغطُ على «موافق» لأسمح له بالدخول.

ما أن أصل إلى مستوى الطابق الأول، حتى أجده واقفاً عند أسفل الدرجات. يتأملني بِنَهَمٍ. يستحيل الاندفاعُ فوق هذا السلّم: يُرغمُكَ على النزول بحذر، وجدّية. وقبل أن أصل أمامه، تسكرني الإثارةُ.

- مرحباً، أقولُ بعصبية.

ينظر إليّ دون أن ينبس ببنت شفة. تدنو يده من وجهي، يرفع خصلة ويُخفيها خلف أذني اليسرى. لا يزال شَعري مبلّلاً من أثر

الاستحمام، وأحسُّ ببرودة احتكاكها بقفاي. وعندما تلامسُ أصابعُهُ شحمةَ أذني، أنتفضُ.

- كلُّ شيء على ما يرام، يهمس. كلُّ شيء على ما يرام. تنزلق يدُهُ تحت ذقني وترغمني على رفع رأسي، بلطف. إيما، لا أتوقَّفُ عن التفكير فيكِ. لكن إن كان الأمرُ سابقاً لأوانه، أخبريني وسأنصرف إلى حالي.

يحُلُّ زرَّين من قميصي. لا أرتدي حمالة صدر.

- أنتِ ترتعشين، يقول.

- تعرّضتُ لاغتصاب.

لم أكن قد خطّطتُ أن أُلقيَ إليه الأمر بهذه الطريقة. أريد فقط أن يفهم أن كل هذا ليس تافهاً بالنسبة إليّ، وأنه ليس كالآخرين.

يتكدّرُ وجهُهُ في الحين.

- من لدن سايمن؟ يسأل بغضب.

- لا. أبداً لم... من لدن أحد اللصَّين، اللذين حدّثتُكَ عنهما.

- إذاً الأمر سابق لأوانه، يقرّرُ.

تَخرجُ يدُهُ من داخل قميصي ويُقفلُ الزرَّين. أشعر كأني طفلة تُلبَسُ ثيابَها لتذهب إلى المدرسة.

- كنتُ أريد أن تعلم ذلك فحسب. في حال... لكننا يمكن أن نمارس الحب معاً، إن أردتَ، أقول بخجل.

- لا، لا نستطيع. ليس اليوم. ستأتي معي.

5 أ) لديكِ الاختيار بين أن تُنقذي تمثالَ داوود لميكيلانجيلو أو طفلاً جائعاً يعيش في الشارع. ماذا تختارين؟

- ❍ التمثال
- ❍ الطفل

الآن: جين

«توقفْ هنا»، يقول إدوارد لسائق سيارة الأجرة.

نحن في قلب المدينة. تنتصبُ بناياتٌ حديثة مهيبة، من زجاج وفولاذ، من فوق رؤوسنا، من جميع الجهات؛ لا نكاد نرى قِمَمَ شارد[1] وتشيز غريتر[2]. يفاجئ إدوارد نظرتي المنبهرة بينما يدفع أجرةَ السائق.

«ذاك مجرد تفاخر»، يعلِّقُ بازدراء. «نحن، سنذهبُ إلى هناك».

يقودني نحو كنيسة، بناية دينية متواضعة لم يسبق لي أن أعرتُها انتباهي، محاصَرة وسط تلك العَماليق المتعالية. داخلُها رائعٌ، وبسيط، يكاد يكون عادياً، يغمرُهُ الضوءُ بفضل النوافذ الهائلة المُقتَطَعَة في أعلى الجدران. وتكتسي الجدرانُ اللونَ نفسه، لونَ القشدة الشاحب مثل ألوان وَنْ فولغيت ستريت. وترسم الشمسُ

(1) Shard : ناطحة سحاب للمكاتب والسكن في لندن تقع في مقاطعة سوثوورك على الضفة الجنوبية لنهر التمز. (المترجم)

(2) Cheese Grater : ناطحة سحاب للمكاتب، تقع في حيّ الأعمال من مدينة لندن، تتكون من 48 طابقاً. (المترجم)

المتسلِّلةُ عبر تعشيقات النوافذ أشكالاً شبكية فوق الأرض. لا يوجد في الكنيسة أحدٌ غيرنا نحن الاثنين.

«هذه بنايتي المفضَّلة في لندن»، يقول. «انظري».

أقتفي نظره المتطلِّعَ إلى السقف فيقطع الانبهارُ أنفاسي. تمتدُّ، من فوقنا، قبّةٌ واسعة. يبدو الفراغُ المهيمنُ في وسط الكنيسة الصغيرة كأنه يطفو فوق أعمدة في منتهى الدِّقّة. وتحتها تماماً، ينتصبُ المذبحُ، أو ما أحسبه مذبحاً: قطعة حجر ثقيلة، مستديرة، يبلغ قُطرُها حوالي متراً وخمسين.

«قبل حريق لندن الكبير، كان يوجد نوعان من الكنائس»، ألاحظُ أنه لا يحاول أن يهمس. «الكنائس القوطية، مظلمة وكئيبة، ظلَّتْ تُبنى على المنوال نفسه منذ أن صارت إنجلترا كاثوليكية، محشوّة بالأقواس، والزخارف، والزجاج؛ ومعابد الطهرانيين، البسيطة، والعارية. وبعد الحريق، وجد الرجالُ الذين أعادوا بناء لندن الفرصةَ سانحةً لخلق نوع جديد من الهندسة المعمارية: أماكن يمكن لأيِّ واحدٍ أن يُصلِّيَ فيها مهما كانت عقيدته. ومن ثَمَّ تبنّوا هذا الأسلوب المجرَّد، والعاري من الزينة. غير أنهم كانوا يعرفون أن عليهم أن يُعوِّضوا الطابعَ الجنائزيَّ في الهندسة القوطية بشيء آخر».

يشير إلى أشعة الشمس المشتبكة فوق الأرض والتي تبدو كأنها تنيرُ الحجر من داخله. «النور»، يقول. «عصر الأنوار، اسمٌ على مسمّى».

«من هو مُصمِّمُ هذه الكنيسة؟».

«كريستوفر ورين. يتزاحمُ السيّاحُ في كاتدرائية سان بول، غير أن قمة عمله هنا».

«هذا جميل» أقول، بكل صراحة.

عندما هاتفني إدوارد منذ قليل، لم يُشِرْ لا من قريب ولا من بعيد إلى الطريقة المتسرّعة التي غادر بها فراشي قبل أسبوع من الآن، لا يثرثر. مجرد: «أَوَدُّ أن أُريَكِ بعض البنايات، جين. أنت موافقة؟».

«أجل»، أجبتُ من دون تردّد. ليس لأني قررتُ أن أتجاهل كلّياً تحذيرات مِيَا، لكن تلك التحذيرات أجّجت في الحقيقة فضولي.

طمأنتُ نفسي بكونه أخذني معه إلى هنا اليوم. لِمَ كان سيقوم بهذا لو أنه لا يجذبه فيّ سوى شبهي بالمرحومة زوجته؟ يجب عليّ أن أخضع للقوانين التي أقامها: أن نعيش اللحظة كما تَهُلُّ، وألا نُسَمِّمَ علاقتنا بتحليلات معقدة أو انتظارات مبالغ فيها.

بعد سانت ستيفانس[1]، نذهب لزيارة بيت جون سوان[2] في لنكولنس إين فيلدس[3]. تعلنُ لافتةٌ أن البيت غير مسموح بزيارته اليوم للجمهور، لكن إدوارد يدقُّ جرس الباب ويُحيّي المحافظَ باسمِهِ عندما يحضر هذا الأخير ليفتح لنا الباب. بعد محادثة حبّية، يدعونا إلى الدخول والتجوّل بكل حرية. يحبل هذا المسكن الصغير بأشياء وتحفٍ من كل صنف، أجزاء من منحوتات إغريقية أو قطط محنَّطة. أندهشُ من حبِّ إدوارد لهذا الديكور، لكنه يفسر ذلك: «كَوْنِي أُصَمِّمُ بناياتٍ ذات أسلوب مخصوص لا يعني أني لا أُقَدِّرُ الآخرين، جين. ما يهمُّ هو الإتقان. الإتقان والأصالة».

---

(1) St. Stephen's.

(2) John Soane: مهندس بريطاني (1753-1837)، ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية الجديدة. (المترجم).

(3) Lincoln's Inn Fields.

يُخرجُ من صندوقٍ موضوعٍ داخل المكتبة رسماً يُمثِّلُ معبداً صغيراً نيو كلاسيكي. «هذا، على سبيل التمثيل».

«ما هذا؟».

«الضريح الذي بناه من أجل زوجته المتوفاة».

آخذُ الرّسمَ وأتظاهرُ بفحصه، لكنَّ ذهني، في الحقيقة، يبقى متوقفاً عند كلمة ضريح.

لا أزالُ أفكِّرُ في كل ما تقتضيه تلك الكلمةُ عندما نصعدُ سيارة أجرة عائدَين إلى وَنْ فولغيت ستريت. وعندما نقتربُ من البيت، أنظر إليه بعين جديدة، أقيمُ مقاربات بين البنايات التي أُبْنَا من زيارتها.

عندما يصل إدوارد أمام الباب، يتوقف.

«أترغبين في أن أدخل؟»، يسألني.

«طبعاً».

«لا أريد أن أترك لديكِ انطباعاً أني أعتبرُ هذا مثل دَيْنٍ عليك. تفهمين ما أقصد، أليس كذلك، أن هذا ينطبق عليّ كما ينطبق عليك؟».

«هذا لُطفٌ منك. لكني أرغبُ حقيقة في أن تدخل».

الأمس: إيما

- إلى أين نمضي؟ أسألُ إدوارد الذي يلوِّحُ لسيارة أجرة.

- إلى وولبروك[1]، يقول موجِّهاً كلامه إلى السائق. ثم: أريدُ أن أُرِيَكِ بعض البنايات.

على الرغم من كل أسئلتي، يرفضُ أن يقول أكثر من ذلك إلى أن تتوقّف سيارة الأجرة في قلب المدينة. نحن محاطون ببنايات حديثة رائعة وأحاول أن أُخمِّنَ أيّ واحدة منها اختار. لكنه يأخذني إلى كنيسة، ذات منظر غير منسجم مع كل هذه البنوك المتلألئة.

داخلُها مريح، على الرغم من طابعها المتقشف. قبّةٌ واسعةٌ تعلو المذبحَ: كتلةُ حجر مهيبة موضوعة في المركز. أفكِّرُ في تمائم وقرابين آدمية.

- قبل الحريق الكبير، كان يوجد نوعان من الكنائس، يشرح لي. الكنائس القوطية المظلمة والمعابد المجرّدة التي كان يقصدها الطهرانيون للصلاة. بعد الكارثة، استفاد الرجالُ الذين أعادوا بناء

(1) Walbrook: إحدى الجهات الخمس وعشرين من المدينة في لندن. (المترجم)

لندن من الفرصة ليخلقوا أسلوباً هندسياً جديداً، هجيناً. لكنهم كانوا يعلمون أن عليهم أن يجدوا شيئاً يعوِّضون به ذلك الطابع القوطي المتقشّف.

يشيرُ إلى الأرض، حيث تعكسُ النوافذُ الكبيرةُ تربيعات من الظل والضوء.

- النور، يقول. عصرُ الأنوار اسمٌ على مسمّى.

وبينما يتجولُ هنا وهناك، يفحص بعضَ التفاصيل، أصعدُ فوق كتلة المذبح المعدنية. أطوي قدمَيّ تحتي وأنقلبُ إلى الوراء، مقوِّسة ظهري إلى أن يلمس الحجرُ قفاي. وأُنفِّذُ بعض الأشكال: الجسر، والعجلة، والبطل المُمَدَّد. مارستُ اليوغا ما يقارب الستة أشهر ولم أنسَ كلَّ شيء.

- ماذا تفعلين؟ يسألُ صوتُ إدوارد. هذا المذبح من عمل هنري مور[1]، يقولُ بلهجة مؤنِّبة. استعملَ حجراً مجلوباً من المحجر الذي كان يستعمله ميكيلانجيلو. ثم يضيف: أظنُّ أن الوقت قد حان لنذهب. لا أحبُّ أن أُمنَعَ من الدخول إلى تلك الكنيسة.

تحملنا سيارةُ أجرة أخرى إلى المتحف البريطاني. وهنا، يتحدث إلى شخص ما في المدخل فنجدُ أنفسَنا، لا أعرفُ كيف، داخلَ قسمٍ من المتحف مقصور على الأساتذة والباحثين. يأتي مساعدٌ ليفتح واجهة زجاجية مقفلة بالمفتاح ويتركنا وحيدين.

- ضعي هذا، يقول لي إدوارد وهو يمدُّ لي قفازَين أبيضَين من القطن، قبل أن يلبس قفازَين هو بدوره. وبعد ذلك، يولِجُ يديه في الواجهة الزجاجية ليُخرِجَ شيئاً مصنوعاً من حجر.

---

(1) Henry Moore: نحّات إنجليزي (1898-1986)، اشتهر بمنحوتاته الكبيرة التجريدية. (المترجم)

- يتعلق الأمرُ بقناع طقوسي لشعب الأولمك، يشرح لي. أوَّلُ حضارة شيّدت مدناً في أميركا. تمَّ محوها من الخريطة منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة.

يمدُّ لي القناعَ. آخذُهُ، وأنا أخشى أن يقع مني. تبدو العينان حيّتَين.

- لا يُصدَّق، أقول. في الحقيقة، لا تعنيني كثيراً هذه الأمور، لا القناع، ولا الكنيسة، لكنني سعيدة بوجودي معه.

يهزُّ إدوارد رأسهُ، راضياً.

- وضعتُ لنفسي قاعدة، ألّا أرى سوى شيء واحد عندما أزورُ متحفاً، يقول ونحن نعود أدراجنا. وإلّا فالمرء لا يُقَدِّرُ ما يرى.

- آه، لهذا السبب لا أحبُّ المتاحف، أقولُ. لم أكن أعرف طريقة الاستعمال. يضحكُ.

أبدأ بالإحساس بالجوع فنذهبُ إلى مطعم يابانيّ يعرفُهُ.

- سأطلبُ الطعام لي ولكِ، يقولُ. شيء بسيط، مثل **تونكاتسو**. المطبخ الياباني الحقيقي يُخيف الإنجليز.

- ليس أنا، أقولُ. يمكنني أن آكل من كل شيء.

يرفع حاجبَيه.

- أهذا تحدٍّ آنسة ماتيوس؟

- إن أردتَ.

يفتتح ببعض السُّوشي: أخطبوط، وقنفذ البحر، ومختلف أنواع الجمبري.

- ليست بالأطعمة التي يمكن أن تروّعني، أقول.

- همممم، يغمغمُ. يُحدِّثُ الشيف بلسان يابانيّ طليق. أُخمِّنُ أنه يُطلِعُهُ على لعبتنا الصغيرة، ويُبدي الشيف ابتسامة واسعة وهو

يفكر في أن يُقدِّم **للغاجين**[1] الصغيرة طبقاً لا تستطيعُ ابتلاعهُ. بعد وقت قصير، يُحمَلُ إلينا طبقٌ مملوء بقِطَعٍ صغيرة بيضاء هلامية.

- ذوقي، يقول إدوارد.

- ما هذا؟

- هذا يُسمّى **شيراكو**.

أضع قطعتين في فمي، على سبيل التجريب. تنفجران بين أضراسي، وتُطلقان مادةً لزجة ومالحة.

- لا بأس بها، أقولُ وأنا ألوكها، بينما أجدها، في الحقيقة، كريهة.

- إنها الجيوب التي تحوي مَنِيَّ الأسماك. يُعتبرُ في اليابان طعاماً رفيعاً.

- ممتاز. ثم ماذا بعد؟

- تَخَصُّصُ الشيف.

تحملُ إلينا النادلةُ سمكةً كاملةً فوق طبق، وألاحظُ بفزعٍ أنها لا تزال حيّةً. أعترفُ أنها بين الحياة والموت. تُحرِّكُ، ممدَّدةً على الجانب، ذيلَها بضعفٍ وتفتح فمها كأنها تريد أن تقول شيئاً ما. قُطِّعَ الجزءُ العُلويُّ كلُّهُ إلى شرائح رقيقة. وأكاد، لوهلة قصيرة، أن أستسلم. لكنني أُغلقُ عينيَّ وأنطلقُ.

عند اللقمة الثانية، أحتفظُ بهما مفتوحتَين.

- أنتِ آكلةٌ جَسور، يعترفُ على مَضَض.

- ليس عندما آكلُ فحسب.

- هناك شيء يجب أن تعلميه، إيما.

---

(1) الغربية باليابانية. (المترجم)

يبدو شديد الجدّيّة فأضعُ العودَين، اللذين آكلُ بهما، لأُنصتَ إليه.

- لا أحبُّ العلاقات المحافظة، مثلما لا أحبُّ البيوتَ المحافظة.

- حسناً. ما الذي يُرضيكَ إذاً؟

- العلاقات الإنسانية، بما أننا نميلُ في وجودنا إلى إثقال ذواتنا بالزّائد، غير الضروري. بطاقات عيد الحب، والحركات الرومانسية، والمواعيد، والكلمات الحنونة المضحكة. لكن، ماذا لو حذفنا كلَّ هذا؟ يوجد نوعٌ من النقاء في علاقة متخلّصة من الأعراف، شعور بالبساطة والحرية. غير أن هذا لا يمكن أن ينجح إلّا إذا كان الطرفان يعيان بوضوح ما يفعلان.

- سأتذكّرُ أني لا ينبغي أن أنتظر بطاقة في عيد الحب، أقول.

- وعندما سيكُفُّ الأمرُ عن أن يكون رائعاً، سننتقلُ إلى أمر آخر، من دون ندم. اتفقنا؟

- كم من الوقت سيدوم هذا؟

- أهذا مهمٌّ؟

- ليس حقيقة.

- أحياناً، أعتقدُ أن جميع الزيجات ستكون أكثر سعادة لو أن الطلاق كان إجبارياً بعد مدة معيّنة. لنقُلْ ثلاث سنوات. سيُقَدِّرُ الناسُ أكثرَ بعضُهم بعضاً.

- إدوارد، إن أقبَلْ بما تقترحه عليّ، هل سننام معاً؟

- لسنا ملزمين بأن ننام معاً. إن كان ذلك يطرح مشكلة بالنسبة إليكِ.

- أرجو ألا تكون تحسبني مثل سلعة تالِفة؟

- ماذا تقصدين؟

- بعض الرجال..

تبقى جملتي معلَّقَةً. لكن يجب أن أقولها. آخذُ نفَساً مرتعشاً.

- عندما علمَ سايمن أنني اغتُصبتُ، توقف عن الاقتراب مني. لم يكن يستطيع ذلك.

- تبّاً. لكن أنتِ؟ أنتِ واثقة من أن الأمر ليس سابقاً لأوانه؟

باندفاع، أُمسكُ بيده تحت المائدة وأضغط عليها. يبدو مندهشاً، لكنه لا يسحبها. أشعر برغبة في الانفجار ضاحكة.

- أكيدٌ، ليس الأمر سابقاً لأوانه، أقولُ.

- من الأفضل أن ننصرف، يقول. لكنه لا يسحبُ يده.

الآن: جين

بعد أن مارسنا الحبَّ، أشعر بنفسي نعسانة ومتخمة. يتّكئ إدوارد على كوعه ليتفحّصَ أدنى تفاصيلي، وتستكشفُ يدُهُ بَشَرَتي. وعندما تصلُ إلى التغضنات الناتجة عن وضعي إيزابيل، أحاولُ أن أستدير على جانبي، متضايقة، لكنه يمنعني.

«لا. أنتِ جميلة، جين. كلُّ جزء صغير فيكِ جميلٌ».

تلتقي أصابعُهُ الفضوليةُ بندب تحت نهدي الأيسر. «ما هذا؟».

«حادثٌ عندما كنتُ صغيرة. سقطتُ من الدراجة».

يهزُّ رأسهُ كأنه يجد هذا الجواب مقبولاً وينزلُ نحو صرّتي. «كأنها كرة مصارين»، يعلِّقُ وهو يزيحها بأصابعه، قبل أن ينزلَ متتبِّعاً طريق الزّغب الناعم. «أنتِ لا تنتفين الزغب».

«لا. أينبغي لي ذلك؟ رفيقي الأخير... فيتوريو كان يُفضلني هكذا. كان يقول إنه قليل جدّاً».

يفكِّرُ إدوارد. «ينبغي أن تسوّيهِ على الأقل».

فجأة، يبدو لي هذا الحديثُ مضحكاً. «أنتَ تطلبُ مني الآن أن أُشذِّبَ عانتي، إدوارد؟».

يعود إلى وضع رأسه فوق الوسادة. «أجل، نوعاً ما. ما المُضحكُ في هذا؟».

«لا شيء. سأحاول أن أُقلِّلَ من نظام زغبي من أجلك».

«شكراً». يغرسُ قُبلةً فوق بطني، مثل راية. «سأذهبُ لأستحمّ».

أسمع جريان الماء خلف الفاصل الحجري الذي يعزل الحمّامَ عن الحجرة. أتخيّلُ، وفق تغيّر قوة سقوط الماء، جسدَهُ وهو يتنقّلُ تحت انهمار المياه، جِدعهُ النّاعم والصلب الذي يستدير إلى هذه الجهة أو تلك. أتساءلُ بغموض كيف للّاقط أن يتعرّف إليه. أيكون قد احتفظ بولوجٍ متميِّز، مُسجَّل في النظام، أم يوجد ضبطٌ عامٌّ مخصوص بالزوّار؟

يتوقف جريان الماء. وبما أن إدوارد لم يظهر بعد عقب دقائق عديدة، أستقيمُ فوق فراشي. ويصلني صوتُ فركٍ من حجرة الحمّام.

أنهضُ وأُلفُّ حول فاصل العزل. إدوارد، متّزراً منشفةً بيضاء، جالساً القرفصاء، وهو منهمكٌ في مسح جدران الحمّام بواسطة ممسحة.

«الماء هنا ثقيلٌ جدّاً، جين»، يشرح لي دون أن يرفع رأسه. «إذا لم تنتبهي، سيتراكمُ الكِلْسُ فوق الحَجَر. بعض الآثار صارت بارزة. تذكّري مسح الحمّام كلما استعملتِهِ».

«إدوارد..».

«ماذا؟».

«أليس في الأمر بعض... الهَوَس؟».

«لا. هذا ضدُّ الإهمال». يُفكِّرُ. «لِنَقُلْ إني شديد التدقيق».

«أليست الحياة أقصر من أن نقضي وقتاً في مسح الجدران بعد الاستحمام؟».

«أو إن الحياة أقصر»، يردُّ عليَّ، «من ألّا نعيش بطريقة أقرب ما يمكن إلى الكمال».

ينهضُ. «لم تقومي بعد بتقويم، هيه؟».

«تقويم؟».

«مع Housekeeper. أظنُّهُ مبرمَجاً على دورة شهرية. سأضبطُهُ كي تتمكني من القيام بواحد غداً».

بعد صمتٍ، يُضيفُ: «أنا واثقٌ من أنّك تُبلين البلاء الحسن، جين. لكن المعطيات الرقمية ستساعدكِ على التحسّن».

في صباح اليوم الموالي، أستيقظ سعيدة ومتصلّبة بعض الشيء. إدوارد قد انصرف. أنزلُ لأشرب قهوة قبل أن أستحمَّ وأكتشفُ رسالةً من Housekeeper فوق شاشة حاسوبي.

جين، المرجو أن تضعي تقويماً من 1 إلى 5 للتأكيدات الآتية، 1 يناسبُ «متّفقة تماماً» و5 تناسب «غير متّفقة نهائياً».

1- أرتكب أخطاء أحياناً.
2- أشعرُ بالخيبة سريعاً.
3- أقلقُ بسبب أشياء من دون أهمية.

وهناك عشرات من الأسئلة الأخرى. أضعُ الاستمارةَ جانباً، وأصنعُ لنفسي قهوة، وأصعدُ من جديد بفنجاني. أدخلُ الحمّامَ وأنتظر شلّالَ الماء الساخن اللذيذ. لا يحدثُ شيئاً.

أُحرِّكُ يدي، الذي أحمل فيه السِّوارَ الرقميَّ. لا شيء دائماً. انقطاع في التيار؟ أحاول أن أتذكّر إن كنتُ قد شاهدتُ علبة صمّامات داخل خزانة المنظِّفة. لكن لا يمكن أن يتعلق الأمرُ بهذا: البيتُ به كهرباء وإلا لما اشتغل Housekeeper.

ثم أفهمُ. «اذهب إلى الشيطان، إدوارد! كنتُ أرغبُ في حمّام».

بالفعل، عندما أنظر إلى رسالة Housekeeper بتمعّن، أكتشفُ هذه الكلمات: **عُطِّلتْ بعضُ وظائف البيت إلى أن ينتهيَ التقويم.**

على الأقل، سمح لي بإعداد قهوة. أجلسُ لأجيب عن الأسئلة.

الأمس: إيما

العلاقة الحميمة مع إدوارد أمرٌ ممتعٌ.

ممتعٌ، لكن ليس مُذهِلاً.

لديَّ انطباعٌ أنه يكبحُ نفسه، يحاول أن يتصرّف مثل رجل نبيل. لكن لا رغبة لي في أن يكون رجلاً نبيلاً في فراشي. أريدُهُ أن يكون الذّكَر المُهيمِن الأنانيّ مثلما، من الواضح، أنه يعرفُ أن يكون أحياناً.

بيد أن هناك انشغالات أخرى.

جالسة أمام الطاولة الحجرية، بلباس النوم، أنظر إليه وهو يطبخُ خضراً مقليةً. ارتدى وزرةً: حركة أنثوية بشكل غريب من لدن رجل شديد الفحولة. وبعد تقطيع دقيق للمكوِّنات وانطلاق الإعداد، يصير مجرّد تركيز وتدقيق، نار وطاقة؛ يجعلُ الخضرَ تقفزُ في المقلاة بواسطة ملعقة المطبخ ويلتقطها مثل فطيرة رخوة. بعد دقائق معدودة، يكون الطعام جاهزاً. وأنا أموتُ جوعاً.

- هل كان لكَ دائماً هذا النوع من العلاقات؟ سألتُهُ أثناء الوجبة.

- أي نوع؟

- لا أعرفُ كيف تُسمِّي هذا. من دون حواجز. مستقلة.

- منذ مدة لا بأس بها، أجل. تعرفين، ليس لي أيُّ اعتراض على العلاقات التقليدية. كلُّ ما في الأمر أن أسلوبي في الحياة لا يسمحُ بها. لذلك، اخترتُ عن وعيٍ أن أعتاد على العلاقات القصيرة. واكتشفتُ أن العلاقات في هذا السياق هي أحسن، وأقوى؛ سباق مسافات قصيرة بدلَ الماراثون. تُقدِّرُ الآخر أكثر عندما تعلمُ أن الأمر لن يدوم إلى الأبد.

- كم من الوقت يستغرقُ ذلك، عموماً؟

- إلى أن يُقرِّرَ أحدُ الطرفَين أن يتوقف، يجيب بكلِّ جدّيّة. الأمرُ لا ينجح إلّا إذا كان الطرفان يريدان الشيء ذاتَه. ولكن إيّاكِ أن تظني أنَّ «من دون حواجز» تعني في ذهني من دون انخراط ومن دون مجهودات، لكنها بكل بساطة نوعٌ آخر من الالتزام، ونوعٌ آخر من المجهود. من بين العلاقات الأكثر روعة التي عرفتُها، بعضُها لم تتجاوز مدّتُهُ أسبوعاً واحداً، وبعضُها الآخر عدة سنوات. المدّةُ لا تهمُّ كثيراً. لا تهمُّ سوى القيمة.

- حدِّثني عن التي دامَت عدة سنوات.

- لا أتحدَّثُ أبداً عن عشيقاتي السابقات، يقولُ بلهجة حاسمة. مثلما أني لن أتحدّثَ عنك للأخريات. والآن حان دوري كي أطرح عليكِ سؤالاً. كيف ترتبين توابلكِ؟

- توابلي؟

- أجل، هذا أمرٌ يشغلني منذ حاولتُ العثور على الكَمون، قبل قليل. من الواضح أنها غير مرتبة ترتيباً أبجدياً، ولا وفق تاريخ انتهاء الصلاحية. أيكون الترتيب وفق المذاق؟ أم وفق القارّة؟

- أنتَ تمزح، أليس كذلك؟

ينظر إليّ:

- تريدين أن تقولي إن الأمر اعتباطي؟

- اعتباطيّ تماماً.

- واه، يتعجّب.

أستشفُّ نغمةَ سخرية. لكن، أحياناً، يصعبُ الجزمُ بذلك مع إدوارد.

عند انصرافه، يخبرني أنه قضى أمسيةً رائعة.

5 ب) لديكِ الاختيار بين أن تُقدِّمي مقداراً صغيراً من المال هبةً لمتحفٍ يجمع التبرعات لشراء عملٍ مهمٍّ أو أن تُرسلي ذلك المال إلى أفريقيا من أجل مقاومة المجاعة. ماذا تختارين؟

- ○ المتحف
- ○ المجاعة

الآن: جين

«تُعجبني الطريقةُ الدقيقة التي يتجلّى بها العمل، بكل تنويعات مختلف الأصناف»، يُعلنُ رجلٌ يرتدي سترةً من مخملٍ مضلَّع، وهو يشير بكأس الشّمبانيا نحو السقف المشيّد بالزجاج والفولاذ.

«. . . الالتحام بين بنية تحتية غير ديكارتية ووظيفة اجتماعية. . »، تُفيدُ امرأةٌ باقتناع.

«خطوط رغبةٍ، مُضمرَة، ثم مَنفيّة. . ».

باستثناء اختلاف التعبير، أقول لنفسي، فإن الحفلات التي تُقامُ عند اكتمال بناية لا تختلف كثيراً عن حفلات افتتاح المعارض التي كنتُ أحضرها عندما كنتُ أعمل في عالم الفنّ: أناسٌ كثيرون يرتدون الأسود، كثيرٌ من الشّمبانيا، كثير من اللّحى الشائعة، وكثير من حمّالات النظّارات الاسكندنافية النفيسة. يتعلق الأمر، هذا المساء، بافتتاح قاعة موسيقى جديدة أقامها ديفيد شيبيرفيلد. بدأتُ أعتاد على أسماء المهندسين المعماريين الإنجليز الأكثر شهرة: نورمان فوستر، والمأسوف عليها زها حديد، وجون باوسن، وريتشارد روجرز. العديد منهم سيكون حاضراً هذا المساء، أسرَّ لي بذلك إدوارد. وسيُقامُ، في اختتام الأمسية، ألعابٌ نارية وعرض

ليزر، يمكن مشاهدتُهُ عبر السقف الزجاجي، حتى من الكينت[1].

أتجوّلُ بين الحشد، كأس الشّمبانيا في يدي، وأُنصِتُ. أتجوّلُ، لأنني لا أريدُ أن أكون مصدر إزعاج لإدوارد، وإن كان هو من دعاني. ثم إني لا أجدُ أدنى صعوبة في اصطناع محادثة إن رغبتُ في ذلك. يتكوّن الحضورُ أساساً من رجالٍ، شديدي الوثوق من أنفسهم وثملين بعض الشيء. سبق أن استوقفني أكثر من واحد وهو يسألني: «أيعرف بعضُنا بعضاً؟» أو «أين تعملين؟» أو بكل بساطة: «مساء سعيد».

عندما أرى أن إدوارد ينظر جهتي، أعودُ نحوه. يفترق عن المجموعة الصغيرة التي يتحدث معها. «الحمد لله»، يهمسُ لي. «إذا كان عليَّ أن أستحمل خطاباً آخر حول أهمية المتطلّبات البرامجية، أعتقد أنني سأُجَنُّ». ينظر إليَّ بإعجاب. «ألم يقل لك أحدٌ أنكِ أجملُ امرأة في الأمسية؟».

«في الواقع، قاله عدد من الأشخاص».

أرتدي فستانَ هيلموت لانغ مكشوفَ الظهر، نصفَ طويل، مشقوقاً بشكل كافٍ ليتبع حركاتي، وحذاءً بسيطاً من دون كعب من عند كلووي. «لكن ليس بمثل هذه الطريقة المباشرة».

يضحكُ. «هيّا معي».

أهمسُ: «أتريد أن نبحث عن مكان أكثر حميمية؟».

«لا».

وبينما تختلُّ ركبتاي، وترتعد رجلاي، ويصير كلُّ ثقل جسدي،

---

(1) Kent: مقاطعة إنجليزية تقع جنوب شرق لندن، بين المانش ومصبِّ نهر التمز. (المترجم)

أو جلُّهُ، يضغطُ عليه، يبتعد إدوارد عني قائلاً: «اعذريني، جين. ينبغي أن أذهب للحديث إلى أولئك الناس هنالك».

يتوجّه بخطى حثيثة نحو رجل أُوقِنُ أنه أشهر مهندس معماريٍّ بريطانيٍّ، عضو غرفة اللوردات، وبابتسامة واسعة، يمدُّ إليه يده مصافحاً. تلك اليد التي كانت تحضنني منذ لحظات.

لا يزال الدُّوار في رأسي عندما يشرعُ المدعوون في الانصراف. أصرتُ من هذا الصنف من النساء؟ هل أصبحت سهلة المنال؟ يأخذني إدوارد بعد ذلك إلى مطعم ياباني قريب، أحد تلك المطاعم المزوَّدة بمنضدة تحيطُ بالشّيف. جميع الزبائن الآخرين آسيويون: رجال أعمال ببدلات غامقة. يستقبل الشّيف إدوارد كأنه يعرفه جيداً، وهو ينحني، ويخاطبه باليابانية. يجيبه إدوارد باللغة نفسها.

«طلبتُ منه أن يُقدِّمَ لنا ما يشاء»، يقول لي، بينما نأخذ مكاننا حول مائدة. «الثقة في اختيار **الإيتاماي**[1] علامة احترام».

«تتكلّمُ اليابانية بإتقان».

«أقمتُ بنايةً في طوكيو منذ عهد قريب».

«أعرفُ». ناطحةُ السحاب اليابانية التي أقامها هناك بناء لولبيّ أنيق وشهوانيّ، مِثْقَبٌ عملاقٌ يخترقُ السحاب. «كان ذلك أول إقامة لك هناك؟».

أعلمُ أن الأمر ليس كذلك، طبعاً. أراقبهُ وهو يُرتِّبُ بعناية قضيبيه في جانبه.

«لا. قضيتُ هناك عاماً كاملاً عقب موت زوجتي وابني»، يجيبُ، وتجلبُ لي هذه اللمعةُ الأولى من الثقة والحميمية، رعشةَ

---

(1) Itamae: الشيف أو الطباخ الرئيس في مطعم ياباني كبير. (المترجم)

إثارة. «كنتُ أحسُّ بنفسي أفضل هناك، وسط تلك الثقافة: الأهمية التي يولونها للانضباط والتحكم في الذات. في مجتمعنا، يُنسبُ التقشّفُ إلى الحرمان والفقر. أما بالنسبة إلى اليابانيين، فإنه أسمى أشكال الجمال، ما يسمّونه **شيبوي**».

تحملُ إلينا نادلةٌ حساءً في أوعية من البامبو المزيَّنة برسوم، غاية في الخفّة والصغر لدرجة أنها تتسع في كفِّ اليد.

«هذه الأوعية، مثلاً»، يقول، «إنها قديمة وغير متجانسة. إنها **شيبوي**».

أبتلعُ رشفة حساء. شيء ما يضطربُ فوق لساني، إنه إحساس غريب.

«آه، إنها حيّة، في الواقع»، يضيف.

«ما التي هي حية؟».

«يحتوي الحساء على جمبري صغير جداً اسمه **شيرُوُو**، جميعُهُ حديث الولادة. يضيفُهُ الشّيف في آخر لحظة. يُعتبر هذا طبقاً رفيعاً».

يشيرُ إلى المنضدة، التي ينحني خلفها الشيف مرة أخرى محيّياً إيّانا. «اختصاص الشيف أتارا هو **الإيكيزوكوري**، فواكه البحر الحيّة. أرجو أن يلائمكِ هذا».

تحملُ إلينا النادلةُ طبقاً آخر تضعهُ فوق المائدة بيننا. فوق الطبق سمكةٌ حمراء تَبرُزُ حراشفُها النحاسية اللامعة فوق شرائح الفجل الأبيض. قُطِّعَ جانبٌ من السمكة بكيفية دقيقة، على شكل **ساشيمي**، حتى العظم. غير أنها لا تزالُ حيّةً، وينتصبُ ذيلُها كذيل العقرب، قبل أن يتهاوى ويضطرب بوهن؛ ينفتح فَمُها ثم ينغلقُ، وتدور عيناها، مفزوعتين.

«آه، يا إلهي»، أقولُ مرعوبةً.

«ذوقي. أؤكّدُ لك أنها لذيذة».

يمسكُ شريحة لحم شاحب بقضيبيه.

«لا أستطيعُ أن آكلَ هذا، إدوارد».

«لا يهمُّ. سأطلبُ لكِ شيئاً آخر».

ينادي على النادلة بإشارة من يده، فتهرعُ إلينا. غير أن الحساء في معدتي يُهدِّدُ بالصعود إلى السطح. **حديثو الولادة**. تشرعُ هذه العبارة في النّقر داخل رأسي.

«لستِ بخير جين؟»، ينظر إليّ إدوارد بقلق.

«لا . . . لا . .».

الغريبُ في الحزن، انقضاضُهُ عليك في اللحظة التي لا تتوقعينه فيها أبداً. فجأةً، أجدُ نفسي وقد عُدتُ إلى مستشفى الولادة، أحملُ إيزابيل بين ذراعَيّ، رأسُها ملفوفٌ بالقِماط، مثل شالٍ، لمنع حرارة جسد النُّفَساء، حرارتي، من التسرّب، ومحاولةِ تأخير اللحظة التي ستصير فيها أطرافُها الصغيرة باردةً. أنظرُ إلى عينَيها، عينَيها الصغيرتَين المغمضتَين بالجفنَين الناعمَين المنتفخَين، وأتساءلُ عن لونهما. زرقاوان مثل عينَي أم بنّيتان مثل عينَي أبيها؟

أهزُّ رأسي فتمّحي الذكرى، لكن ثقلَ الفشلِ واليأس، السّاحقَ والأصمَّ، قد هدّني مرة أخرى فأنفجر باكية.

«آه، تبّاً!» يصيحُ إدوارد وهو يضربُ جبهته. «**الشيرُوُو**. كيف أمكنني أن أكون بمثل هذه البلادة؟»، يخاطبُ النادلةَ بكلام يابانيٍّ كثير، وهو يشير إليّ بإصبعه، ليطلب لي طعاماً آخر، من دون شكّ. لكن الأوان قد فات، فات من أجل كل شيء. وها أنا أُسرعُ نحو باب الخروج.

الأمس: إيما

- شكراً على حضوركِ إيما، يقول المفتش كلارك. قطعة سكّر واحدة، أليس كذلك؟

مكتبُ المفتِّش فضاءٌ صغيرٌ مقفل، مليء بالأوراق والملفّات. تُظهرهُ صورةٌ قديمةٌ في أول صفٍّ فريق الرغبي، وهو يرفع كأساً كبيرة بشكل مبالغ فيه. تُزيِّنُ صورةُ غارفيلد[1] فنجانَ القهوة السريعة الذي يمدُّهُ إليّ، وأجدُ هذا شديد البهجة بالنسبة إلى مكتب شرطة.

- بلى، صحيح، أقول بعصبية. بِمَ يتعلّقُ الأمر؟

يرشفُ المفتّش كلارك من قهوته ويضع الفنجان فوق المكتب، بجانب طبق بسكويت، يُدنيه مني.

- الرجلان المتورِّطان في الاعتداء عليكِ دافعا كلاهما عن براءتهما ووضعا طلباً بالسراح المؤقت بكفالة، يقولُ. في ما يتعلق بالشريك، غرانت لويس، لا يمكننا فعل شيء ذي بال. لكن بالنسبة إلى الرجل الذي اعتدى عليكِ، ديون نيلسون، الأمر مختلف.

- طيب، أقولُ، غير أنني لا أرى في إخباري بذلك سبباً

(1) Garfield: شخصية هرّ مشهورة في قصص مصورة هزلية من تأليف جيم ديفيس. (المترجم)

لاستدعائي إلى مكتب الشرطة. صحيح أن دفاعهما بكونهما بريئين خبرٌ سيِّئ، لكن كان في إمكانه أن يُطلعني على الأمر بالهاتف.

- باعتبارِكِ ضحيّةً، يستأنف المفتّشُ كلارك، يحقُّ لكِ أن تُقدِّمي التصريح الشخصيَّ للضحية. وأثناء جلسة إطلاق سراحه بكفالة، سيكون في إمكانكِ أن تشرحي الكيفيةَ التي أثَّرت بها هذه الجريمةُ فيكِ، وما تشعرين به إزاء فكرة إطلاق سراح نيلسون سراحاً مؤقتاً في انتظار محاكمته.

أهزُّ رأسي. ما أشعر به؟ لا شيء، في الحقيقة. الشيء الوحيد الذي يهمُّ، هو أن ينتهي في السجن.

وأمام قلّة حماسي، يُضيفُ المفتِّش، بلطفٍ:

- انظري إيما، نيلسون شخصٌ ذكيٌّ وعنيفٌ. شخصيّاً، سأشعر بنفسي أفضل إن بقيَ خلف القضبان.

- لن يُغامر بأن يعيد فعلته قبل محاكمته، أليس كذلك؟

عندئذ أُدركُ ما يقصد إليه المفتّش.

- تعتقد أني يمكن أن أكون في خطر، أقولُ وأنا أحدِّقُ في عينيه. وأنَّ في إمكانه أن يحاول منعي من الإدلاء بشهادتي.

- لا أريدُ بالتأكيد أن أُقلِقَكِ، إيما. لحسن الحظ، حالاتُ تخويف الشهود نادرةٌ جدّاً. لكن في قضية مثل هذه، حيث كلُّ شيء يعتمدُ على شهادة شخص واحد، الوقاية أفضل من العلاج.

- ماذا تنتظر مني؟

- أن تُحرّري تصريحاً من أجل الجلسة. يمكننا أن نُزوِّدكِ ببعض العناصر، لكن كلما كان التصريحُ شخصيّاً، فهو أفضل.

صمتٌ. ثم:

- غير أنني يجب أن أحذِّركِ: ما أن تُتلى شهادتُكِ أمام المحكمة، ستصبح «فعلاً حقيقيّاً». ويمكن للدفاع أن يستعملها أثناء التحقيق المضاد عند المحاكمة.

- من سيتلوها في المحكمة؟

- يمكن أن يكون المدّعي العام أو ضابط شرطة. لكن هذه الشهادات يكون لها وقعٌ أكبر عندما تأتي مباشرة من الضحية. القضاةُ بدورهم آدميون. وأعتقد أنكِ ستتركين لديهم انطباعاً قويّاً.

مدّة لحظة، يلينُ وجهُ المفتّش كلارك ويكادُ يبدو متأثّراً. ثم يتنحنحُ.

- سنضعُ طلباً بإجراءات خاصة. وهذا يعني أن حاجزاً سيفصل بينك وبين نيلسون أثناء الجلسة. لن تكوني مجبرة على رؤيته عند قراءة تصريحكِ، وهو لن يستطيع رؤيتكِ.

- لكنه سيكون هناك، أقولُ. وسيسمع كلَّ شيء.

يهزُّ المفتّش رأسه.

- وماذا سيحدثُ إذا ما أطلقَ القاضي سراحَهُ بكفالة على الرغم من كل شيء؟ ألن أكون قد جعلتُ وضعي أكثر خطورة؟

- سنسهرُ على أن تكوني في أمان، يقول المفتّشُ بلهجة مُطَمْئِنَةٍ. ثم، من حسن حَظِّكِ أنّكِ قد غيّرتِ مسكنكِ. إنه يجهلُ مقرَّ سكناك.

يشملني بنظرته العطوف واليقظة.

- إذاً، إيما، هل توافقين على تحرير تصريح لقراءته أمام المحكمة؟

أفهمُ الآن سببَ وجودي هنا. كان كلارك يعلمُ أنه لو اكتفى بمكالمتي، لكنتُ غالباً قد رفضتُ.

أسمعُ نفسي وأنا أجيب:

- إن كنتَ تعتقد أن هذا يمكن أن يكون نافعاً.

- أنتِ بهذا تتخذين القرار الصائب، يقولُ.

لو صدر هذا الكلام عن شخص آخر لَبَدا متساهلاً، لكن ارتياحه كان شديد الوضوح لدرجة أنني لم أنتبه إليه.

- الجلسةُ موعدها يوم الثلاثاء، يحدِّدُ.

- هذا الثلاثاء؟

- نيلسون لديه محامٍ عنيد جدّاً، للأسف. وعلى حساب دافعي الضرائب، بطبيعة الحال.

ينهضُ المفتّشُ كلارك.

- سأطلبُ من أحدهم أن يجد لكِ قاعة استجواب خالية. يمكنكِ أن تشرعي في تحرير تصريحكِ.

الآن: جين

عبرَت ذهني فكرةٌ رهيبةٌ: إدوارد جعلني آكُلُ من الجمبري الحيّ ليعاقبني على محاولتي دفعه إلى الحديث عن زوجته. أعرفُ أنها فكرة سخيفة، بَيْدَ أنه يبدو شديد التحفّظ في المستوى العاطفي، إلى درجة يُصبح من اليسير جدّاً بالنسبة إليّ أن أعكس شكوكي ومخاوفي في ذلك الفراغ.

بعد حادث المطعم الياباني ببضعة أيام، أتلقّى طردَين. أحدهما كبير، ونحيف، مختوم بحرف W، الذي يُعرفُ به متجر وانديرير الموجود في بوند ستريت. وآخر صغيرٌ، من حجم كتاب الجيب. أضعُ الأكبر فوق الطاولة الحجرية. على الرغم من كبر حجمه، لا يزنُ إلّا قليلاً.

يحتوي على فستان ملفوف في ورق من حرير. أستعرضه فوق ذراعي، الثوب أسود، منساب، يطفو من كل جهة. ومنذ الآن أُخمِّنُ ملامستَهُ الشهوانية والمداعِبة فوق بَشَرَتي.

أحملُهُ معي إلى الغرفة لأجرِّبَهُ. يكفي أن أرفع ذراعَيّ لينساب الثوبُ على طول جسدي. وعندما أستدير حول نفسي، يتبعُ

الفستانُ، بما يُشبهُ المَكْرَ، جميعَ حركاتي. وعندما أفحصُ النسيجَ، أنتبهُ إلى أن الفستان قد خيطَ بشكل مائل.

أتفاجأُ وأفكّرُ: لا بدَّ من عِقد... وفي الحال أُدركُ ما يحتويه الطردُ الآخر.

ترافقُهُ بطاقةٌ، مكتوبة بخطٍّ جميل، يكاد يكون عمل خطّاط. **جين، سامحيني لأني كنتُ معتوهاً من دون إحساس. إدوارد.** ينفتحُ حُقٌّ شبيهٌ بمحارةٍ، ليظهر مستقرّاً بداخله المخمليّ، عِقدٌ من اللؤلؤ ذو ثلاثة صفوف. ليست جدّ غليظة، لكن لونها الحليبي وشكلها غير مكتمل الاستدارة غير معتادَين. ومن أعماق الصَّدَفة ينبعثُ وميضٌ شاحب. مطابقٌ كلَّ المطابقة لجدران وَنْ فولغيت ستريت.

للأسف، يبدو لي العِقد صغيراً، شديد الصغر، أقول لنفسي وأنا أضعُهُ. يضيق حول عنقي وللحظةٍ أشعرُ بالاختناق. لكن عندما أتطلَّعُ إلى نفسي في المرآة، يُدهشني جمالُ تناقُضه مع انسيابية الفستان.

أرفع شعري بيدٍ لأتأمّل المنظر. أجل، هكذا، مُرسَلاً على الجانب. آخذُ صورةَ «سيلفي» لأَبعَثَ بها إلى مِيَا.

يجب أن يرى هذا إدوارد، هو أيضاً. أبعثُ بالصورة إليه كذلك، مرفقةً برسالة. **ليس هناك ما أسامحك عليه. لكن شكراً.**

يجيبُ في الحين. **أحسن. لأني سأكون عندكِ بعد دقيقتَين.**

أنزلُ وأستقرُّ أمام النافذة الزجاجية، في مواجهة الباب، متخذةً هيئةً تُبرزُ مفاتني. في انتظار عشيقي.

وعندما يصلُ يقودني إلى الطاولة الحجرية، بفستاني وعِقدي من اللؤلؤ: ضاغطاً، مباشراً، من دون مقدمات ولا كلمات زائدة.

لم يسبق لي أن عرفتُ هذا النوعَ من العلاقة. كنتُ أُتَّهَمُ بأني منغلقة على ذاتي، متحفِّظة، بل حتى «مُمِلّة» ذات مرة. ومع ذلك، ها أنا ذي.

ثم، يبدو إدوارد كأنه خارجٌ من حال انجذاب. استعاد الرجلُ اللطيفُ والخدومُ زمام الأمر. يطبخُ لنا طبقَ عجائن تتشكَّلُ الصلصةُ المرافقة حصرياً من زيت الزيتون المأخوذ من قنينة من دون ملصق، ومن قليل من جبنة المعز، ومن كمية كبيرة من الكمون المطحون. يسمّى هذا الزيتُ **لاكريما**[1]، يشرحُ لي. الدمعاتُ الأولى، النفيسة، التي تطرأ على السطح عندما يُغسَلُ الزيتون قبل عصره. وكل مرة، عند جمع المحاصيل، يجلبُ قنينتَين من منطقة توسكانا[2]. الكمون مصدره من **تالاسيري**، على ساحل مالابار. «لكنني أستعمل أحياناً كمونَ **كمبوت**، من كامبوديا. إنه ألطفُ، لكن رائحته أطيب».

جنس وطبخ بسيط، ولذيذ. أشعرُ أني أرقى إلى قمة الحذاقة.

وعندما ننتهي من افتراس العجائن، يملأ غسالة الأواني ويُنظِّفُ المقالي. وعندئذ فحسب، يُخرِجُ وثيقة من محفظته. «جلبتُ لكِ نتائجكِ. اعتقدتُ أنكِ ستهتمين بمعرفة كيف كان بلاؤكِ».

«نجحتُ في الامتحان؟».

لا يبتسمُ. «مجموعكِ هو ثمانون».

«هذه نقطة جيدة؟».

«لا وجود لمرجعية حقيقية. لكن يمكن أن نأمل في أن نراكِ تنزلين إلى خمسين، بل أدنى من ذلك، مع مرور الزمن».

---

(1) أصل الكلمة من اللاتينية: Lacrima، وتعني الدمع. (المترجم)

(2) Toscane: منطقة إيطالية. (المترجم)

لا أستطيعُ أن أتفادى الإحساسَ بانتقاد في هذا الجواب.

«ما الذي لا أضطلعُ به بشكل سليم؟».

يتصفّحُ الوثيقةَ، المكوَّنة من عدّة صفوف أرقامٍ، جدول من نوع ما. «يمكنكِ أن تقومي بتمارين أكثر. حصتانِ في الأسبوع قد تكونا كافيتَين. لقد فقدتِ بعضِ الوزن منذ أن بدأتِ العيشَ هنا، لكن بالتأكيد يمكنك أن تنقصي أكثر. مستوى القلق لديك يظلُّ في منطقة مقبولة، عموماً، وإن كان إيقاعُ كلامكِ في الهاتف يميلُ إلى الإسراع، غير أن هذا أمراً معهوداً. لا تشربين الكحولَ تقريباً، وهو أمر جيد. الحرارة، والتنفس، والوظائف الكلوية، كلها ممتازة. نومُكِ المتناقض مناسبٌ وتنامين عدداً كافياً من الساعات. لكن أهم شيء أن مقاربتك للحياة أكثر إيجابية. تملكين مستوى عالياً من الاستقامة الشخصية، وأنتِ منضبطة، وتنجحين في منع الكلس من الترسّب فوق جدران الحمّام».

يبتسمُ ليشير إلى أن هذه الملاحظة الأخيرة، على الأقل، مجرّد مزاح، غير أن نَفَسي يتقطّعُ من السخط.

«أنتَ تعلمُ كلَّ شيء عنّي!».

«بطبيعة الحال. لو كنتِ قرأتِ بنودَ العقد، ما كنتِ لتندهشي».

يتبخّرُ غضبي عندما أتذكّرُ أن هذا ما التزمتُ به بالضبط، وما يسمح لي بالسكن في وَنْ فولغيت ستريت.

«هذا هو المستقبَل، جين»، يُضيف. «أن تتكفّلَ بيئةُ البيت بالصحّة والرفاه. وفي حال وقوع مشكل خطير، يمكن لـ Housekeeper أن يُحدِّدَهُ حتى قبل أن تُفكري في زيارة الطبيب. هذه الإحصائيات تسمحُ لكِ بالتحكم في حياتكِ».

«وإذا كانت النساء لا يرغبن في أن يُتَجَسَّس عليهنّ؟».

«لا أحد سيتجسَّسُ عليهنّ. نملكُ كلَّ هذه المعطيات التي تخصُّكِ لأننا لا نزالُ في النسخة التجريبية. في حالة المستعملين المستقبليّين، لن نعرف سوى التوجُّهات العامة وليس المعلومات المرتبطة بكل فرد». ينهضُ. «فكِّري في هذا»، يقول بلطف. «حاولي أن تعتادي على ذلك. وإن لم تتمكّني... ستكون معلومة مفيدة أيضاً؛ سنرى لو سيكون في إمكاننا أن نُغيِّرَ النظامَ لجعله أكثر قبولاً. لكن كل ما علمتُهُ عنكِ يدفعني إلى الاعتقاد بأنكِ ستعتادين على الأمر سريعاً».

الأمس: إيما

أنظرُ إلى الملاحظات التي أخذتُها من أجل تحرير تصريح الضحية، وأنا أتساءلُ عن الكيفية التي سأبدأُ بها، عندما يرنُّ هاتفي. ألقي نظرة على الشاشة: **إدوارد**.

- نهاركِ سعيد إيما. وصلتكِ رسالتي؟ يبدو مرِحاً، يكاد يكون مبتهجاً.

- أيُّ رسالة؟

- تلك التي تركتُها لكِ في مكتبكِ.

- أنا لستُ في المكتب. أنا في مقرِّ الشرطة.

- كلُّ شيء على ما يرام؟

- لا، ليس تماماً. أقول.

يعود نظري يقع على ملاحظاتي. اقترحَ عليّ المفتّش كلارك أن أُجمِّعَ النقاط الرئيسة في عناوين مختلفة. **ما الذي فَعَلَهُ. ما الذي شعرتُ به في تلك اللحظة. الآثار على علاقتي العاطفية. ما أشعرُ به الآن.** أعيدُ قراءة الكلمات التي كتبتُها: **متقزّزة. مرعوبة. نجسة.** ليست سوى كلمات. لم أتصوّر أبداً أننا سنصل إلى هذا الحدّ.

- بل لستُ بخير نهائياً، أقولُ.

- أين أنتِ؟

- في ويست هامبستيد.

- سأصل بعد عشر دقائق.

نهاية المكالمة. أشعُرُ بتحسُّن في الحال، تحسّن كبير، لأن ما أحتاجُ إليه في هذه اللحظة، أكثر من أيّ شيء آخر، إلى أن يأتيَ شخصٌ قويٌّ وواثقٌ، مثل إدوارد، ليلتقطَ قطعَ حياتي ويجمعَها ويعيد تنظيمها جميعَها.

- أوه، إيما. إيما. يقولُ.

نحنُ في مقهى قربَ ويست إند لين. أبكي. يحدجنا زبائن بنظراتٍ حذرة. من هي هذه الفتاة؟ ما الذي فعلهُ بها هذا الرجلُ لتبكي هكذا؟ غير أن إدوارد يتجاهلهم. وضع يدهُ فوق يدي، بحنان.

من البشاعة أن أقول هذا، حول أمر رهيب بهذا الشكل، بيدَ أني لديَّ انطباع أني متميِّزة. إن عناية إدوارد الحنون بعيدة كلّ البُعد عن الغضب القَلِقِ لدى سايمن.

يأخذُ مسوّدةَ تصريحي.

- أيمكنني؟ يسألُ.

أهزُّ رأسي فيشرعُ في القراءة، وهو يعقد حاجبَيه بين الفينة والأخرى.

- ماذا كان محتوى رسالتك؟ أسألُ.

- أوه. هدية صغيرة، لا غير. هديّتان، في الواقع.

يرفعُ الكيسَ الموضوعَ عند قدميه. مختومٌ بحرف W هائل.

- هذا من أجلي؟ أقولُ، مندهشة.

- كنتُ أريدُ أن أدعوكِ لمرافقتي إلى أمسية مُمِلَّة، وقلتُ لنفسي إن أقلَّ ما يمكن أن أفعلهُ، أن أهديكِ بدلةً ملائمة، لكن أتصوّرُ أنكِ الآن منشغلة بأشياء أخرى.

أُدخلُ يدي في الكيس وأُخرِجُ حُقّاً على شكل محارة.

- يمكنكِ فتحُهُ إن شئتِ، يقولُ.

يحتوي الحُقُّ على عِقدٍ. وليس أيّ عِقد. حلمتُ دائماً أن أرتدي عِقداً من اللؤلؤ مثل أودري هيبورن في فيلم Breakfast at Tiffany's، وها هو ذا. ليس مطابقاً كل المطابقة -ليس به خمسة صفوف، بل ثلاثة، وليس له مشدٌّ في الوسط-، غير أني منذ الآن أتخيّلُ التأثير الذي سيُحدِثُهُ حول عنقي، مثل ياقة، عالية وضيّقة.

- إنه رائع، أقولُ.

أهمُّ بإمساكِ الطّردِ الثاني، أكبر من الأول، لكن إدوارد يوقفني. ربما ليس هنا.

- ما هي هذه الأمسية التي كنتَ تريد أن تأخذني إليها؟

- حفل توزيع جوائز الهندسة المعمارية. أمرٌ ثقيلٌ جدّاً.

- وأنتَ هو الفائز؟

- أجل، أعتقدُ ذلك.

أبتسمُ له. سعيدة فجأة.

- سأعود إلى البيت لأغيّر ملابسي، أقولُ.

- أرافقُكِ. ينهضُ ويهمسُ في أذني: لأنني أعلمُ أني ما أن أراكِ في هذا الفستان، حتى أرغب بكِ.

الآن: جين

عندما أستيقظُ، إدوارد قد انصرف. أن تكون على علاقة مع رجل متزوِّج، يجب أن يكون مماثلاً لهذا، أقول لنفسي. تريحني هذه الفكرة. في فرنسا، حيث الناس ينظرون إلى مثل هذه الأمور بتسامح أكبر، كانت ستبدو علاقتُنا عادية جدّاً.

مِيَا مقتنعةٌ، بطبيعة الحال، أني أطيرُ نحو كارثة جديدة، وأن إدوارد لن يتغيّر أبداً، وأن شخصاً اعتاد، مدةً طويلة، على العيش بشكلٍ مستقلّ، لن يتمكّن أبداً من التصرّف بطريقة مغايرة. وعندما أحتجُّ، تُطقطقُ لسانها مستاءة. «جين، لديكِ استيهامُ مراهِقةٍ تعتقدُ أنها ستُذيبُ قلباً من جليد. بينما في الواقع، هو من سيُحطِّمُ قلبكِ».

سبق أن تحطّم قلبي بسبب إيزابيل، أقولُ لنفسي، وتسمح لي تدخّلات إدوارد غير المنتظمة في حياتي، أن أُخفِيَ عن مِيَا كونَ العلاقة بيننا قد بدأت تأخذُ منحى جِدِّياً.

ومن جهة أخرى، يبدو أن إدوارد على صواب: يوجد شيء من الكمال في العلاقة بين شخصين يرتبطان من دون انتظارات ولا متطلّبات. لستُ مضطرة أن أُنصتَ إليه يحكي لي عن كيف قضى يومه بكل التفاصيل، لا نتشاجر لمعرفة من سيُخرجُ القمامة. لا

وجود لخطط مشتركة نتفاوضُ حولها، ولا لرتابة بيتية يومية يجب احترامُها. لا نقضي وقتاً كثيراً معاً يُشعرنا بالملل.

وأنا أفكر في ذلك، أنزل السلَّم، وأكتشفُ كومةَ بريد صغيرةً مبلَّلةً أمام الباب. سألتُ إدوارد عن سبب عدم وجود علبة بريد؛ يبدو لي هذا إغفالاً غريباً في بيت كهذا متميّز التخطيط والتصميم، فأجابني بأن شريكه ديفيد تيبل، في فترة بناء وَنْ فولغيت ستريت، كان يتنبأ بأن الرسائل الإلكترونية ستُعوِّضُ الرسائل بشكل كليٍّ خلال عشر سنوات.

أستعرضُ البريد: أغلبُهُ منشورات سياسية تتعلق بالانتخابات المحلية. لا نيّة لي في التسجّل في القوائم لأذهب للتصويت. تبدو لي النقاشاتُ حول المكتبة أو جمع النفايات شديدة البُعد عن حياتي الجديدة في هذا البيت. رسالتان موجَّهتان إلى الآنسة إيما ماتيوس. إشهاران في الغالب، لكنني أضعهما جانباً لأعيد إرسالهما إلى كاميلا.

الرسالة الأخيرة موجّهة إليّ. أحسبها في البداية إشهاراً آخر، ثم ألاحظُ شعارَ المستشفى فتتسارعُ نبضات قلبي.

العزيزة الآنسة كافنديش،

نتائج التشريح: إيزابيل مارغريت كافنديش (متوفاة).

قبلتُ إجراء تشريح لأن ذلك بدا لي أفضل طريقة للحصول على إجابات. كان الدكتور غيفورد قد أخبرني، أثناء موعد المتابعة، أن الفحوص لم تعطِ شيئاً، لكنني مع ذلك سأحصل على تقرير. حصل هذا منذ شهر. لا بدَّ أن الرسالة تاهت في دواليب البريد.

أجلسُ، رأسي به دُوار، وأقرأ التقرير مرّتين، محاولة فهم الرطانة الطبية. يبدأ بسرد ملخّص لحملي. يشيرون إلى حادث وقع أسبوعاً قبل أن يكتشفوا وجود مشكل، عندما كنتُ قد ذهبتُ إلى مستشفى الولادة من أجل القيام بفحص لأنني كنتُ أشعر بآلام في ظهري. أنجزوا بعض الفحوصات، وأنصتوا إلى قلب الجنين، ثم أعادوني إلى البيت لآخذَ حمّاماً ساخناً. بعد تلك الزيارة، أحسستُ بإيزابيل تتحركُ في بطني فشعرتُ بالاطمئنان. يحرصُ التقريرُ على أن يؤكّد أن **جميع الإجراءات المناسبة قد التُزِمَ بها، بما في ذلك تقويمٌ لارتفاع الارتفاق العاني، وفق مقتضيات التعليمات الجاري بها العمل**. يتلو ذلك وصفٌ للزيارة الموالية، التي اكتشفوا أثناءها أن قلب إيزابيل لم يعد ينبض. ثم نتائج التشريح في حدّ ذاته، ركامٌ من الأرقام التي لا تحمل أيَّ معنى بالنسبة إليّ: ترقيم صفائح دموية وتحليلات دموية أخرى. مرفقة بهذا التعليق:

الكبد: طبيعي

عندما أتصوّرُ أن أخصائيّاً في علم الأمراض استخرج بأناة تلك الكبدَ الصغيرةَ من جسد إيزابيل، تنعقد حنجرتي. لكن ليس هذا كل شيء.

الكليتان: طبيعيتان
الرئتان: طبيعيتان
القلب: طبيعي

أنتقلُ مباشرة إلى الملخّص.

إذا كان في الإمكان القيام بتشخيص دقيق في هذا المستوى، يمكن أن تشير علاماتُ تجلّط المشيمة إلى وجود ورم خلف المشيمة جزئيٍّ أنتجَ وفاة بسبب الاختناق.

ورم خلف المشيمة. كأنها تعويذة يُلقيها هاري بوتر، وليس عطباً قادراً على قتل جنيني. يرقص اسم الدكتور غيفورد في أسفل الصفحة، وقد شوّهتهُ الدموعُ التي غمرت عيوني، وأجهش بالبكاء، تهزّني تنهّدات كبيرة تخنقني وتُسيلُ أنفي، لا أتمكن من التحكّم فيها. وفي جميع الأحوال، لا أستطيع استكمال القراءة، لا أفهمُ نصفَ الكلمات. تيسا، المرأة التي أشاركها مكتباً في **الأمل الجديد**، مارستْ مهنة المولِّدة. أقرّر أن أحمل إليها التقريرَ لتشرح لي.

تقرأ تيسا رسالة المستشفى، وهي تلقي عليّ نظرة قلقة بين الفينة والأخرى. تعلم، بطبيعة الحال أني وضعتُ وليداً ميّتاً. الكثير من المتطوعات في **الأمل الجديد** موجودات هنا للسبب نفسه.

«تعلمين ما يعني هذا؟» تسألني أخيراً. أحرِّكُ رأسي بالنفي.

«يتعلق الأمرُ بتمزّق المشيمة. في الواقع، يقولون إن الجنين كان قد توقف عن تلقّي التغذية والأوكسجين قبل أن تصلي إلى الوضع».

«كان في إمكانهم أن يشرحوا لي ذلك بطريقة واضحة».

«أجل. لكن قد لا يكون الأمر بريئاً».

يجعلني شيء ما في لهجة كلامها أرفع رأسي.

«عندما ذهبتِ للفحص بسبب آلامكِ في الظهر، ما الذي وقع بالتحديد؟».

أفكِّرُ. «كانوا يعتقدون أنني أقلق من دون سبب، هذا ما شعرتُ به. الحمل الأول وكل ذلك. لكنهم كانوا جدَّ لطفاء. لكن في المقابل، لا أتذكر أني أجريتُ كلَّ هذه الفحوص التي يتحدثون عنها...».

«تقويم ارتفاع الارتفاق العاني، هذه لغة طبية لقول قياس حجم البطن بوساطة شريط قياس. وعلى الرغم من أن ذلك يدخل في إطار ما توصي به توصياتُ وزارة الصحّة عند كل زيارة سابقة على الولادة، فإنه غير كافٍ ليكشف مشيمةً فاشلة. هل أجروا لكِ مراقبة القلب؟».

«الفحص من أجل مراقبة دقات القلب؟ أجل، قامت الممرضة بذلك».

«على من عرضَتِ التخطيط؟».

أحاولُ أن أتذكر. «أعتقد أنها كلّمت الدكتور غيفورد في الهاتف لتُطلعه على النتائج. أو على الأقل، قالت له إنها كانت عادية».

«أُجرِيَتْ لكِ أشعة أخرى؟ فحص بالموجات فوق الصوتية؟ أو أشعة دوبلر؟».

اتّخذ صوتُ تيسا نغمةً مُقلقة.

أحركُ رأسي نافية. «لا، لا شيء. قالوا لي أن أعود إلى بيتي، وأن آخذ حمّاماً ساخناً وأن أتوقف عن القلق. وعندما أحسستُ أن

إيزابيل تركلُ برجليها في بطني، قلتُ لنفسي أنهم كانوا على صواب».

«من الذين كانوا على صواب؟».

«طبعاً. . . الممرضة».

«هل تحدّثَت إلى شخص آخر؟ إلى مُوَلِّدة رئيسة؟ إلى طبيب داخلي؟».

«لم تفعل وفق ما أتذكر. تيسا، ما الذي يحدث؟».

«لديّ انطباعٌ أن هذه الرسالة كُتِبتْ بعناية لتمنحك الاقتناع بعدم وقوع أي خطأ طبيّ كان يمكن أن يقود إلى وفاة إيزابيل»، تقول بحدّة.

أظلُّ فاغرة الفم.

«خطأ؟ كيف ذلك؟».

«عندما تنطلقين من مبدأ أن موت جنين في صحّة جيدة هو موت كان يمكن تفاديه، تكتشفين في الغالب سبباً أو سببَين نتجت عنهما الوفاة. وغالباً ما تكون ولادة أسيء تدبيرها، وهي ليست الحالة هنا. لكن السبب الثاني الأكثر شيوعاً في موت الأجنة هو مولِّدة مرهَقة بالعمل، أو طبيب داخلي لا يُحسنُ قراءة رسم إيقاع قلب الجنين. في حالتكِ، كان يتوجّبُ على طبيب الحراسة أن يقوم بتحليل النتائج بنفسه، وبما أنكِ كنتِ تشتكين من آلام في الظهر، وهو ما قد يشير إلى مشكل في مستوى المشيمة، كان عليه أن يطلب إجراء فحص دوبلر».

سبق أن سمعتُ عن فحص دوبلر. فقد قامت **الأمل الجديد** بحملة تُطالبُ بأن يُجرى هذا الفحصُ لكل امرأة حامل. لا يتجاوز ثمنُهُ خمسة عشر جنيهاً للجنين الواحد، لكن بما أن المستشفيات لا

تُجريه إلّا بطلب مباشر من الطبيب الرئيس، فإن ذلك يُعتبر أحد أسباب كون نسبة الولائد الذين يموتون قبل الولادة في بريطانيا العظمى من بين أعلى النسب في أوروبا.

«أخشى»، تقول تيسا، «أن تكون الركلات التي أحسستِ بها عند رجوعكِ إلى البيت، إنما كانت تعبيراً عن محنة، ولم تكن علامة على أن كل شيء يسير على ما يرام. سبق أن وقعت مشاكل مع هذا المستشفى. يعانون دوماً من قلة الموظفين، خصوصاً في مستوى الأطباء الرئيسين. كثيراً ما يردُ ذكر اسم الدكتور غيفورد. بإيجاز، لا بدَّ أنه يضطلع في العمل بحِمل أكبر من المستطاع».

تجد هذه الكلماتُ صعوبة في النفاذ إلى عقلي. **لكنه كان لطيفاً جدّاً معي**، أقولُ لنفسي.

«طبعاً»، تضيفُ تيسا، «يمكنك أن تدّعي أن الخطأ لم يكن منه. لكننا لن نستطيع إجبار المستشفى على زيادة عدد موظفيهم إلّا إذا هاجمنا الطبيب الرئيس وأثبتنا أنه ارتكب خطأ في حقّ مريضة».

لا أزال أسمعُ الدكتور غيفورد يشرح لي، مباشرة بعد أن أخبرني بوفاة إيزابيل، كيف أن سبب الوفاة يبقى في غالب الحالات مجهولاً. أكان منذ تلك اللحظة يحاول أن يُداري إهمالَ فريقه؟ «ما الذي يتوجب عليّ فعلُهُ؟».

تعيدُ تيسا إليّ الرسالةَ. «اكتبي إليهم طالبة نُسَخاً من جميع الفحوصات؛ سنعرضُها على أخصّائيٍّ. فإذا تبيّنَ أن المستشفى يخفي أخطاء جسيمةً، سيتوجّبُ التفكير في اللجوء إلى العدالة».

الأمس: إيما

- هذه السنة، جائزة **مجلة الهندسة**، تُمنحُ لـ. .

يصمتُ المقدِّمُ لحظاتٍ ليُذكيَ أثرَ التشويق، قبل أن يفضَّ ختمَ الغلاف.

- . . . شركة مونكفورد!

ترتفع تصفيقاتٌ وصيحاتٌ من مائدتنا، المخصّصة لأعضاء الشركة. وتتوالى صور الأبنية فوق الشاشات. ينهض إدوارد ويسيرُ نحو المنصة، وهو يحيي بأدب بعض المشجّعين في طريقه.

أفكِّرُ: **لا وجود لوجه شبه مع الحفلات التي تنظّمها مجلةُ سايمن.**

يتوجه إدوارد، حاملاً كأسه بين يديه، نحو الميكروفون.

- ربما سأضطرُّ إلى وضعه داخل خزانة، يقولُ وهو ينظر بارتياب إلى ذلك الشكل المجرّد من الزجاج الشفّاف. يضحكُ الحضور. أثبتَ المينيماليزم أنه قادرٌ على السخرية من ذاته! غير أنه فجأة، يعود إلى جدّيته.

- قال أحدُهُم إن الاختلاف بين مهندس معماري جيّد ومهندس

معماريٌّ كبير، هو أن المهندس المعماريَّ الجيّد يستسلمُ لجميع الإغراءات، على عكس المهندس المعماري الكبير.

يتوقف. يعمُّ الصمتُ القاعةَ الواسعة. يبدو جميع المهندسين المعماريين حريصين حقّاً على سماع ما سيقوله.

- نحن، المهندسين المعماريين، يستأنف كلامه، مهووسون بالنزعة الجمالية، نريد أن نخلق أبنية تُبهِجُ الناظر. لكننا إن انطلقنا من مبدأ أن الوظيفة الحقيقية للهندسة المعمارية هي مساعدة الناس على الصمود أمام الإغراء، بينما قد يكون. . .

يتردّدُ، كأنه يُفكِّرُ بصوت مسموع.

- . . . ربما قد تكون الهندسة المعمارية، في النهاية، لا تتمثل في إنشاء بنايات. نقبلُ حقيقةَ أن يكون المعمارُ شكلاً من أشكال الهندسة. والأمر نفسه بالنسبة إلى البنيات التحتية للطرق والمطارات، بنسبة معيّنة. لكن ماذا عن التكنولوجيا إذاً؟ هندسة تلك المدينة غير المرئية حيث نتجول جميعاً، وحيث نلعبُ، وحيث نتخفّى: الإنترنت؟ وإطار وجودنا، والروابط التي تجمعنا، والقوانين والقواعد التي تحكمنا، وطموحاتنا ورغباتنا الأكثر بداهة؟ أليست هي أيضاً أبنية، بمعنى من المعاني؟

يتركُ فسحةً لصمتٍ جديد قبل أن يستأنف:

- اليوم، تناقشتُ مع شخص. امرأة شابة تعرّضت لاعتداء في بيتها. اغتُصِبَ فضاؤها. أمتعتُها سُرقَت. تغيّر موقفُها من بيئتها، بل يمكن أن أقول إنه شُوِّهَ، بفعل ذلك الحادث المأساوي.

لا ينظر إليّ، غير أني أشعر كأن جميع من في القاعة يعرف من المقصودة بكلامه.

- أليست وظيفة الهندسة المعمارية الأساس أن تجعل وقوع مثل

هذه المأساة مستحيلاً؟ يسأل. أن تعاقب المذنب، وتعالج الضحية، وأن تُغيِّر العالم؟ لماذا سيتوجّبُ علينا، باعتبارنا مهندسين معماريين، أن ننحصر داخل جدران بناياتنا؟

صمت. يبدو الحضورُ الآن مرتبكاً.

- شركة مونكفورد، يضيفُ، اشتهرت بكونها تعمل في مستويات صغيرة، من أجل زبائن أغنياء. غير أنني أنتبه الآن إلى أن المستقبل لا يكمن في تشييد مساكن رائعة، بعيدة عن قبح مجتمعنا، ولكن في بناء مجتمع مختلف.

يرفع كأسه.

- شكراً على هذا التشريف الذي منحتموني إياه.

التصفيق مؤدَّبٌ، غير أني ألاحظُ، وأنا أتلفّتُ من حولي، أن الناس يتبادلون الابتسامات أو يرفعون عيونهم نحو السماء.

وأصفِّقُ أنا بدوري، أكثر من الآخرين جميعاً، لأن هذا الرجل، هناك فوق المنصة، عشيقي، لا يكترثُ لمن يسخرون منه.

في هذا المساء، أسألُهُ عن موضوع زوجته.

أحتفظ بفستاني بينما نتحدث، لكن بعد ذلك أُعلِّقُهُ بعناية داخل الخزانة خلف الحاجز، قبل أن أعود لأندسَّ من جديد بجانبه، عارية، إلّا من عِقد اللؤلؤ.

- أخبرني المحامي أن أسرتك مدفونة هنا، أقول بخجل.

- كيف هو؟... آه، يقول. المسح.

يظلُّ صامتاً مدة طويلة لدرجة أنني أبدأ أقول لنفسي إنني لن أحصل على جواب آخر.

- كان الأمر فكرتها هي، يقول أخيراً. كانت قد قرأت كتاباً

حول الهيتوباشيرا وكانت تؤكّد أن تلك رغبتها، إن ماتت قبلي. أن تُدفن تحت عتبة إحدى بناياتنا. بطبيعة الحال، لم تكن تتخيّل...

- هيتوباشيرا؟

- «الدعامة البشرية»، باليابانية. يُقال، لتحمل الحظَّ للبيت.

- لا يزعجكَ أن أتحدث عنها؟

- انظري إليَّ، يقولُ بجدّيّة طارئة.

أُديرُ رأسي لأغوص بعينَيّ في عينَيه.

- إليزابيث كانت رائعة، بطريقتها، يقولُ بنغمة رقيقة. لكنها تنتمي إلى الماضي الآن. وهذا أيضاً رائعٌ: ما يحدثُ بيني وبينكِ. أنتِ رائعة، إيما. لسنا في حاجة إلى الحديث عنها.

في صباح اليوم الموالي، بعد انصراف إدوارد، أبحثُ عن اسم زوجته في الإنترنت. لكن Housekeeper لا يجد شيئاً.

- ما هي تلك الكلمة اليابانية التي استعملها؟ هيتوباشيرا. أُطلِقُ عملية البحث.

أعقد حاجبَيّ. وفق الإنترنت، هذه الكلمة لا تعني دفنَ الأموات تحت المنازل. يتعلّقُ الأمرُ بدفن الأحياء.

العادة المتمثلة في التضحية بكائن إنساني أثناء بناء بيت جديد أو حصنٍ، وهي عادة قديمة جدّاً. كانت الأحجار الأولى والعوارضُ تُغمسُ في الدم البشري، وكانت هذه الممارسة البغيضة لا تزال معمولاً بها في أوروبا منذ قرون قليلة. وفق تقاليد الماوري المشهورة، فإن القائد ترايا دفن ابنه، حيّاً، تحت دعامة بيته الجديد.

أمرُّ سريعاً إلى المقال اللاحق.

يجب أن يكون القربانُ يتناسب مع أهمية بيت المستقبل. يكفي حيوانٌ من أجل خيمة بسيطة أو مسكن عادي، أو عبدٌ من أجل بيت رجل غنيٍّ، لكن بناء مقدّساً، مثل معبد أو جسرٍ، يتطلّبُ قرباناً ذا قيمة متميّزة، وقد يكون مصحوباً بعذابات كبيرة.

أتساءلُ، أثناء لحظة جنون خالص، إن لم يكن إدوارد يتحدث عن هذا. أيكونُ قد ضحّى بزوجته وابنه؟ ثم أقعُ على مقال آخر أكثر بساطة.

لا تزال اليوم توجد أصداء تلك الممارسات في تقاليد كثيرة عبر العالم: تعميد تسمية سفينة عن طريق تكسير قنينة شمبانيا، دفن قطعة نقود فضّية تحت عضّادة باب أو وضع غصن صنوبر فوق قمة ناطحة سحاب. وفي أرجاء أخرى، يدفنون قلب حيوان، بينما اختار هنري بورسيل أن يُدفَنَ «تحت أرغن» دير ويست-مينستر. وفي العديد من المجتمعات، خصوصاً في الشرق الأقصى، تُشيَّدُ بنايةٌ على شرف الموتى، ممارسة قد لا تكون شديدة البُعد عن تلك التي تتمثل في تسمية كارنيجي هول أو روكفيلير بلازا بأسماء محسنين كبار.

أوف. أعود لأنام وأدفنُ أنفي في الوسائد لأسترجع رائحته؛ لا تزال الأغطية تحتفظ بشكل جسمه. تعود كلماتُهُ إلى ذهني: هذا رائع. أغوصُ في النوم من جديد، وعلى شفتَيّ ابتسامة.

الآن: جين

«إن ما شعرتُم به وأنتم تعبرون هذا الباب وتلجون ممرّاً ضيّقاً يكاد يكون خانقاً، قبل الوصول إلى فضاءات البيت المتناغمة، هو جهاز هندسي كلاسيكي من الضغط والبسط. هذا مثال جيّد لتوضيح كيف أن بنايات إدوارد مونكفورد، على الرغم من مظهرها الثوري، تستند إلى تقنيات تقليدية. لكن هذا يشير خصوصاً إلى أن الهدف الرئيس لمونكفورد هو التأثير في **حواس** الأشخاص الذين يعيشون في بناياته».

يتجه الدليلُ نحو المطبخ فيتبعُهُ القطيعُ الصغيرُ المتكوِّنُ من نصف دزينة زوّار بكل وداعة. «هكذا، أعلنَ بعض الأشخاص أن وجودهم في مطبخ مثل هذا، يمجِّدُ في منظره التقشّفَ والتحفظ، يجعلهم يتفاجأون بكونهم يأكلون أقل من السابق».

قبل أن أرحل، أخبرتني كاميلا أني سأكون مجبرة على فتح وَنْ فولغيت ستريت أمام زوار من حين إلى آخر. في ذلك الوقت، لم يَبْدُ لي الأمرُ عقبةً كبيرة، لكن مع اقتراب اليوم الأول من أيام الأبواب المفتوحة، بدأت تتسرّبُ إليّ، أكثر فأكثر، الخشيةُ من ذلك الاختبار. لن يكون البيت وحده المُعَرَّضَ لفضول الأعين؛ كان يبدو

لي أنني أنا أيضاً سأكون كذلك؛ قضيتُ عدة أيام في ترتيب كل شيء وتنظيفه، وأنا أجتهد في ألّا أخالف أدنى قاعدة.

«لقد حاول المهندسون المعماريون وزبائنُهم لمدة طويلة أن يشيّدوا بنايات تُحقِّقُ هدفاً»، يستأنف الدليلُ. «تبدو البنوك مهيبةً وصلبةً لأن الذين أمروا ببنائها كانوا يرغبون في خلق شعور بالثقة لدى مُدَّخِري المستقبل. والمحاكمُ كانت تسعى إلى فرض احترام العدالة. والقصور كانت تُستعمَلُ للتأثير في الزوّار وتلقينهم درساً في التواضع. وفي أيامنا، يستعملُ بعضُ المهندسين المعماريين التطورات في مجال التكنولوجيا وعلم النفس ليذهبوا إلى ما هو أبعد».

الدليل لا يزالُ شاباً صغيراً، ويحملُ لحيةً على طريقة الموضة بعض الشيء، لكنني أُخمِّنُ، من مظهره السلطويِّ، أنه في الغالب أستاذ محاضر. غير أن جميع الزوّار لا يشبهون طلاباً؛ بعضهم يمكن أن يكونوا جيراناً فضوليين أو مجرد سُيّاح.

«ربما لم تنتبهوا إلى ذلك، لكنكم الآن تسبحون في مزيج مُرَكَّب من الموجات ما فوق الصوتية المريحة. وإن تكن هذه التكنولوجيا لا تزال تحبو، فإن نتائجها معتبرة. تصوّروا مستشفى تكون بنيتُهُ نفسها جزءاً من سيرورة العلاج، أو مركزاً مخصّصاً للأشخاص الذين يعانون من جنون الشيخوخة والذي سيساعدهم على استرجاع ذكرياتهم. هذا البيت قد يبدو أوّلياً، غير أن طموحه استثنائي».

يستدير ويأخذ المجموعةَ معه نحو السلَّم. «أرجو أن تتبعوني مصطفّين واحداً بعد الآخر، وأن تنتبهوا جيّداً للدرجات».

أظلُّ في الأسفل. أسمعُ الدليلَ يشرحُ أن الإضاءة في الغرفة تُقوِّي إيقاعات النوم في الليل والنهار. وما أن ينزلوا، حتى أصعد خلسة كي أتمتع ببعض الحميمية.

أكتشف مفزوعةً أن أحد أعضاء المجموعة بقي في الغرفة. فتح الخزانةَ، وعلى الرغم من أنه يوليني ظهره إلّا أني شبه واثقة من أنه يفحصُ ملابسي.

«ما الذي تفعله؟».

يلتفتُ. إنه أحد الزوّار الذين حسبتُهُم سُيّاحاً. عيناهُ، خلف زجاج نظارته من دون إطار، صافيتان وهادئتان.

«أنظُرُ كيف تطوين حاجاتك».

في كلامه لهجة خفيفة. قد يكون دانماركياً، أو نرويجياً، في الثلاثينيات من العمر، يرتدي معطفاً شبيهاً باللباس العسكري. يبدأ يفقدُ شعرهُ الأشقر.

أنفجرُ. «بأيِّ حقّ؟ إنها حياتي الخاصة!».

«لا أحد من الأشخاص الذين يقطنون هنا يمكنه أن يتطلَّعَ إلى حياة خاصة. لقد تنازلتِ عنها عندما وقّعتِ العَقد. تذكّري».

«من أنتَ؟».

يبدو شديد الاطّلاع بالنسبة إلى سائح.

«قدّمتُ ترشيحي»، يقول. «كي أعيش هنا. سبع مرّاتٍ. كنتُ سأكون المكتريَ الأمثل. لكنه اختاركِ أنتِ». يستدير نحو الخزانة ويشرعُ في فسخ قمصاني ليعيد طيّها، ببراعة بائع. «ما الذي يجده فيكِ؟»، يسألُ. «الجنس، أتصوّرُ. النساء هي نقطة ضعف إدوارد».

يخنقني الغضبُ، غير أن فكرة أن هذا الرجل، الذي يقف أمامي هنا في غرفتي، لا بدَّ أن يكون مختلاً، تشلّني.

«تُلهِمُهُ الأديرةُ والجماعات الدينية، لكنه ينسى أن النساء كنَّ مقصيّاتٍ من هذه الأمكنة، لسبب وجيه». يلتقطُ تنّورةً ويطويها بثلاث

حركات ذكيّة. «أؤكّدُ لكِ أن عليك أن ترحلي. سيكون رحيلُكِ أحسن بكثير بالنسبة إلى إدوارد. مثل الأخريات».

«أيُّ أخريات؟ عمَّ تتحدّث؟».

يوجِّهُ إليّ ابتسامةً تعلوها رقّةٌ تكاد تكون طفولية. «آه، لم يقل لكِ شيئاً؟ السابقات. لا واحدة منهنّ تدوم. تحديداً».

«كان مجنوناً تماماً»، أقولُ. «مُرعِباً. ويُعطي الانطباعَ أنه يعرفكَ».

يتنهّدُ إدوارد. «هذا صحيح بعض الشيء. أو يعتقد ذلك على الأقل. لأنه يعرفُ عملي».

نحن جالسان في حجرة الطعام. أحضر إدوارد قنينة خمر إيطالي، لذيذ. لكنني لا أزال مصدومةً، ولم أشرب كحولاً تقريباً منذ أن انتقلتُ إلى وَنْ فولغيت ستريت. «من هو؟».

«في المكتب، لقّبوهُ المتحرِّش».

يبتسمُ. «ذاكَ مزاحٌ، بالطبع. في الحقيقة هو غير مؤذٍ. اسمه جورغن، لا أذكرُ اسمه كاملاً. هجر دراساته في الهندسة بسبب مشكل في صحّته العقلية وأصبح مهووساً ببناياتي. الأمر ليس نادراً. بارغان، لوكوربوزييه، فوستر... جميعُهُم كانوا ملاحَقين من لدن أشخاص مختلين واثقين من امتلاكهم روابط متميِّزة معهم».

«هل أخبرتَ الشرطة؟».

يهزُّ كتفيه. «ما الفائدة؟».

«ألا ترى ما الذي يعنيه هذا؟ عندما ماتت إيما ماتيوس، هل تأكّد أحدُهُم إن كان جورغن هذا موجوداً في الجوار؟».

ينظر إليّ عاقداً حاجبَيه. «لا تقولي لي إنكِ لا تزالين تُفكرين في تلك القصة».

«حدثَ ذلك هنا. بطبيعة الحال أفكر فيها».

«أتحدّثتِ مرةً أخرى مع صاحبها؟».

أُدرِكُ من شيء ما في نغمة صوته أنه لن يكون راضياً لو أني فعلتُ ذلك.

«لا. لم يعدْ».

«أحسن. صدقيني، جورغن عاجزٌ عن أن يؤذي ذبابة».

يتناول رشفة من الخمر ويميلُ عليَّ ليُقبِّلني. شفتاهُ حلوتان ومحمرّتان بالعنب.

«إدوارد...»، أقولُ متراجعةً.

«نعم؟».

«كنتما عشيقَين، أنتَ وإيما؟».

«أيُغيِّرُ ذلك شيئاً؟».

«لا».

هذا يعني نعم، بطبيعة الحال.

«كانت بيننا علاقة قصيرة»، يعترفُ. «لكن الأمر كان قد انتهى منذ مدة طويلة عندما ماتت».

«هل؟...» لا أعرفُ كيف أصوغُ هذا السؤالَ، «هل كان الأمرُ مثلما هو معي؟».

يدنو، قريباً جدّاً، يأخذُ رأسي بين يديه ويغوص بنظرته في عينَيّ. «أنصتي إليّ، جين. إيما كانت امرأة فاتنة. لكنها تنتمي إلى الماضي. ما يحدثُ الآن، بيني وبينكِ... رائعٌ. أرجو ألّا نعود للحديث عن كل هذا».

وعلى الرغم من كلماته المُطَمئنة، يستمرُّ الفضولُ في نهشي.

لأنني أقول لنفسي إني عندما ستزداد معرفتي بالنساء اللواتي أحبَّهُنَّ، سأفهمُهُ أفضل.

سأحفرُ نفقاً تحت الأسوار التي أقامها حوله، هذه المتاهة الغريبة غير المرئية التي تُبعدني عنه.

في صباح اليوم الموالي، بعد انصرافه، أبحث عن بطاقة الزيارة التي اكتشفتُها في كيسِ نوم إيما. **كارول يونسون. معالجة نفسية محلَّفة.** يوجد رقم هاتف وعنوان موقع على الإنترنت. أهمُّ بأن أتّصلَ بواسطة حاسوبي عندما أتذكّرُ، لسبب ما، ما قالهُ لي ذلك الرجل، في غرفتي: **لا أحد يقطن هنا يمكنه أن يتطلّعَ إلى حياة خاصة. لقد تنازلتِ عنها عندما وقّعتِ العَقد. تذكّري.**

آخذُ هاتفي وأنزوي في أقصى ركن من الصالة، حيث ألتقطُ إشارة واي فاي ضعيفة غير مؤمَّنة تعود لأحد الجيران، ما يكفيني للاتصال بموقع كارول يونسون فحسب. أعرفُ أنها حاصلة على شهادة في «العلاج النفسي التكاملي»، ومختصّة في تدبير قلق ما بعد الصدمة والمساعدة السيكولوجية لضحايا الاغتصاب أو للنساء اللواتي يعانين بسبب موتِ قريبٍ.

أرقنُ الرقمَ.

«ألو»، أقولُ عندما ترفع السماعة امرأةٌ. «فقدتُ شخصاً مؤخَّراً وأودُّ أن آخذ لي موعداً معكِ».

6. يعترفُ لكِ شخصٌ من محيطك، بشرط الحفاظ على السّرِّ، أنه دَهَسَ أحداً ما بينما كان يقود سيارته في حالة سكر. ومنذ ذلك الحادث توقَّفَ نهائياً عن الشرب. هل تشعرين أنك مُجبَرةٌ على تبليغ الشرطة؟

- O نعم
- O لا

الأمس: إيما

مراقبة إدوارد وهو يُحضِّرُ أدوات طبخه، تشبهُ ملاحظةَ طبيب جرّاح قبيل العملية: يضعُ كلَّ أداةٍ بعناية أمامه. اليومَ، اشترى سرطانَي بحر، حيَّين؛ أُلجِمَ ملقطاهُما الضّخمان بواسطة شريط مطّاطي. أسألُهُ عمّا يمكنني فعلُهُ فيمدُّ إليّ «دايكون»، فُجل يابانيّ ضخم، لكي أَبشرهُ.

مزاجُهُ رائق هذا المساء. أرجو أن يكون ذلك من أثر رؤيتي، عندما يخبرني أنه تلقّى خبراً جيداً.

- ذلك الخطاب الذي ألقيتُهُ عند تسليم جائزة **مجلة الهندسة**، يقول. سمعَهُ أحدُهُم واقترح عليّ أن أتقدَّم بمشروع من أجل مباراة.

- شيء مهمّ؟

- جدّاً. إن ربحنا يمكننا بناء مدينة كاملة، جديدة تماماً. ستكون مناسبة لتحقيق ما كنتُ أتحدّثُ عنه، أن أخلقَ شيئاً آخر غير البنايات. ربما شكل مجتمع جديد.

- مدينة كاملة، مثل هذا البيت؟ أقول وأنا أنظرُ إلى الديكور المينيمالي في وَنْ فولغيت ستريت.

- لِمَ لا؟

- لا أعتقد أن غالبية الناس يرغبون في العيش بهذه الطريقة.

لا أعترفُ له أني، كلما أتى إلى هنا، أهرعُ لأحشو الأمتعة الوسخة في الخزانة، وأُفرِغَ الأواني في القمامة، وأُخفِيَ المجلات والجرائد تحت الكنبة.

- أنتِ الدليل الحيّ على أن ذلك يمكن أن ينجح، يقولُ. شخصٌ عادي تغيَّرَ بفضل الهندسة.

- أنت من غيّرني، أقولُ.

كان قد جلبَ شاياً يابانياً لنتناوله مع سرطان البحر. الأوراقُ ملفوفة في رزمة ورقية صغيرة تُشبه أوريغامي[1].

- إنه شايٌ يأتي من منطقة أوجي، يشرح لي. اسمُهُ **غيوكورو**، وهو يعني «لؤلؤة الندى». أحاولُ أن أنطقَ هذه الكلمة ويُقوِّمُ نطقي مرّاتٍ عديدة، قبل أن يصرف النظر عن ذلك وهو يتظاهرُ بالتخاذل.

غير أن ردَّ فعله، عندما أُخرِجُ إبريقي من فنّ الديكور، ليس مفتعلاً.

- ما هذا؟ يسأل عاقداً حاجبَيه.

- أهداني إياه سايمن في عيد ميلادي. ألا يُعجِبُكَ؟

- لا مناص منه.

يتركُ الشاي ينقعُ بينما يهتمُّ بسرطان البحر. يدُسُّ موسى السكين تحت الصدفة. لحظات بعد ذلك، أسمعُ فرقعةً عندما اقتلعَ الرأسَ بحركة من المعصم. لا تزالُ الملاقطُ تتحرّكُ بينما يشرعُ في تقطيع الذيل من كل جهة. ينفصل عمود اللحم الغليظ الشاحب بكل سهولة. وبحركات أخرى قليلة يُزيلُ الجلدَ البُنّيّ؛ يغسلُ عندئذ الذيلَ

---

(1) فنّ ياباني تقليدي في طيِّ الورق. (المترجم)

بالماء البارد قبل أن يُقطّعَه إلى **ساشيمي**. ويحمل مزيجٌ من عصير الليمون، وصلصة الصويا، وخلّ الأرز، اللمسةَ الأخيرة. لم يستغرق كلُّ هذا سوى دقائق معدودة.

نأكلُ بواسطة قضبان، ثم، من أمر إلى آخر، نجد نفسينا في الفراش. دائماً أبلغُ الرعشة قبله، وهذه المرة ليست استثناء من القاعدة. أفترضُ أن ذلك مُتَعَمَّدٌ. يخضعُ جِماعُنا بدوره لتفكير دقيق مثله مثل كل ما يقوم به.

أتساءلُ عمَّا سيحدثُ إذا تمكّنتُ من أن أجعله يفقد التحكُّم، أيُّ اعترافاتٍ أو حقائق مخفيّة تواري هذا التحفُّظَ البارد.

ذات يوم، سأكتشفُ ذلك، أُقسِمُ على هذا.

وبينما أغوصُ في النوم، أسمعُهُ يهمسُ:

- أنتِ الآن لي، إيما. تعلمين هذا، هيه؟ أنتِ لي.

- مممم، أغمغمُ بصوت ناعس. أنا لكَ.

عندما أستيقظُ، إدوارد لم يعد نائماً إلى جانبي. أتقدّمُ، بخطى صامتة، إلى غاية قمة السلَّم فأراهُ، في الأسفل، داخل المطبخ، وهو منهمكٌ في ترتيبه.

وبما أني لا أزالُ أُحسُّ ببعض الجوع، أُقرِّرُ أن ألحقَ به. وعندما أصلُ إلى منتصف السلَّم، أُبصِرُهُ يُمسكُ إبريقَ سايمن ويُفرِغُ ما فَضُلَ من الشاي في الحوض. فجأة، تحدُثُ فرقعةٌ وتتناثر شظايا الإبريق المكسور فوق الأرض.

لا بدَّ أني أطلقتُ صرخة صغيرة، لأنه يرفع رأسه.

- أنا آسف حقاً، إيما، يقول بهدوء. يُريني يديه. كان عليَّ أن أمسحهما أولاً.

أريد أن أساعده في جمع الشظايا، لكنه يمنعني.

- لا، أنتِ حافية القدمَين. ستصابين بأذى. سأُعوِّضُهُ بطبيعة الحال، يُضيفُ. يصنعُ **ماريميكو** إبريقاً رائعاً. أو بأسلوب **باوهوس**، لا تزولُ موضتُهُ.

أجلس القرفصاء على الرغم من كل ذلك لأسترجع بعض القطع.

- لا يهمُّ، أقولُ. ليس سوى إبريق.

- أجل، يقول. ليس سوى إبريق.

وأشعرُ برعشة إثارةٍ غريبة لفكرة أني ملكٌ له. **أنتِ لي**.

الآن: جين

مكتبة
t.me/t_pdf

توجد عيادة كارول يونسون في شارع هادئ ومُشَجَّر في كوينز بارك. عندما تفتح الباب، تُلقي عليَّ نظرةً غريبة، تكاد تكون مندهشة، ثم تسترد طبيعتها بسرعة وتُدخلني إلى مكتبها. وتشرح لي، بعد أن دلّتني على الكنبة، أن الأمر لا يتعلق سوى بإقامة تواصل بسيط لمعرفة إن كانت تستطيع مساعدتي. وإذا قررنا الاستمرار، ستستقبلني مرة كلَّ أسبوع في التوقيت نفسه.

«طيب»، تقولُ، بعد أن استنفدت المقدمات. «ما الذي جاء بكِ جين؟».

«عدةُ أشياء. ابتداء من ذلك الطفل المولود ميّتاً الذي حدّثتُكِ عنه في الهاتف».

تهزُّ كارول رأسها.

«الحديث عن حزننا يسمح لنا بأن نقوم بالفرز، أن نتعلّمَ الفصلَ بين العواطف الضرورية والعواطف المُدمِّرة. هل يوجد شيء آخر؟».

«أجل. أظنُّ أنك ربما عالجتِ امرأة يجمعني بها رابطٌ مخصوص. وأودُّ أن أعرف ما الذي كان يُقلقها».

هذه المرة تحرِّك كارول يونسون رأسها، بحزم.

«لا أستطيع الحديث عن مرضاي الآخرين».

«نعم، لكن ربما يمكنك أن تقومي باستثناء في هذه الحالة الخاصة. لأن تلك المرأة ماتت. كانت تُسمى إيما ماتيوس».

لا مجال لأيِّ شكٍّ ممكن: ما قرأتُهُ فوق وجه المعالِجة النفسية إنما هو تعبير عن ذهول. وهنا أيضاً، تسترجع زمامها سريعاً.

«هذا لا يُغيِّر من الأمر شيئاً»، تقول، «لا أستطيع أن أُطلِعَكِ على محتوى جلساتي مع إيما. لا ينتهي السرُّ المهنيُّ بموت شخص».

«أحقّاً أشبهُها بعض الشيء؟».

تتردَّدُ لحظة، قبل أن تهزَّ رأسها.

«أجل. لاحظتُ ذلك ما أن فتحت الباب. أفترضُ أنكِ إحدى قريباتها؟ شقيقتها؟ تعازيّ الحارة».

«لم تَرَ إحدانا الأخرى أبداً».

تبدو حائرة. «إذاً، ما هو هذا الرابط الذي كنتِ تتحدثين عنه، لو سمحتِ لي بالسؤال؟».

«أعيشُ في البيت نفسه، البيت الذي ماتت فيه». ثم أضيف من دون تردّد: «ولديّ علاقة بالرجل نفسه».

«سايمن ويكفيلد؟ صاحبها؟».

«لا. هو، التقيت به عندما أتى لوضع ورود أمام بابي. الرجل الذي أُحدِّثُكِ عنه هو من بنى البيت».

تتفحّصني كارول.

«لِنرَ إن كنتُ قد فهمتُ جيّداً. أنتِ تقطنين في وَنْ فولغيت ستريت، مثل إيما. وأنتِ عشيقة إدوارد مونكفورد. مثل إيما».

«تماماً».

كان إدوارد قد حدّثني عن علاقته بإيما باعتبارها لم تكن سوى علاقة عابرة، لكنني لا أريد أن أؤثِّرَ في كارول يونسون.

«في هذه الحالة»، تقول بصوت خفيض، «أوافقُ على أن أكشف لكِ ما دار بيني وبين إيما من حديث أثناء علاجها».

«على الرغم ممّا قلتِهِ قبل قليل؟».

يفاجئني أن أكسبَ الأمرَ بكل تلك السهولة.

«أجل. توجد ظروف معيّنة تسمحُ لنا برفع السرِّ المهنيّ». وبعد صمتٍ، تُضيفُ: «عندما يكون ذلك لا يسيء إلى المريض ويمكن أن يُنقذ شخصاً آخر من المعاناة».

«لا أفهمُ»، أقول. «من المهدَّد بالمعاناة؟».

«أتحدثُ عنكِ، جين. أعتقد أنكِ قد تكونين في خطر».

الأمس: إيما

- ديون نيلسون سرق مني بهجة الحياة، أقولُ. حطَّمَ حياتي، ومنذ ذلك اليوم صرتُ أخاف من جميع الرجال الذين ألقاهم. بسببه أشعرُ بالعار من جسدي.

أتوقّفُ لأشربَ كأس ماء. يسود الصمتُ في قاعة المحكمة. ومن أعلى المنصة، ينظر إليَّ القاضيان، رجلٌ وامرأةٌ، دون أن يرفَّ لهما جفنٌ. الجو حارٌّ في هذه الحجرة من دون نوافذ، ذات الجدران المصبوغة بالبنيّ الفاتح؛ يتعرّق المحامون قليلاً تحت باروكاتهم.

أُقيمَ عازلان اثنان أمامي ليحمياني من مقعد المتَّهَمين. أُحسُّ بحضور ديون نيلسون في الجهة الأخرى، لكنني لستُ خائفة. على العكس. هذا الوغدُ سيجد نفسه في السجن.

بكيتُ وأنا أتلو تصريحي، لكنني الآن أرفعُ صوتي:

- اضطُرِرتُ للرحيل عن سكناي لأنني كنتُ خائفة من أن يعود. أعاني من استرجاعات وفقدان للذاكرة، وبدأتُ أتلقّى علاجاً نفسيّاً. وعلاقتي مع صاحبي لم تصمد.

ترفع محاميةُ نيلسون، وهي امرأة ضئيلة ورشيقة، ترتدي بدلة أنيقة تحت ردائها، عينَيها، وتعقد حاجبَيها، وتسجِّلُ شيئاً فوق ورقة.

- ما هو شعوري إزاء إمكانية تمتيع ديون نيلسون بإطلاق سراحٍ بكفالة؟ أقولُ. هذا يصيبني بالمرض. لكون هذا الرجل هدّدني بسكين، ولأن هذا الرجل عرّاني واغتصبني، بأبشع الطرق وأكثرها إذلالاً، فإني أعلمُ ما يستطيع أن يقترفه. تصوُّرُ أنه سيكون في إمكانه أن يروح ويغدو وفق هواه يُرعبني. سأعيش في الرعب إن علمتُهُ طليقاً.

هذه الملاحظة الأخيرة أوحى إليّ بها المفتش كلارك. وعلى الرغم من أن محامية نيلسون تُعلنُ أن زبونها لا نيّة له في الاقتراب مني، فإنني لو شعرتُ أني مهدَّدة، يمكن أن أسحبَ شهادتي، وفي هذه الحالة، لن تكون هناك محاكمة. في هذه اللحظة، أنا هي الشخص الأهمُّ في هذه القاعة.

يواصلُ القاضيان تفحّصي. لا تصدر عن المنصة المخصّصة للجمهور ولا همسة واحدة. قبل أن أبدأ، كنتُ عصبية؛ أما الآن، فأشعرُ أني قوية، وسيّدة الموقف.

- ديون نيلسون لم يغتصبني فحسب، أستأنفُ كلامي. لقد أرغمني على أن أعيش في رعب دائم، خوفاً من أن يُرسل صورَ ما صنعهُ بي إلى الناس الذين أعرفهم. هكذا يتصرّفُ، بواسطة التهديد، والتخويف. أرجو أن تجيب العدالة على طلبه السراح وفق هذه المعلومات.

برافو، يهمسُ صوتٌ صغيرٌ داخل رأسي.

- شكراً، آنسة ماتيوس. كوني على يقين أننا سنأخذُ في اعتبارنا شهادتك، يقول القاضي بلهجة لطيفة. يمكنكِ أن تظلّي جالسة للحظة في مقصورة الشهود إن رغبتِ في ذلك. وإلّا فيمكنكِ الانصراف.

يسود الصمتُ قاعةَ المحكمة بينما أجمعُ حاجاتي. في الوقت نفسه، تقف محاميةُ نيلسون، تستعجل التدخّل.

الآن: جين

«في خطر؟ ماذا تقصدين؟».

لا أستطيعُ أن أحبس ابتسامة من فرط ما أجد الأمر كلَّه سخيفاً، لكن كارول يونسون جادّةٌ كلَّ الجِدِّ.

«لا بدَّ أن الأمر بسبب إدوارد. . .».

«إيما حكتْ لي كلَّ شيء. .».

تتوقف وتُلوي وجهها، كأنها تجد صعوبة في خرق هذا التابو.

«أقضي وقتي، باعتباري معالِجة نفسية، في رصد أنماط سلوك غير واعية. عندما تسألني مريضة: «لماذا جميع الرجال هم هكذا؟»، أُجيبها: «لماذا جميع الرجال الذين تختارينهم هم هكذا؟». يتحدث فرويد عن «إكراه التكرار». يعني نمطاً يعيد فيه شخصٌ إنتاجَ الدراما النفسية الجنسية نفسَها من دون توقف مع شركاء مختلفين يجدون أنفسهم يُسنَدُ إليهم دائماً الدورُ نفسه. في مستوى لا واعٍ، يأملُ ذلك الشخصُ إعادةَ كتابة النهاية، وتعديل ما لم ينجح في المرة الأولى. لكن حتماً، تنتهي الأخطاء نفسُها، والنقائصُ نفسُها، التي يُدخِلُها هِو نفسه في تلك العلاقة، إلى تدمير هذه الأخيرة، بالطريقة نفسها تماماً».

«ما وجه علاقة هذا بنا أنا وإيما؟» أسألُ، على الرغم من أني أعرف الجواب.

«في كلِّ علاقة، يتواجهُ إكراهَا تكرار، إكراه الرجل وإكراه المرأة. يمكن أن يكون تفاعلُهما حميداً، أو مُدمِّراً، مدمِّراً بشكل رهيب. كانت إيما تحملُ عن نفسها صورةً سيئة، وازداد الأمر خطورة عندما تعرّضت لاعتداء جنسي. شعرَت، شأنها شأن الكثيرات من ضحايا الاغتصاب، أنها مُذنِبة، وهذا خطأ بطبيعة الحال. وقد وجدَت في إدوارد مونكفورد الشخصَ الذي منحها العلاج السيّئ الذي كانت تبحث عنه في مستوى معيّن».

«انتظري قليلاً»، أقولُ غاضبة. «إدوارد يسيء معاملة امرأة؟ هل التقيتِ به؟».

تهزُّ كارول رأسها نافيةً.

«إني أرتكزُ على المعلومات التي استجمعتها من إيما. وهو ما لم يكن سهلاً. كانت دائماً تتردّدُ في الاعتراف. وهو تردُّدٌ متواتر لدى الشخص الفاقد الثقة في نفسه بشكل مريع».

«هذا مستحيل بكل بساطة»، أقولُ بجفاء. «أنا أعرفُ إدوارد. لن يضرب أحداً أبداً».

«العنف ليس دائماً جسدياً»، تؤكّد كارول، دون أن ترفع صوتها. «الحاجة إلى امتلاك تحكّمٍ مطلق هو أيضاً شكلٌ من أشكال سوء المعاملة».

التحكّم المطلق. أتلقى هاتين الكلمتين مثل صفعة. لأنني أرى أنهما، من زاوية معيّنة، يناسبان الواقع.

«كانت إيما تحكم على سلوك إدوارد بأنه معقول ما دامت منخرطة في اللعبة، أقصد ما دامت تقبلُ أن يُتحكَّمَ فيها»، تستأنفُ

كارول. «غير أن أشياء معيّنة كان يمكن أن تقوم مقام علامات إنذار: الاتفاق الغريب الذي يخصُّ البيتَ، وكونه يأخذ القرارت بدلاً عنها، حتى في الأمور التافهة، أو كونه أبعدها عن أصدقائها وعن أُسرتها، وهو سلوكُ المعتلِّ اجتماعياً النرجسي. غير أن المشاكل الحقيقية بدأت عندما حاولت أن تنأى بنفسها».

معتلٌّ اجتماعيّ. أعلمُ أن المهنيين لا يستعملون هذا المصطلح بالمعنى الذي يقصده عموم الناس، لكنني لا أستطيع أن أمتنع عن التفكير في كلمات صاحب إيما السابق، سايمن ويكفيلد، أمام البيت. **في البداية سمَّمَ عقلَها. ثم قتلها...**

«لديكِ انطباعٌ أنكِ تكتشفين ما تعيشينه، جين؟».

أراوِغُ السؤال.

«ما الذي أصاب إيما؟ أقصدُ بعد كلِّ هذا؟».

«انتهت، بفضل مساعدتي، إلى الوعي بأن علاقتها بإدوارد كانت مُدمِّرة. انفصلت عنه، لكن ذلك أغرقها في الكآبة، والعزلة، بل البارانويا... وفي تلك الفترة قطعت كلَّ الروابط معي».

«انتظري دقيقة»، أقولُ، حائرةً. «كيف تعلمين إذاً أنه قتلها؟».

تعقد كارول يونسون حاجبَيها.

«أنا لم أقل أبداً إنه **قتلها**، جين».

«آه»، أقولُ، مرتاحة. «ماذا تقصدين إذاً؟».

«الكآبة، والبارانويا، والأفكار السوداء، وانعدام الثقة في الذات، التي غذّتْها تلك العلاقة... كلُّها عوامل حاسمة، في رأيي».

«تعتقدين أنه كان انتحاراً؟».

«هذا رأيي المهني، أجل. أعتقد أن إيما رمَت بنفسها عن السلَّم أثناء نوبة كآبة خطيرة».

لا أقولُ شيئاً، أُفكِّرُ.

«حدّثيني عن علاقتك مع إدوارد»، تقترح كارول.

«هذا هو الغريب. احتكاماً إلى ما تقولينه لي، لا وجود لوجوه شبه كثيرة. ابتدأت علاقتُنا وقتاً قصيراً بعد انتقالي. أفهمَني بجلاء أنه يشتهيني. لكن أيضاً أنه لا يقترحُ عليّ علاقة تقليدية. كان يؤكدُ...».

«لحظة»، تُقاطعني كارول. «سأذهبُ لإحضار شيء ما..».

تغادر الصالة وتعود بعد قليل بدفتر أحمر.

«هذه الملاحظات التي سجّلتُها أثناء جلساتي مع إيما»، تشرحُ لي وهي تستعرض الصفحات. «كنتِ تقولين؟».

«كان يؤكد أن هناك نوعاً من النقاء...».

«في علاقة من دون حواجز؟»، تُكمِلُ كارول بدلاً مني.

«أجل».

أنظر إليها، باندهاش. «هذه كلماته حرفياً». كلمات سبق له أن قالها لشخص آخر، كما هو واضح.

«وفق ما حكَت لي إيما، فإن إدوارد هو إنسان ينشد أقصى درجات الكمال، بشكل مهووس تقريباً. هل أنتِ متفقة مع هذا الوصف؟».

أهزُّ رأسي موافقة، على مضض.

«لكن بالطبع»، تقول كارول، «لا يمكن أبداً لعلاقاتنا السابقة أن تتحسّنَ، مهما يكن عدد المرات التي أعدنا فيها إنتاجها. فكلُّ

فشلٍ متتابع إنما يقوم بتقوية ذلك السلوك غير الملائم. بتعبير آخر، يُصبح النمط أكثر فأكثر ثقيلاً. ويائساً».

«ألا يستطيع الفرد أن يتغيّر؟».

«هذا غريب، طرحت عليَّ إيما السؤال نفسه».

تبدو كارول تُفكر.

«في بعض الأحيان، يستطيع ذلك. لكنها سيرورة مؤلمة وصعبة، ولو بمساعدة معالِج نفسيّ. وإذا اعتقدنا أننا يمكن أن نكون الذي أو التي سيُغيِّرُ الطبيعة الأساس لشخص آخر، فإن ذلك يدخل في نطاق النرجسية. الشخص الوحيد الذي يمكن أن نُغيِّرهُ، هو ذاتنا».

«تقولين إني أخاطِرُ بأن أنتهي مثلها. لكن وفق ما تصفين، فإنها لا تشبهني بتاتاً».

«ربما. لكنكِ ذكرتِ طفلكِ المولود ميّتاً. من اللافِتِ ملاحظة أنكما كنتما الواحدة والأخرى في وضع نفسيٍّ سيّئ عندما التقى بكما. المعتلّون اجتماعياً يجذبهم الأفراد الأكثر هشاشة».

«لماذا توقفت إيما عن زيارتكِ؟».

يعبر تعبير عن الندم ملامحَ وجه كارول.

«بصراحة، أجهل ذلك. لو أنها واصلَت علاجَها النفسي، لكانت ربما لا تزال على قيد الحياة».

«كانت قد احتفظت ببطاقتكِ»، أقول. «وجدتُها في كيس نومها، في عِلِّيَّةِ وَنْ فولغيت ستريت، بجانب معلّبات. يبدو أنها كانت تعيش في الأعلى. لا بدَّ أنها كانت تعتزمُ الاتصال بك».

تهزُّ كارول رأسها.

«هذا على الأقل. شكراً».

«غير أني أعتقدُ أنك مخطئة في كل ما يتعلق بالباقي. إذا كانت إيما تعاني من الكآبة، فبسبب قطع علاقتها مع إدوارد، وليس لأنه كان يتحكّمُ فيها. وإذا كانت قد انتحرت... فهذا أمر حزين جدّاً، لكن لا يدَ له في ذلك. مثلما قلتِ أنتِ نفسك، كلٌّ واحد يجب أن يتحمّلَ نتائج أفعاله».

توجِّه إليّ كارول ابتسامة حزينة ويحصل لديّ انطباعٌ أنها قد سبق لها أن سمعَت هذا الكلام، وقد يكون من فم إيما نفسها.

وفجأة أشعر بأني قد تعبتُ من وجودي داخل هذه الحجرة، المؤثثة بأسلوب دافئ ووسائدها وأثوابها، ومن رطانة الأطباء النفسيين. أنهضُ.

«شكراً على استقبالي. كان الأمر مفيداً. لكنني أعتقد أني في النهاية لا أرغبُ في أن أحدِّثكِ عن ابنتي. ولا عن إدوارد. لن أعود».

الأمس: إيما

لا أستطيع، بسبب «الاحتياطات الخاصة»، أن ألجَ المنصة المخصّصة للجمهور بعد تلاوتي تصريح الضحية. لذلك، أنتظر أمام قاعة المحكمة. ثم سرعان ما يخرج المفتش كلارك والرقيبة ويلان، يبدو عليهما الاضطرابُ. ويوجد معهما محامي الطرف المدني، المحامي بروم.

- إيما، تعالي إلى هنا من فضلك، تقول الرقيبة ويلان.

- ما الذي يحدث؟ أسألُ، بينما يسيرون بي نحو أقصى الردهة. ألتفتُ نحو قاعة المحاكمة في اللحظة نفسها التي تخرج منها محامية نيلسون. يرافقُها مراهقٌ ذو بشرة غامقة، ويرتدي بدلة. وعندما ينظر جهتي، أجدُ الوقتَ لتمييز لمعة في عينَيه: لقد تعرَّفَ إليّ. ثم تقول له محاميتُهُ شيئاً ما فينقلُ اهتمامه إليها.

- إيما، تقول لي الرقيبة ويلان، لقد وافق القاضيان على إطلاق السراح بكفالة. أنا آسفة.

- كيف؟ لماذا؟

- أعطى القاضيان الحقَّ للمحامية فييلد، محامية الدفاع، التي تؤكّد أن ملفَّكِ يطرح إشكالات.

- إشكالات؟ ماذا يعني هذا؟

أرى سايمن يخرج من باب آخر مخصّص للجمهور. ويتّجهُ نحوي مباشرة.

- عيوب في الشكل، يشرح المفتّش كلارك بصوت حانق. خصوصاً في مستوى تحديد الهوية.

- تقصد غياب آثار الحمض النووي؟

- والبصمات، يضيف المحامي.

- في البداية، يقول المفتّش كلارك، لم يكن الأمر يتعلّق باغتصاب. كان يتعلّق بمجرد عملية سطو. ومن ثمّ فإن الضابط المكلَّف لم يَرَ ضرورة لرفع البصمات.

يتنهَّدُ ويضيفُ:

- بعد إفادتكِ الجديدة، كان يمكننا إجراء حصة تحديد الهوية مع نيلسون. لكن بما أنه كان يضع قناعاً، وفق ما قُلتِهِ، فإن ذلك كان سيكون من دون جدوى. وللأسف، فإن محامياً ماكراً يمكنه أن يستخدم هذا الصنف من العناصر ليوحي أن الشرطة استخلصت نتائج متسرِّعة.

- لكن إن كان هذا هو المشكل، لِمَ لا تُنَظَّمُ جلسة تحديد الهوية الآن؟

يتبادل كلارك والمحامي نظرة.

- يمكن أن يكون ذلك مفيداً أثناء المحاكمة، يعترف المحامي.

- إيما، هذا أمر مهمّ، يقول المفتّش كلارك. أثناء جلسة اليوم، هل تمكّنتِ في أيِّ لحظة من رؤية المتهم؟

أنفي الأمر بحركة من رأسي. فأنا في جميع الأحوال لستُ متأكدة من أن من رأيتُهُ هو نيلسون. وحتى لو كان هو، لِمَ سيكون من حقّهِ أن يُفلِتَ بسبب قلة دراية الشرطة؟

- في هذه الحالة، أعتقد أن في إمكاننا أن نطالب بجلسة تحديد الهوية، يقول المحامي.

- إيما؟ يهتف بي سايمن، الذي يحرص بكل الوسائل على أن يحشر نفسه في النقاش. أعلمُ أنكِ كنتِ تعتقدين ذلك حقيقةً، إيما.

- ماذا تقصد؟

- إنما انفصلنا بسبب ذلك الوغد.

- هيه؟ لا، لا. قلتُ ذلك من أجل القاضيين، سايمن. لم... لن أعود.

- إيما...

يرتفع صوتُ إدوارد خلفنا، هادئاً وسلطويّاً. ألتفتُ جهته، بارتياح.

- برافو، يقول. كنتِ رائعة.

يحضنني بين ذراعيه وأرى الاشمئزاز فوق وجه سايمن عندما يُدرِكُ ما يعنيه ذلك.

- تبّاً، يهمسُ. تبّاً، إيما. لا، لا يمكنكِ فعلُ هذا.

- ماذا تقصد، سايمن؟ أقول بلهجة تحدٍّ. لا أستطيع أن أختار مع من أخرج؟

يُدركُ الشرطيان والمحامي أنهم يشاهدون دراما حميمة، فيُطرقون ويتأرجحون في وقفتهم من رجل إلى أخرى. وكالعادة، يُمسكُ إدوارد زمامَ الأمور بين يديه.

- تعالي معي، يقول لي.

يحيطُ خصري بذراعه ويأخذني بعيداً. وعندما ألتفتُ، أرى سايمن يتابعُنا بنظره، أبكم من اليأس والغضب.

الآن: جين

يأخذني إدوارد، في عطلة نهاية الأسبوع هذه، إلى المتحف البريطاني حيث تتركنا مساعدةٌ وحدنا، بعد أن فتحت لنا واجهةً زجاجيةً مقفلةً بالمفتاح، لنفحص منحوتة صغيرة تعود لما قبل التاريخ. على الرغم من أن الأشكال صقلها الزمنُ، يمكن تمييز جسدَي عشيقَين متعانقَين.

«عمرها أحد عشر ألف سنة. هذه أقدمُ تمثيل لممارسة الجنس»، يشرح إدوارد. «ندين بها لحضارة النّطوفيين، أول شعب خلقَ مجتمعات».

أجدُ صعوبة في التركيز. أُفكِّرُ في أنه وجَّهَ الكلمات ذاتها إلى إيما تلك. يمكنني ألّا آخذ في حسباني بعض الاتهامات الأخرى التي لفظتها كارول في حقّه، بما أنها لم تلتقِ أبداً بإدوارد، لكن الأدلة الموجودة في الدفتر يصعبُ عليّ تجاهُلُها.

ثم أقولُ لنفسي: نحن جميعاً مذنبون لتكرار الجُمل نفسها، واستعمال الاختصارات اللسانية نفسها. نحكي جميعاً الطرائفَ نفسها إلى أشخاص مختلفين، وأحياناً إلى الأشخاص ذاتهم، وبالكلمات ذاتها. من ذا الذي لا يُكرِّرُ نفسه من حين إلى آخر؟ إكراه التكرار. أليست كلمةً متعالمةً لقول إننا كائنات تخضع للعادة؟

يمدُّ إليّ المنحوتةَ لآخذها بين يديَّ، وفجأة يتركَّزُ كلُّ اهتمامي على هذا الشيء. وأفكِّرُ في هذه الظاهرة العجيبة: يمارسُ الناسُ الجنسَ منذ آلاف السنين. بطبيعة الحال، هذه ليست سوى إحدى ثوابت التاريخ الإنساني. الفعلُ ذاتُهُ، يتكرّر جيلاً بعد جيل.

أسألُ إدوارد إن كان في إمكاننا الذهاب لرؤية أفاريز البارثينون، لكنه يرفض. «ستكون صالاتُ العرض المفتوحةُ أمام الجمهور تعجُّ بالسيّاح. ثم إني قد وضعتُ لنفسي قاعدة ألّا أرى سوى شيء واحد عند كل زيارة لمتحف».

ثم يعود أدراجه.

تَحضُرني كلماتُ كارول يونسون. **كانت إيما تحكم على سلوك إدوارد بأنه معقول ما دامَت منخرطة في اللعبة، وما دامَت تقبل أن يُتَحَكَّم فيها.**

أتجمّدُ.

«إدوارد، أنا أرغبُ حقيقةً في رؤيتها».

ينظر إليَّ، محتاراً.

«طيب. لكن ليس الآن. سأنَظِّمُ ذلك مع المدير. سنعود عندما يكون المتحفُ مقفلاً...».

«لا، الآن»، أقولُ. «أريد أن أراها الآن».

لديّ انطباعٌ أني طفلة مزاجية. ترفعُ مساعِدةٌ، جالسةٌ إلى مكتبها، رأسَها وتعقد حاجبيها.

«ليكن»، يقول إدوارد.

يأخذني إلى القسم المفتوح أمام الجمهور في المتحف فنعبُرُ باباً آخر. يتجمهرُ الناسُ حول أعمالٍ معروضة، مثل أسماكٍ فوق شعب المرجان. يتّخذُ إدوارد سبيلاً وسط الجموع، وهو ينظر أمامه مباشرة.

«هنا»، يقول.

هذه القاعة أكثر ازدحاماً من سابقتها، مليئة بتلاميذ مدجّجين بالدفاتر ويثرثرون بالفرنسية. يوجد أيضاً آليو الثقافة الذين يتقدّمون على إيقاع الدليل الصوتي، والأزواج الذين يمسك بعضُهم بيد بعض ويذرعون الصالةَ طولاً وعرضاً، ودافعو عربات الأطفال، وحاملو حقائب الظهر، ومريدو «السيلفي». وأخيراً، خلف هذه الحشود، وراء سكة معدنية، فوق قاعدة حجرية، بعضُ أجزاءٍ منحوتةٍ مكسورةٍ والإفريزُ الشهير.

يا للخسارة. أحاول أن أتأمّلها كما ينبغي، دون أن أتمكّنَ من استعادة السِّحر الذي أحسستُ به وأنا أُمسِكُ بين يدَيّ هذه المنحوتة القديمة بقرون عديدة.

«كنتَ على حقّ»، أقولُ، بمسكنة. «الأمر رهيب».

يبتسمُ. «هذه الرخامات ليس لها أيّ أهمية، في جميع الأحوال. لولا وجود كل تلك القصة حول ملكيتها، لما أعارها أحدٌ أيَّ انتباه. بل، حتى المبنى الذي جُلِبَتْ منه، البارثينون، هو فضاء بلا طعم. والأكثر سخفاً، هو أنهُ أُقيمَ ليرمزَ إلى عظمة الإمبراطورية الإغريقية. من المنطق إذاً، أن تسرق منها أجزاءَها إمبراطوريةٌ أخرى طمّاعةٌ. هيّا بنا؟».

نَمُرُّ على مكتبه لأخذ حقيبة سفر صغيرة جلدية، ثم نتوقف عند بائع سمك حيث طلب إدوارد ما يُحَضِّرُ به حساء سمك. الرجل حائر. يوجد في القائمة سمك النازلي، لكنه كان مضطرّاً لتعويضه بسمك المونك. «بالثمن نفسه، طبعاً، سيدي. بينما عادة المونك أغلى ثمناً».

يهزُّ إدوارد رأسه.

«الوصفة تقتضي سمك النازلي».

«لا ذنب لي، سيدي. إذا لم يُصطد، لا يمكن أن أبيعه.

«تريد أن تقول لي أن النازلي لم يكن موجوداً نهائياً في السوق هذا الصباح؟».

«بأثمان خيالية».

«فَلِمَ لم تشتره إذاً؟».

تخفُتُ ابتسامةُ بائع السمك.

«المونك أفضل، سيدي».

«أنا طلبتُ النازلي. لقد خيّبتَ ظنّي. لن أعود أبداً».

يعود أدراجه ويغادر المتجر بخطى حثيثة. يهزُّ بائعُ السمك كتفيه ويعود إلى رفع شباكٍ، وهو يرسل نظرة مستغربة. أشعر بالاحمرار يعلو وجهي.

ينتظرني إدوارد في الشارع. «هيّا بنا»، يقولُ وهو يرفع يده ليشير لسيارة أجرة.

تقوم، في الحال، سيارةُ أجرة بنصف استدارة لتتوقف أمامنا. هذه إحدى مواهبه، أقول لنفسي. كأن السائقين يتربّصون به.

لم يسبق أن رأيتُهُ غاضباً ولا أعلمُ كم سيستمرُّ هكذا. غير أنه يشرع في الحديث عن أمر آخر، بلهجة هادئة، كأنَّ تلك المشادة لم تقع أبداً.

لو أن كارول كانت على صواب، ولو أن إدوارد كان معتلّاً اجتماعياً، ألم يكن يجب أن يكون الآن مستغرقاً في السّباب والصراخ؟ وهذا دليل آخر على أنها مخطئة في حقِّه.

يلتفتُ نحوي. «لديَّ انطباع أنكِ لا تُنصتين إليّ، جين. هل هناك ما يشغلكِ؟».

«آه. . . آسفة. كان ذهني مشغولاً».

يجب ألّا أسمح لحديثي مع المعالِجة النفسية أن يُفسِدَ عليّ اللحظةَ الحاضرة، أقول لنفسي. أشيرُ إلى حقيبة السفر. «إلى أين أنتَ ذاهب؟».

«فكّرتُ في أني يمكنني أن أقيم في بيتك».

في البداية أقول لنفسي إني لم أسمع جيداً.

«أن تقيم؟».

«إذا كنتِ تقبلين بي، طبعاً».

أنا مندهشة. «إدوارد. . .».

«سابق لأوانه؟».

«لم يسبق لي أن عشتُ في بيت واحد مع شخص ما».

«لأنكِ لم تجدي أبداً الرجل المناسب. لكنني أفهمكِ، جين، أشعرُ أننا متماثلان في مناحٍ معيَّنة. أنتِ متكتِّمة، ومستقلّة، وحتى باردة بعض الشيء. هذه من بين الأمور التي أُحبُّها لديكِ».

«آه حقّاً؟» أقولُ، بينما في الحقيقة أفكِّرُ: **هل أنا باردة بعض الشيء؟ وهل قال حقّاً «أحب»؟**

«ألا ترين أننا مصنوعان الواحد من أجل الآخر؟».

يضعُ يدهُ فوق يدي.

«أنتِ تجعلينني سعيداً. وأعتقدُ أني أستطيعُ أن أجعلكِ سعيدة أنتِ أيضاً».

«أنا سعيدة. أنتَ تجعلني سعيدة، إدوارد».

أبتسمُ لهُ، لأن هذه هي الحقيقة.

الأمس: إيما

حضر إدوارد ومعه حقيبة سفر جلدية صغيرة وسمك لتحضير حساء.

- السرّ في الصلصة، يُسِرُّ لي وهو يُرتِّبُ مكوِّنات الوصفة فوق منضدة العمل. يبخل الكثير من الناس بالزعفران.

لا أفهم ما يقصده بكلامه.

- هل أنتَ ذاهبٌ إلى مكان ما؟ أسألُ وأنا أنظر إلى الحقيبة.

- أجل. بمعنى ما. أو على الأصح، أصِلُ إلى مكان ما. إن كنتِ تقبلين بي، طبعاً.

- تريد أن تترك بعض أمتعتك هنا؟ أقول متفاجئة.

- لا، يجيبُ، متسلِّياً. هذا كلُّ ما لديّ.

الحقيبة رائعةٌ، مثلها مثل جميع ما يملك. الجلد ناعمٌ ولامعٌ مثل صهوة فرس. يشيرُ مُلصقٌ صغير، مطبوعٌ، تحت المقبضين إلى: **سوين أدينيي، صانع الحقائب. مُزوِّد العائلة الملكية**. أفتحُها. كل شيء في داخلها جيِّدُ الترتيب كأنك ترفع غطاء محرِّك السيارة. أُخرجُ الأمتعةَ حاجةً بعد الأخرى.

نصف دزينة قمصان من نوع كوم دي غارسون، بيضاء، مكوية

ومطوية بشكل كامل. ربطتا عنق من عند شارفيه. حاسوب ماك بوك إير. دفتر جلديٌّ من نوع فيورنتينا. حامل أقلام رصاص من فولاذ. آلةُ تصوير رقمية من صنف هاسلبليد. وغلاف من قطن، ملفوف، يحمل... لِنَرَ... ثلاثة سكاكين يابانية.

- لا تلمسيها، يقول إدوارد. إنها حادّة جدّاً.

أطوي الغلاف وأضعُ السكاكين جانباً. محفظة أدوات الحمّام. سترتان سوداوان من كشمير. ثمانية أزواج جوارب سوداء. ثمانية تُبّانات سوداء.

- هذا كلُّ شيء؟ أندهشُ.

- لديّ بعض الأشياء في المكتب كذلك. بدلة، أشياء من هذا القبيل.

- كيف تستطيع العيش بأشياء قليلة بهذا الشكل؟

- ماذا سأحتاج غير هذا؟ لكنكِ لم تُجيبي عن سؤالي، إيما.

- الأمر مفاجئ، أقولُ، على الرغم من أنني في أعماقي أقفزُ فرحاً.

- يمكنكِ أن تطرديني متى تشائين.

- لِمَ سأرغبُ في طردكَ؟ أنتَ الذي ستملُّ مني.

- لن أملَّ منك أبداً، إيما، يجيبُ بكلِّ جدّية. أعتقدُ أني أخيراً وقعتُ على المرأة المثالية.

- لكن لماذا؟ أسألُ.

لا أفهمُ. كنتُ أعتقدُ أن الأمر بيني وبينه، مجرّد علاقة من دون حواجز، مثلما كان يقول.

- لأنكِ لا تطرحين أسئلة أبداً، يمزح.

يعود ليُركِّزَ انتباهه على السمك.

- مدّي إليّ السكاكين، من فضلك.

- إدوارد؟

يتنهَّدُ بشكل مبالِغ.

- طيب. لأن فيك شيئاً ما، شيئاً حيّاً، يجعلني، أنا أيضاً، أشعرُ أني حيٌّ. لأنكِ مندفعة، ومنفتحة، وكل تلك الأشياء التي ليست فيّ. لأنكِ مختلفة عن جميع النساء اللواتي عرفتُهُنَّ. لأنكِ أعدتِ تأجيج رغبتي في الحياة. لأنكِ أنتِ كلٌّ ما أحتاج إليه. أيكفيكِ هذا التفسير؟

- يكفيني في هذه اللحظة، أُجيبُ، دون أن أتمكَّنَ من أن أمنع نفسي من الابتسام.

7. تعرضُ عليكِ صديقةٌ عملاً أنجزَتْهُ. تبدو فخورة به، لكنه عمل ضعيف. ماذا تفعلين؟

- تُقدِّمين لها رأيك، بصدق، وبرودة
- تقترحين تغييراً صغيراً لمعرفة ردّ فعلها
- تُغيِّرين الموضوع
- تُغمغمين تشجيعات غامضة
- تُهنِّئينها

الآن: جين

«لديَّ إحساس أن ما ترغبين فيه حقيقةً، هو الاعتذار»، تقول وسيطة المستشفى. امرأة متوسطة العمر، ترتدي سترة صوف رمادية، صاحبة سلوك ودودٍ ولهجة متعاطفة. «هذا هو جين؟ هل سيساعدُكِ اعترافُ الإدارة بما عانيتِ منه على حسن تقبّل الحِداد الذي أصابك؟».

يجلس الدكتور غيفورد في الطرف الذي يقابلني من الطاولة، شاحب الوجه، مرفوقاً بإداريٍّ من المستشفى ومحامٍ. تجلس الوسيطة ليندا في أقصى طرف الطاولة لتؤكّد حيادَها. وتجلسُ تيسا إلى جانبي.

أُدرِكُ، بشكل غامض، أن ليندا نجحت بجملة واحدة في تحويل اعتذارٍ ممكنٍ إلى مجرّد اعتراف بمعاناتي، مثل أولئك السياسيين الماكرين الذين يقولون إنهم آسفون إن كانوا قد ضايقوا أشخاصاً معينين.

تضعُ تيسا يدها فوق ذراعي لتشير لي أنها ستجيب بدلاً مني. «**الاعتراف**»، تقول وهي تضغط على هذه الكلمة، «من لدن المستشفى بأن أخطاء كان يمكن تفاديها قد ارتُكِبت، وأن هذه

الأخطاء قد ساهمت في وفاة إيزابيل. طبعاً نُرحِّبُ بمثل هذا الاعتراف. كأول خطوة».

تتنهّدُ ليندا. هل تفعلُ ذلك لمجرد تعاطف مهنيٍّ أم لأنها فهمَت أن بين يديها مسألة حرجة؟ يصعبُ الجواب.

«موقف المستشفى...»، تقولُ، «قَوِّمْ ما أقولُ إن أخطأتُ، ديريك... هو أنَّ إنفاق الأموال العامة، النفيسة، من أجل علاج المرضى، أفضلُ من تسوية المنازعات وأداء أجور المحامين».

تلتفتُ نحو الإداريّ، الذي يوافقُ بحركة من رأسه.

«أكيد»، توافقُ تيسا. «لكن لو أنكم وصفتم فحوص دوبلر لجميع النساء الحوامل اللواتي يأتين للزيارة، لم نكن لنقف هنا اليوم. وعوض ذلك، فَحَصَ أحدُهُم الأرقام واعتبر أن الأقلَّ كلفةً هو تأدية أجور المحامين ودفع التعويضات في جميع الحالات، قليلة العدد والمهمة، حيث كان بإمكان هذا الفحص تغيير الوضع. وما دامت منظماتٌ من قبيل **الأمل الجديد** لم تُفلِح في فضح انتهازية هذا الحساب اللاإنساني والشديد الكلفة، بالمال والوقت، لكي لا يظلَّ مربِحاً، فإن هذا الوضع سيستمرُّ».

الجولة الأولى لصالح تيسا، أقول لنفسي.

يأخذُ ديريك، الإداريُّ، الكلمةَ. «إن كان علينا أن نُوقِفَ السيد غيفورد، وهو ما سيتوجب علينا القيامُ به في حالة عرض القضية على القضاء، سنضطرُّ إلى تعويضه بطبيب مؤقت، وسيُحرَمُ مرضى آخرون من تجربة متخصِّص محترَم».

نُظِّمَ هذا الاجتماع بطلب من المستشفى، بمجرد أن وجّهَت إليهم تيسا طلباً رسمياً للحصول على ملفي الطبي. ومن الواضح،

أنهم كانوا ينتظرون إن كانت رسالتُهم المطَمئنة ستؤتي أكلها. إن مجرد كونهم حاولوا أن يتخلّصوا مني برسالة بسيطة، وأنهم لولا تيسا، لأفلحوا في ذلك، يجعلني أشعر بغضب يقارب غضبي من اختفاء إيزابيل غير المبرَّر.

«إذا انتهت القضية أمام المحكمة»، شرحَت لي تيسا عندما أتَت إلى هنا، «قد يُكلِّفهم ذلك، في الحقيقة، غالياً جدّاً».

«كيف ذلك؟»

أعلمُ أن التعويضات بالنسبة إلى وفيات المواليد غير الطبيعية هزيلة بشكل سخيف.

«ربما لن تكون التعويضات مرتفعة جدّاً، لكن هناك أيضاً الأضرار الجانبية. أنتِ كان لديكِ عمل مرتَّبُهُ جيِّدٌ. لو أن إيزابيل لم تَمُت، لكنتِ قد استأنفتِ عملكِ بعد رخصة الحضانة، أليس كذلك؟»

«بلى، بلا ريب. لكن...».

«والآن، أنتِ تعملين من أجل جمعية خيرية، بالحدّ الأدنى للأجور. إن حسبنا الفرقَ بالنسبة إلى راتبك السابق، فإننا نحصلُ على مبلغ لا بأس به».

«كان اختياراً من جانبي».

«اختيارٌ لم تكوني لتقومي به في ظروف مغايرة. لا تُقدِّمي لهم هدايا، جين. كلما كلَّفتِهِم غالياً، سيكونون أكثر ميلاً إلى تغيير أساليبهم».

أجدها رائعة. هذا غريب: نعتقد أننا نعرف الناس، وفي الحقيقة لا نعرفهم بتاتاً. في **الأمل الجديد**، كنتُ أعتقد أني أقتسم مكتبي مع امرأة مرحة وكلُّها حماس، دائماً مستعدّة للضحك وتبادُل

الطرائف. هنا، في قاعة الاجتماعات البالية هذه، أكتشفُ محارِبة محنَّكة تتصدّى لهجومات مُمَثِّلي المستشفى بذكاء.

«يبدو لي»، تستأنف تيسا كلامها، «أنكم تحاولون ممارسة ابتزازٍ على السيدة كافنديش بجعلها تعتقد أن مواليد آخرين سيموتون إن هي لم تتراجع عن متابعاتها». أسجِّلُ هذه الملاحظة. «سيكون من الأجدى أن تزيدوا من عدد الأطباء، بدل أن تنقصوا منه. على الأقل إلى أن تظهر نتائج التحقيق».

الوجوه التي تواجهنا مغلقة.

أخيراً، يأخذ الدكتور غيفورد الكلمة: «الآنسة كافنديش... جين. أحرصُ أولاً أن أقول لكِ إني آسفٌ حقيقةً لكل ما جرى. ثم، أودُّ أن أعتذر عن الأخطاء التي ارتكبت. كان يجب التدخُّل، هذا أكيد، لكن ذلك لم يحدث. لا يمكنني أن أؤكّد لكِ أن إيزابيل كانت ستكون على قيد الحياة لو أننا انتبهنا إلى المشكل قبل ذلك. لكن، من الأكيد، أنها كانت ستكون لديها حظوظٌ أكبر لتعيش».

يتوجّه بكلامه إلى الطاولة، وهو ينتقي كلماته بعناية، لكنه فجأة، يرفع رأسه وتلتقي عيناه بعينَي. عيناهُ محمرّتان من التعب. «كنتُ طبيبَ الحراسة الرئيس. أتحمَّلُ كاملَ مسؤولية ما حصل».

يلي ذلك صمتٌ طويل. يلوي ديريك، الإداريّ، وجهه ويرفعُ يديه نحو السماء، كأنه يقول: **هذه المرة، قُضِيَ علينا**. تتدخّلُ ليندا: «أعتقد أننا جميعاً في حاجة إلى شيء من الوقت للتفكير في كل هذا. وفي التطورات التي تحقّقت اليوم».

«كان الأمرُ مرهِقاً»، أقول لإدوارد بعد ذلك بفترة قصيرة. «لكن ليس للسبب الذي كنتُ أتوقَّعُهُ. تنبّهتُ، فجأة، إلى أني لو مضيتُ

بالأمر إلى غايته، سأُحطِّمُ المسيرة المهنية لذلك الرجل. بينما هو ليس مسؤولاً مباشراً عمّا حصل. أعتقد أنه في عمقه إنسان طيّب».

«ربما لو كان أقلَّ طيبة، ولو أن موظفيه يخشونه أكثر، لكانت المولِّدة قد راجعت نتائج الفحص».

«لا يمكنني أن أُدمِّرَهُ بحجّة أنه رئيس طيّب».

«ولِمَ لا؟ إن كان طبيباً ضعيفاً، فهو يستحق ذلك».

أعلمُ جيّداً، بطبيعة الحال، أن إنشاء بنايات مثالية مثل بنايات إدوارد، يقتضي أن يتصف المرءُ بنوع من القسوة. حكى لي كيف أنه، في فترة ما، حاربَ مدّةَ ستة شهور ضدّ مصالح العمران لكي لا يضطر إلى وضع لاقط الدخان في سقف مطبخ. انتهى الموظف إلى أن أُصيبَ بانهيار عصبي، وربح إدوارد القضية. لكنني أعتقدُ أنني لم أحبّ أبداً أن أُطيلَ التفكير في هذا الجانب من شخصيته.

فجأة، أسمعُ صوتَ كارول يونسون: **السلوك الكلاسيكي للمعتلِّ اجتماعياً النرجسي...**

«حدثيني عن تيسا»، يقول إدوارد وهو يصبُّ لنفسه خمراً. لاحظتُ أنه لا يتجاوزُ أبداً نصف الكأس. يقترحه عليّ، لكنني أرفض بحركة من رأسي.

«تبدو لي مندفعة»، يُعلِّقُ عندما أنتهي من وصفها.

«هي فعلاً كذلك. لا تسمح لأحد أن يتجرّأ عليها. لكنها أيضاً جدّ مسلِّية».

«وهي، كيف ترى الدكتور غيفورد؟».

«إنها واثقة من أن خطابه كان مكتوباً سلفاً»، أعترف.

هذا هو الاختلاف بين الخطأ الفردي والمسؤولية الجنائية الجماعية. جين، شرحَت لي فيما بعد أمام فنجانَي قهوة لاتيه

وبسكويت من ستاربكس. **بين خطأ طبيبٍ واختلالاتِ مؤسَّسةٍ. سيقومون بأقصى ما يستطيعون ليحتفظوا بإدارة المستشفى في معزلٍ عن هذه القضية.**

«القرارُ قرارُكِ الآن، إن كنتِ تريدين أن تتحوَّل طفلتُكِ المتوفّاةُ إلى أداةٍ من أدواتِ الحرب الصليبية الشخصية التي تقودها هذه المرأة»، يقولُ إدوارد، مفكِّراً.

أنظرُ إليه باندهاش.

«تعتقدُ أني يجب أن أتنازل؟».

«الحُكم يعود إليك، بطبيعة الحال. غير أن صديقتكِ تبدو مُصِرَّةً على خوض هذه الحرب مهما يكن الثمن».

أفكِّرُ. هذا صحيح: أنا واثقة من أني قد وجدتُ صديقةً في شخص تيسا. تُعجِبُني رفقتُها، لكن خصوصاً، يُعجِبُني الجانبُ العنيدُ فيها. أودُّ أن تُعجَبَ بي مثل إعجابي بها؛ وطبعاً، إن تراجعتُ عن هذه المعركة، أغامرُ أن أفقدها هي أيضاً.

أبعدَ إيما عن أصدقائها وعن أُسرتها...

«لا يطرح مشكلاً بالنسبة إليك؟».

«أكيد لا»، يجيبُ بكل استرخاء. «أريد أن تكوني سعيدة فحسب. آه، بالمناسبة، سأقوم بتغيير الأريكة».

«لماذا؟»

تروقني كثيراً هذه الأريكة الخفيضة الطويلة المصنوعة من كتّان حليبيّ اللون.

«بما أنني أعيشُ الآن هنا»، يشرحُ، «لاحظتُ أن هنا أشياء تحتاج إلى التحسين. أدوات المائدة، على سبيل التمثيل. لا أعرف أين كان عقلي عندما اخترتُ هذا الصنف. ثم إني أجدُ هذه الكنبة

دعوةً للكسل. بصراحة، من الأفضل أريكتان. ربما واحدة من نوع لوكوربوزييه LC3. وأخرى من نوع غوست لفيليب ستارك. سأفكِّرُ في الأمر».

لم يمرّ وقتٌ طويل على انتقال إدوارد للعيش معي، غير أني لاحظتُ اختلافاً، ليس في علاقاتي معه، ولكن في علاقاتي مع وَنْ فولغيت ستريت. بدل ذلك الإحساس بكوني في مشهد أمام جمهور خَفِيٍّ، صرتُ أعي حضورَ نظرة إدوارد المحيطة علماً بكل شيء، ويتشكّل لديّ الانطباعُ أننا أنا وهذا البيت إنما نحن جزء من عملية إخراج فريدة ومندمجة. أشعر أن حياتي صارت موضوع اهتمام متزايد، وأيضاً أكثر **جمالاً**، لأني أعلمُ أنه يراقبها. لكن لهذا السبب نفسه، أجد صعوبة متزايدة في الانخراط في العالم الخارجي، خلف هذه الجدران، في ذلك العالم حيث تعمُّ الفوضى والقبح. إن كنتُ أجدُ صعوبة بالغة في اختيار أدوات الطعام، فكيف سأستطيع أن أقرِّرَ هل يتوجب عليّ رفع قضية على المستشفى أم لا؟

«شيء آخر؟» أسأل.

يفكِّرُ إدوارد. «يجب أن تكوني أكثر انتباهاً عندما ترتّبين أدوات الحمّام الخاصة بك. هذا الصباح، لاحظتُ أنك تركت الشامبو من غير ترتيب».

«أعرف. نسيتُ».

«لا تكوني شديدة القسوة على نفسك. العيش بهذه الطريقة يقتضي الانضباط. لكن، أعتقد أنكِ فهمتِ جيداً، أن الجائزة كانت في مستوى التضحيات».

الأمس: إيما

كنتُ أخشى حصة تحديد الهوية. كنتُ أتخيَّلُ نفسي وجهاً لوجه مع ديون نيلسون، بينما أستعرض رجالاً مصطفين داخل حجرة صغيرة شديدة الإضاءة، مثلما يحدث في الأفلام. لكن، بطبيعة الحال، لم تعد الأمور تجري بتلك الطريقة في أيامنا هذه.

- أُقدِّمُ لكِ VIPER[1]، يقول لي المفتّش كلارك وهو يضع فنجانَي قهوة في جانبَي حاسوبه المحمول. اختصار **تسجيل إلكتروني لاستعراض الهوية بالفيديو**، أظنُّ ذلك. لكن إن شئتِ رأيي، فقد ارتأى أحدُهُم في وزارة الداخلية أن وضع تسمية جذّابة ستساعده في أن يُتبَنّى بسرعة. عموماً، نقوم بتصوير المتهم، ثم يستخدمُ الحاسوبُ برنامج تعرّف الوجه ليختار ضمن بنك المعلومات ثمانية أشخاص آخرين يشبهونه. في الماضي، كان تنظيم حصة تحديد الهوية يستغرق أسابيع. نبدأ؟

يُخرج وثائق من غلاف بلاستيكي.

- قبل أن نبدأ، يقول معتذراً، يجب أن توقِّعي مطبوعاً تشهدين فيه أنكِ لم تشاهدي المتَّهم إلا عند الاعتداء المفترَض.

---

(1) Video Identification Parade Electronic Recording.

- طبعاً، أقول، بفرح. ألديكَ قلم؟

- في الواقع إيما، يُضيفُ، يجب أن تكوني واثقة تماماً أنكِ لم تُبصريه نهائياً في المحكمة.

- لم يحدث ذلك وفق علمي، أجيبُ، وأندمُ في الحين على نطقي هذه الكلمات. إن كنتُ أؤكِّدُ أني أتذكّرُ نيلسون بما فيه الكفاية لأتعرَّفَ إليه بشكل رسمي، فهذا يعني أني سبق أن رأيتُهُ في مكان آخر. غير أنه من الواضح أن المفتّش كلارك لم ينتبه إلى سقطتي.

- أُصَدِّقُكِ، يقولُ. لكن يجب أن تعلمي، لأن هذا يمكن أن يُثار أثناء المحاكمة، أن المتَّهم يؤكِّدُ أنكما تبادلتما نظرةً عند نهاية الجلسة.

- كلام فارغ، أقول.

- ثم إن محاميته تزعُمُ أنه أخبرها بذلك. فالتفتَت ورأتكِ تمرّين قرب زبونها على مسافة تقلُّ عن خمسة أمتار.

أعقدُ حاجبَيّ.

- أستبعد ذلك، أقول.

- طيب. في جميع الحالات، فإن ذلك قد أغضبَ محاميته كثيراً. شكاية رسمية، بالإضافة إلى بلاغ حول... صحّة شهادة الشاهد، ويمكن أن يطرح هذا مشكلاً أثناء المحاكمة.

- «صحّة الشهادة»؟ تتهمني بالكذب؟

- أخشى ذلك. يمكن أن تحاول ربط هذا بحكاية النسيان. سأكون صريحاً معكِ، إيما. عندما يحاول محامي دفاعٍ ذكيٌّ العثورَ على ثقوب في حكايتكِ، فإن ذلك لا يكون تجربة مريحة. لكنها تؤدّي مهنتَها. ومن الخير للمرء أن يكون على حذر، أليس كذلك؟ التزمي بحكي ما وقع وستسير الأمور على ما يُرام.

* * *

أُوقِّعُ المطبوع، وأتعرّفُ بشكل رسميٍّ إلى نيلسون، وأعود إلى البيت ساخطة. سأتعرّضُ داخل المحكمة لهجوم محامية حريصة على تكذيب شهادتي. لديّ انطباعٌ رهيبٌ أنني بمحاولتي تلافي أخطاء الشرطة، إنما زدتُ الوضع تأزيماً.

غارقة في أفكاري، لا ألاحظُ في الحال صبيّاً فوق درّاجته BMX ينقصُ من سرعته ليسير بمحاذاتي. وعندما أنتبهُ إلى وجوده، أكتشفُ مراهقاً في الرابعة عشرة من عمره. أبتعدُ بصورة غريزية، وألتصقُ بالجدار.

يصعد فوق الرصيف بدراجته، بسهولة. أحاول أن أعود أدراجي، لكنه يتأخّرُ عني قليلاً فيسدُّ عليّ الطريق. يميلُ نحو الأمام. فأنقبِضُ في انتظار الاعتداء. ولكنه بدل ذلك، يُبدي لي أسنانه:

– سلام، أيتها العاهرة الكذابة. هذه رسالة من أجلكِ، يا وقحة. أنتِ تعلمين مصدرها.

وتقريباً بلا مبالاة، ينزل من الرصيف، ويقوم بنصف استدارة، وينطلق بدراجته، لكن ليس قبل أن يُحاكيَ طعنةَ خنجر في اتجاهي. «عاهرة!» يصيح ليزيد من وقع سبّهِ.

يجدني إدوارد منكمشة فوق الفراش، باكية. دون أن يقول شيئاً، يأخذني بين ذراعيه ويضمّني إليه إلى أن أهدأ وأتوقف عن الارتعاد لأتمكّن من أن أحكي له ما حصل.

– كان يريد أن يُخيفكِ فحسب، هذا كلُّ شيء، يهمسُ. هل أعلمتِ الشرطة؟

أهزُّ رأسي، دون أن أتوقف عن البكاء. تحدّثتُ إلى المفتّش

كلارك بعد عودتي مباشرة، وأغفلتُ متعمِّدة إخباره أنه وصفني بالكذابة. كان يعرضُ عليّ صوراً لشركاء نيلسون، لكن لا بدَّ أن هذا الأخير قد بعث رسولاً غير معروف لدى مصالح الشرطة.

- في انتظار ما يؤول إليه التحقيق، إيما، أعطيكِ رقم هاتفي المحمول. اتصلي بي إن شعرتِ أنكِ مهدَّدة. سنرسلُ شخصاً في الحال.

أنقلُ هذه المعطيات إلى إدوارد.

- تعتقد الشرطة أن ذلك كان مجرد محاولة لإخافتك؟ يقول. وإذاً، سيتوقّفُ كلُّ شيء إن قرّرتِ التراجع عن الشهادة؟

أنظر إليه مندهشة.

- تقصدُ. . . إن تركتُ نيلسون يُفلِتُ بجلده؟

- ليس هذا ما أنصحُكِ بفعله تحديداً. هذا مجرد اختيار. إذا كنت تريدين التخلّصَ من كل هذا الضغط. يمكنكِ أن تشطبي بخطٍّ على كل هذا، ولن تكوني بعد ذلك مرغمة على التفكير في ديون نيلسون.

يربِّتُ بلطف وحنان على شعري ويُثبِّتُ خصلةً خلف أذني.

- سأذهبُ لأحضِّرَ شيئاً نأكلُهُ، يقولُ.

الآن: جين

أظلُّ جالسةً من دون حراك، مستديرة نحو النافذة التي يتدفَّقُ منها الضوء.

الصوتُ الوحيد هو صوتُ الخدش الخفيف الذي يصدر عن قلم رصاص إدوارد وهو يرسمني فوق دفتره المجلَّد الذي لا يفارقُهُ أبداً، مثل حامل أقلام الرصاص الفولاذي، الثقيل كرصاصة. يرسمُ ليريح أعصابه. أحياناً، يُطلِعُني على النتيجة. لكن في غالب الأحيان، ينتزعُ الورقةَ متنهِّداً ويذهبُ لرميها في قمامة تدوير النفايات المدمَجَة تحت منضدة المطبخ.

«ما الذي لم يكن يُعجبكَ في ذلك الرسم؟»، سألْتُهُ ذات يوم.

«لا شيء. هذا تمرينٌ جيّد، أن ترميَ أشياء تُعجبك ولكن لست في حاجة خاصة إليها. وأيُّ رسم، مهما يكن، يصيرُ غيرَ مرئيٍّ دقائق بعد عرضه».

قبل هذا، كنتُ سأجدُ هذه الملاحظة غريبةً، بل مضحكة قليلاً. لكنني أعرف الآن إدوارد بشكل أفضل. وأجدني نوعاً ما متّفقة مع رأيه. الكثير من الأشياء التي كانت تبدو لي مؤلمة في السابق، صارت في طريقة عيشي الجديدة، عاديةً. هكذا صرتُ أخلعُ حذائي

ما أن ألجَ ردهة وَنْ فولغيت ستريت، من دون تفكير. أُرتِّبُ توابلي ترتيباً أبجدياً، مثلما يحب، وأعيدها إلى مكانها بعد استعمالها، بسهولة. أطوي قمصاني وسراويلي وفق طريقة دقيقة تعلّمتُها من غورو يابانية ألّفت جملةَ كتب في الموضوع. وبما أني أعلمُ أن إدوارد يجدُ صعوبة في النوم إن استعملتُ الحمّام بعده، في حال ما إذا ظلّت منشفةٌ مرميّةً فوق الأرض، فإني أنشرها بعد كل استحمام وأعود للاعتناء بها إلى أن تجفّ. الفناجينُ والأواني أغسلها، وأمسحها، وأُرتِّبُها توّاً بعد استعمالها. لكلِّ شيء مكانٌ محدَّد، والأشياء التي لا تجدُ لها مكاناً هي أشياء زائدة، ومن ثمَّ تستحقُّ أن تُرمى. اكتسبَت حياتُنا المشتركةُ طمأنينةً تطبعُها النّجاعةُ، سلسلةٌ من الطقوس البَيْتِيَّةِ المُريحة.

إدوارد بدوره يُقدِّمُ تنازلات. لا يوجد في البيت رفٌّ واحدٌ، لكنه يتسامح مع وجود كومة كتب في الغرفة، إنما يجب أن تكون كُتباً من الحجم الكبير، ومرتّبة بشكلٍ جيد. عندما تشرعُ الكومةُ في الميل، أراهُ يعقد حاجبَيه أثناء ارتداء ملابسه.

«عُلُوُّها فاقَ الحدَّ؟».

«ربما، قليلاً».

لا أستطيع أن أرميَ كُتباً، ولو من أجل إعادة تصنيعها، بَيْدَ أن متجر الكتب المستعملة في هندون هاي ستريت يكون دائماً سعيداً بالحصول على هدايا ممتازة، لم تُفتَح صفحاتُها إلا قليلاً.

نادراً ما يقرأ إدوارد من أجل المتعة. ذات يوم، سألتُهُ عن السبب، وأجابني أنه يجد صعوبة في قراءة كتب لأن الكلمات ليست مطبوعة بشكل متناظر فوق الصفحتين.

«هذه مزحة؟ لا أعرف متى تكون مازحاً».

«لِنَقُلْ أن فيه عشرة بالمئة من المزاح».

أحياناً، يتحدّثُ بينما يرسمُ، أو بالأحرى يُفكِّرُ بصوت عالٍ، وتلك هي اللحظات النفيسة. لا يحبُّ أن يُسأل عن ماضيه، لكنه لا يتهرّبُ من الموضوع عندما يعرضُ في الحديث. علمتُ أن والدتَهُ كانت امرأة ذات عقلٍ غير منظَّم وفوضويّ؛ لم تكن مدمنة كحول حقيقية، ولا مدمنة عقاقير، وكان في إمكان طفلٍ آخر عاش طفولة إدوارد نفسها أن يُفلت من دون آثار، لكن حساسية معيّنة أو ميلاً عكسياً قادهُ إلى طريق آخر. وبدوري، أحدِّثُهُ عن والدَيّ، وعن متطلّباتهما التي لا تنتهي، وعن ذلك الأب الذي كان يصعُبُ عليّ إرضاؤه، ويحثُّني على مضاعفة جهودي، وعلى أن أتحسَّنَ قصد إحراز جوائز أكثر، وعن تلك العادات، القائمة على الاجتهاد والمواظبة، التي رافقتني طوال حياتي. قرّرتُ أننا متكاملان، أنا وهو. لا يستطيع أيٌّ واحد منّا أن يقبلَ بشريك يرضى بالرداءة.

انتهى من رسمه. يفحصُهُ للحظاتٍ، ثم يطوي الصفحة دون أن يُمزِّقها.

«أستحقُّ أن تحتفظ بي هذه المرة؟».

«إلى حدِّ الآن».

«إدوارد...».

«نعم، جين؟».

«بعض الأمور التي فعلناها في الليلةَ السابقة تُضايقني».

يشرعُ في رسمٍ آخر. يتأملُّ ساقَيّ من فوق رأس قلم الرصاص، وهو يُضيّق عينَيه.

حركاتُ ذهاب وإياب القلم واضحة؛ كأنها إبرة جهاز قياس الزلازل في يوم هدوء مسطّح.

«يجب أن تكوني أكثر دقّة، جين».

«العنف».

«واصلي».

«عموماً، كلُّ ما يُؤلم. القوة، والإكراه، والحركات التي تُخلِّفُ آثاراً فوق الجلد، وأن يُجذَبَ شعري. . . إلخ».

يتجمّد القلمُ فوق الورقة.

«أأنتِ بصدد وضع قواعد لي؟».

«أجل، نوعاً ما. حدودٌ، على الأقل. لكن الأمر يسير في الاتجاهَين معاً، بطبيعة الحال. إن كان لديكَ ما تقولهُ، هيّا».

«أريد أن أقول إنك امرأة رائعة جدّاً فحسب».

يعود للاهتمام برسمه.

«على الرغم من أن إحدى أذنيكِ أكبر من الأخرى».

«هل كانت موافقة؟».

«من تقصدين؟».

«إيما».

أشعرُ أني أخطو في حقل ألغام، لكن الأمر أقوى مني.

«هل كانت موافقة؟»، يُكرِّرُ. «هذه طريقة مهمة لتقديم الأشياء. لكنني لا أتحدّثُ أبداً عن عشيقاتي السابقات. تعلمين هذا».

«أعتبرُ هذه الإجابة مثل نعم».

«يمكنكِ أن تعتقدي ما تشائين، بشرط أن تتوقفي عن تحريك رجلكِ بهذه الطريقة».

تلقَّينا، أثناء دراستي لتاريخ الفنّ، درساً حول الطُّروس، تلك الرُّقوق التي تعود للعصر الوسيط، والتي كانت، لشدّة غلائها، تُفركُ

ليُمحى النصّ بعد قراءته، ويعاد استعمالها، بحيث كان يمكن تمييز النص السابق تحت الجديد. وفي وقت لاحق، استعمل فنّانو النهضة كلمة Pentimenti، ومعناها تَوبة، للحديث عن تلك الأخطاء أو التحويرات التي كانت مغطاة بطبقة من الصباغة، وتعود للظهور سنوات أو قروناً بعد ذلك، بفعل التعرية، فتسمح ببروز مختلف نُسخ اللوحة.

أحياناً، يكون لديَّ انطباع أن هذا البيت -وعلاقتنا داخل هذا البيت، علاقتنا به- هو مثل طِرْسٍ أو Pentimento[1]، وأننا حتى لو اجتهدنا في أن نرسمَ فوق إيما ماتيوس، فإنها لا تني تبرزُ من جديد، بخطى صامتة: صورة غامضة، وابتسامة مُلغزة، تتسلَّلُ في زاوية من الإطار.

---

(1) مفرد كلمة Pentimenti. (المترجم)

الأمس: إيما

يا إلهي.

شظايا زجاج تنتشر فوق الأرضية. ثيابي ممزَّقة. الأغطية اقتُلعت من فوق السرير. لديَّ دمٌ فوق فخذي، لا أدري مصدره. في إحدى زوايا الغرفة، توجد قنينة مكسورة وأطعمة مُداسة.

أحسُّ بألمٍ في أجزاء من جسدي لا أريدُ حتى التفكير فيها.

ينظرُ أحدُنا إلى الآخر مثل ناجيَين من زلزال أو انفجار، كأننا استعدنا وعيَنا للتوّ.

تتفحّصُني عيناه. يبدو مصعوقاً. يقول: إيما، أنا... وتموتُ جملتُهُ. فقدتُ السيطرة، يهمسُ.

- لا بأس، أقول. لا بأس. أُردِّدُ هذه الكلمات، مثلما نصنع لتهدئة حصان نافر.

وأضيفُ: لم تكن وحدك.

كلُّ هذا انطلقَ من لا شيء تقريباً. منذ انتقل إدوارد للعيش هنا، أجتهدُ في أن يكون كلُّ شيء جيّد الترتيب، لكن أحياناً، يُجبرني ذلك على أن أدُسَّ أشياء في الخزائن قبيل وصوله. هذا المساء، فتحَ درجاً واكتشف أنه مليء بالأواني المتّسخة أو غير ذلك. قلتُ له إن

الأمر ليس خطيراً، وحاولتُ أن أستدرجهُ إلى الفراش، بدل أن يغسل الأواني.

وعندئذ. . . بام.

ركبهُ الغضب.

أقتربُ منه، وأُردِّدُ الكلمات التي صحتُ بها قبل قليل.

- أجل، بابا. أجل.

8. أحاولُ أن أقوم بالأشياء على أحسن وجه، حتى عندما لا يلاحظ أحد.

نعم ❍ ❍ ❍ ❍ ❍ كلا

الآن: جين

«يجب أن أنصرف».

«الآن؟».

انتقل إدوارد للعيش هنا منذ أسابيع قليلة فحسب. نحن سعيدان معاً. أعلمُ ذلك في قلبي، ولكن أيضاً بفضل التقويمات التي أجراها في الوقت نفسه الذي أجريتُها. مجموعُهُ يبلغ ثمانية وخمسين، ومجموعي أعلى منه قليلاً -خمسة وستين-، غير أن هذا تقدّمٌ ملموس بالنسبة إلى البداية.

«يحتاجون إليّ في ورشة. يثير المخططون مشاكل. يبدو أنهم يرفضون أن يفهموا أننا لن نُسلِّمهم البنايات ما أن ينتهي بناؤها ليصنعوا بها ما يشاؤون. الأمرُ ليس أبداً مسألةَ آجر وإسمنت. يتعلّق الأمرُ ببناء نوع جديد من المجتمع. حيث سيكون للناس مسؤوليات في حجم الحقوق».

يشيرُ إلى المدينة الإيكولوجية التي تواصِلُ الجمعيةُ بناءها في كورنوُل. نادراً ما يتحدّثُ إدوارد عن عمله، لكن وفق ما سمعتُهُ، نيو أوستل هو صراع العمالقة، ليس بسبب كبر الورشة فحسب، ولكن أيضاً بسبب التلاعبات والضغوط الصادرة عن المخططين، منذ

البداية. يشكُّ إدوارد في أنهم إنما اختاروه ليُضفيَ اسمُهُ بريقاً على مشروعٍ مثير للجدل، وأنهم يقودون حملة إعلامية ضدّه لوضعه تحت الضغط وإجباره على إضافة مساكن، وتليين القواعد، لتحقيق مردودية أكبر. أصبحت عبارة «مونكتاونز (Monktowns)[1]» للإشارة إلى مجتمعات متقشِّفة، في بساطة الأديرة، مزحةً منتشرة.

«هل تتذكر ما قلتَهُ لي عندما استقبلتني من أجل المقابلة؟ عليّ أن أتوجّهَ إلى زبائنك لأحدِّثهم عن تجربتي في هذا البيت. إذاً، سأكون سعيدة بأن أقوم بذلك، إن كان هذا يمكن أن يساعدك».

«شكراً. لكن لديَّ جميع النتائج».

يرفعُ حزمة أوراق.

«وبمناسبة هذا الموضوع، جين. يشير Housekeeper إلى أنكِ بحثتِ عن معلومات حول إيما ماتيوس».

«آه. مرّةً أو ربما مرّتين، أجل».

في الحقيقة، قمتُ بجميع أبحاثي في العمل، أو باستعمال واي فاي الجيران، لكن أحياناً، في آخر المساء، لم أكن شديدة الحذر واستعملتُ اتصالَ إنترنت وَنْ فولغيت ستريت.

«أهذا يُزعجكَ؟».

«أعتقدُ أن بحثك لن يقود إلى شيء جيد، هذا كلُّ شيء. الماضي انتهى. انسي كلَّ هذا، اتفقنا؟».

«إن شئتَ».

«عديني بذلك».

---

(1) لعبٌ بالكلمات حول اسم مونكفورد، حيث مونك (Monk) تعني راهباً. (المترجم)

لهجتُهُ رقيقة، لكن نظرته حازمة.

«أعدكَ بذلك».

«شكراً».

يضعُ قبلة فوق جبيني. «سأتغيّبُ لبضع أسابيع، ربما أكثر قليلاً. لكنني سأعرف كيف أجعلك تسامحيني عند عودتي».

الأمس: إيما

في مقرِّ عملي، أقوم ببحث في الإنترنت حول «إليزابيث مونكفورد» وأُخزِّنُ الصور على حاسوبي. لستُ متفاجئة من اكتشافي أن زوجة إدوارد كانت تشبهني بعض الشيء. يختار الرجالُ دائماً صنف النساء ذاته. والنساء يفعلن الأمر نفسه، طبعاً. لكن اهتمام النساء يكون عموماً بالشخصية أكثر من الشبه الفيزيقي.

كان سايمن انحرافاً، أنتبهُ إلى ذلك الآن. الرجال الذين يجذبونني حقيقة، هم الرجال من طينة إدوارد. ذكور مُهَيْمِنُون.

أفحصُ الصُّور بعناية. كانت إليزابيث مونكفورد ذات شعر أقصر من شعري. يمنحها هذا ملمحاً فرنسياً، ذكورياً.

أذهبُ إلى المرحاض، وأقف أمام المرآة، وأرفعُ أهدابي بيدٍ، وبالأخرى أُخفي شعري في عنقي. هذا يروقني. يضفي شبهاً بأودري هيبورن. ويمنح العِقد بروزاً أكبر.

أُحِسُّ بركبتَيّ ترتعدان وأنا أتساءلُ إن كان الأمرُ سيروق لإدوارد كذلك.

إن يمقت هذا، أو يغضب، سأكون على الأقل قد أثرتُ ردَّ فعلٍ.

وماذا لو غضب حقاً؟ يهمسُ صوتٌ بداخلي. أجل، بابا. أجل.

أُديرُ رأسي يميناً وشمالاً. يبدو عنقي أكثر رقّةً وهذا يُعجِبُني. سيستطيع إدوارد أن يضغطه في يده. لا أزالُ أُميِّزُ العلامات التي خلّفَتها أصابعُهُ في المساء السابق.

تدخل أماندا إلى المرحاض بينما أقف متأمّلة صورتي في المرآة. توجِّهُ إليّ ابتسامةً، لكنها تبدو متعبةً، ومتوتِّرة. أرخي شعري.

- هل أنتِ بخير؟ أسالها.

- لستُ على ما يرام، تقولُ.

ترشُّ وجهها بالماء.

- المشكل عندما تعملين في مقرٍّ واحد مع زوجك، تتنهّد، هو أنكِ لا تجدين أيَّ مهربٍ عندما تسوء الأمور من جميع الجهات.

- ما الذي حدث؟

- أوه، ما يحدث دائماً. يخونني. مرة أخرى.

تُجهشُ بالبكاء وتنتزعُ منشفات ورقيةً من الموزِّع لتمسح عينَيها.

- أخبركِ بذلك؟

- لا أحتاجُ إلى أن يُخبرني. عندما عاشرتُهُ أوّل مرة كان لا يزالُ متزوِّجاً بباولا. كان عليَّ أن أُدرِكَ أنه لن يكون وفيّاً أبداً.

تتطلّعُ إلى نفسها في المرآة وتحاول إصلاح ما فسد.

- يذهبُ إلى الملاهي الليلية مع سايمن، تقول. لكنني أفترضُ أنك تعلمين هذا. منذ أن انفصلتُما، يحلمُ سول بأن يستردَّ حرية العزوبة. والمضحك في كل هذا، أن سايمن لا يفكر سوى في شيء واحد: أن يعود للعيش معك.

تُقابِلُ نظري في المرآة.

- أتصوّرُ أن الأمر لن يحدث، هيه؟

أنفي بحركة من رأسي.

- يا للخسارة. يعبُدُكِ، أتعلمين.

- المشكل، أقولُ، أنني كنتُ قد مللتُ من أن أُعبَدَ، خصوصاً من لدن خَرِعٍ مثل سايمن. ما الذي ستفعلينه فيما يخصُّ سول؟

تهزُّ كتفيها باستسلام.

- لا شيء، أفترضُ. ليس في الوقت الحاضر على الأقل. ليس الأمرُ مثلما لو أن له علاقة. أنا واثقة أنها مجرد نزوات عابرة، عندما يُغالي في الشرب. لا بدَّ أنه يفعلُ ذلك ليُثبت لسايمن أنه لا يزال قادراً على معاشرة الفتيات، هو أيضاً.

عندما أفكِّرُ في أن سايمن يمكن أن يعاشر نساء أخريات، أشعر بوخز غيرة. أطرُدُ هذا الإحساس. لم يكن مخلوقاً من أجلي.

- متى سنلتقي أخيراً بإدوارد؟ تسألُ أماندا. أستعجِلُ أن أرى إن كان بمثل الروعة التي تصفين.

- ليس الآن. سيسافر غداً. ليهتمَّ بالمشروع الضخم الذي بدأهُ في كرونوُل. هذه آخر أمسية لنا معاً قبل سفره.

- هل خطّطتُما لشيء خاص؟

- أجل، نوعاً ما، أقولُ. سأعملُ على قصِّ شعري.

الآن: جين

ينبغي أن يكون الأمرُ مختلفاً في غياب إدوارد. لكن في الحقيقة، يوجد الكثير منه في هذا البيت لدرجة أني أشعر بحضوره حتى عندما لا يكون هنا.

غير أنه يروقني أن أستطيع وضع كتاب في مكان بينما أَطبُخُ، ثم أن أستردَّهُ بعد ذلك لأقرأ وأنا آكلُ. أن أستطيع التقاط الفاكهة من سلّة موضوعة فوق منضدة «حجرة الطعام». ويروقني كذلك أن أتجوّلَ في البيت بقميص، من دون حمالة الصدر، متحرّرة من أن أكون أنا أو وَنْ فولغيت ستريت في أحسن مظهرٍ، بشكل دائم.

ترك لي ثلاثة تشكيلات من أدوات المائدة لأجرّبها: بيانو 98، من تصميم رينزو بيانو، وسيتيريو 98، من توقيع أنتونيو سيتيريو، وكاسّيبيا للويجي كاسّيبيا دومينيوني والإخوان كاستيغليوني. أشعر بالفخر لأنه يدعوني إلى المشاركة بهذه الطريقة، لكنني أُخَمِّنُ أن هذا نوعٌ من الاختبار، ليرى إن كان حكمي سيناسبُ حكمه.

شيئاً فشيئاً، يحصلُ لديّ الوعيُ بأن شيئاً ما يشغلني. مثلما أن إدوارد لا يستطيع أن يتغافل عن ملعقة صغيرة تائهة أو كومة كتب غير

مستقيمة، فإن عقلي الواعي، والمنظَّم، يرفضُ أن يتجاهلَ لغزَ موت إيما ماتيوس.

أجتهد ما في وسعي لأقاوم. قدّمتُ وعداً. غير أن وسواس ذهني يزداد إلحاحاً. ثم إن هذا الوعد الذي انتزعه مني يجهل أن هذا اللغز يُشكِّلُ عائقاً أمام حميميّتنا، وأمام كمال حياتنا المشتركة الهادئة. بصراحة، ما الفائدة من انتقاء الشوكة المثالية -وأنا في هذه اللحظة، أميلُ إلى اختيار أدوات بيانو ذات المنحنيات الحسّية، والثقيلة- إن كان هذا الظلُّ الشّنيع، والفوضويّ، القادم من الماضي، يُحلِّقُ فوقنا؟

البيتُ يريد أن أعرف، أقول لنفسي، لكن سرّاً. وعندما سأدفنُ تلك الأشباح، لن أعود إلى إيقاظها أبداً. حتى إدوارد لن أحدِّثه عمّا اكتشفتُهُ.

وصفت كارول يونسون إدوارد بمعتلٍّ اجتماعي نرجسيّ. أبدأ إذاً بالبحث عن معنى هذا حقيقة. وفق المواقع النفسية المختلفة التي راجعتُها، فإن المعتلّ الاجتماعي يتميّزُ بـ:

جاذبية سطحية

الإحساس بأن كل شيء يعود إليه

كذب مرضيّ

سريع الملل

يبدو مناوِراً

لا يشعر بالندم

تنويعات مشاعره محدودة

الأفراد الذين يعانون من اضطرابات نرجسية:

يخالون أنفسهم أسمى من الآخرين
يُلحّون من أجل أن يحصلوا دائماً على الأفضل
أنانيون ومُدَّعون
يقعون في الغرام بسهولة، ويُعلون من مقام المحبوب،
ثم ينتقدونه بكل سهولة

كلُّ هذا غلط، أقولُ لنفسي. بالتأكيد، إدوارد مختلف، لكن لأنه يتابع هدفاً، وليس لأنه يشعر أنه متفوِّقٌ على الآخرين. لا تقوده ثقتُهُ في نفسه إلى التفاخر أو محاولة جذب الانتباه. ولا أعتقد أنه يكذب، فالنزاهة أمرٌ شديد الأهمية بالنسبة إليه.

القائمة الأولى هي الأقرب إلى الحقيقة، لكن هنا أيضاً لا يصدقُ الأمر. فالجانب المتحفِّظُ لدى إدوارد، وكثرة انشغاله، سيكون دليلاً على غياب المشاعر. في الحقيقة، لا أعتقد ذلك. بما أني عايشتُهُ، ولو لفترة قصيرة، يمكن أن أقول إنه...

أبحثُ عن الكلمات المناسِبة أكثر.

كأنه منغلقٌ على ذاته. عانى في السابق وكان ردُّ فعله بأن احتمى خلف حواجز، في عالم مثاليّ، منظَّم، خلقَهُ هو بنفسه.

هل يعود الأمرُ إلى طفولته؟

إلى موت زوجته وابنه؟

أو حتى إلى موت إيما ماتيوس؟

أم أن الأمر يتعلّق بشيء آخر، لم أُخَمِّنْهُ بعد؟

مهما يكن السبب، أنا مندهشة من أن تخطئ كارول إلى هذا

الحدّ في الحكم على إدوارد. لكنها، بالطبع، لم يسبق لها أن التقت به. تثقُ في ما حَكَتْهُ لها إيما.

وهذا يعني أن إيما، بدورها، كانت مخطئة في موضوع إدوارد. أو قد تكون إيما خدعَت معالجتها النفسية متعمِّدة، وهي فكرة تردُ على ذهني فجأة. لكن من أجل أيِّ غاية؟

آخذُ هاتفي وأبحثُ عن رقم.

«هامبستيد العقارية، في الاستماع»، يقول صوت كاميلا.

«كاميلا، أنا جين كافنديش».

صمتٌ قصير، ما تحتاج إليه من وقت لتتذكّرني.

«آه، نهارك سعيد جين. كل شيء على ما يرام؟».

«على أحسن حال. لكنني اكتشفتُ قبل قليل في علِّيّةِ البيت أمتعةً ربما كانت في ملكية إيما ماتيوس. هل أجدُ معكِ عنوان الرجل الذي انتقل معها إلى هنا، سايمن ويكفيلد؟».

«آه»، تبدو كاميلا متشكِّكة. «أرى أنكِ على علمٍ بِ... حادث إيما. في الواقع، حصلنا على وَنْ فولغيت ستريت مباشرة بعد ذلك. الوكالة التي كانت تهتمُّ بالبيت فقدَت العَقدَ بعد التحقيق. لذلك ليس لي أي معلومات عن المكترين السابقين».

«من كان الوكيل في تلك الفترة؟».

«مارك هوارث وستوبس. يمكنني أن أرسل إليك رقم هاتفه برسالة نصية».

«شكراً». شيءٌ ما يدفعني إلى أن أضيف: «كاميلا... تقولين إن وكالتكم حصلت على وَنْ فولغيت ستريت منذ ثلاث سنوات. كم عدد المكترين الذين تعاقبوا على السّكن هنا منذ ذلك الوقت؟».

«باستثنائك أنتِ؟ اثنان».

«لكنك، كنتِ تقولين إن البيت ظلَّ فارغاً مدة عامٍ تقريباً».

«هذا صحيح. المكترية الأولى كانت ممرضة: صمدَت خمسة عشر يوماً. الثانية، ثلاثة شهور. ذات صباح، عند وصولي إلى الوكالة، اكتشفتُ شيكاً بقيمة الكراء تحت الباب، مرفقاً برسالة تقول إنها إن بقيَت يوماً آخر، ستُصابُ بالجنون».

«كان الأمر يتعلق بامرأتين؟».

«أجل. لماذا؟».

«ألا تجدين هذا الأمر غريباً؟»

«لا، ليس حقيقةً. ليس أغرب من كلِّ ما يرتبط بهذا البيت. لكنني سعيدة أنكِ بخير..».

تتركُ جملتها معلَّقةً كأنها تدعوني إلى أن أُناقِضَ ما تقوله. لا أقول شيئاً.

«طيب، إيه حسن، إلى اللقاء جين».

الأمس: إيما

يغادر على مضض. تظلُّ حقيبة السفر سوين أدينيي تنتظر فوق الطاولة بينما يتناول آخر وجبة فطور.

- لن يطول غيابي، يقولُ. سأعود لأقضيَ ليلة أو ليلتين هنا ما أن يُتاح لي ذلك.

يُلقي نظرة أخيرة على فضاءات البيت العارية والشاحبة.

- سأفكِّرُ فيكِ، يقول. يشير إليّ بإصبعه: وأنتِ تلبسين بهذه الطريقة. وتعيشين بهذه الطريقة. وفق الروح التي صُمِّمَ بها هذا البيت.

أرتدي قميصاً من قمصانه ماركة كوم دي غارسون وسروالاً من سراويله القصيرة السوداء. أجدها تلائمني جيداً. بيتٌ مينيمالي، وملابس مينيمالية.

- أصبحتُ مهووساً بك بعض الشيء، إيما، يُضيفُ.

- بعض الشيء فقط؟

- قد يُساعدنا هذا الفراقُ على التحسّن.

- لماذا؟ لا تريد أن تكون مهووساً بي؟

تقعُ عيناه على عنقي، على قَصّة شعري القصير الجديدة، يكاد يكون شديد القصر بحيث لا يستطيع أن يقبض عليه عندما يجامعني.

- مظاهر هوسي لا تكون صحيّةً أبداً، يقول بصوت خفيض.

بعد انصرافه، أُشعِلُ حاسوبي.

آنَ الأوان لأعرف المزيد عن السيد مونكفورد الغريب.

في الحقيقة، عنَّت لي فكرةٌ، بسبب طريقة ردِّ فعله مساءَ البارحة عندما اكتشف قَصَّةَ شَعري الجديدة. فكرة شديدة الحمق لدرجة أني أجد صعوبة في تصديقها أنا نفسي.

- السيد إليس؟ توم إليس؟

يلتفتُ نحوي رجلٌ، عندما يسمع صوتي. يرتدي بدلة، وخوذة صفراء، ويظهر على محيّاه عدمَ الرضا.

- أنتِ في ورشة، يقولُ. لا يحقُّ لكِ الدخول.

- اسمي إيما ماتيوس. اتصلتُ بمكتبك، وقيل لي يمكنني أن أجدك هنا. أريد أن أقول لكَ كلمة فحسب.

- حول أي موضوع؟ باري، سألتحقُ بكَ حالاً، يقول للرجل الذي كان يتحدث إليه. يهزُّ هذا الأخيرُ رأسهُ ويعود إلى داخل إحدى البنايات غير المكتملة.

- إدوارد مونكفورد، أقولُ.

يتجمّدُ.

- ماذا عنه؟

- أحاول أن أكتشف الذي جرى لزوجته. لأنني أعتقد أنه يمكن أن يحدث لي الأمرُ نفسُهُ.

أفلحتُ في جذب انتباهه. يأخذني إلى مقهى قريب من الورشة، محلّ قديم حيث يلتهمُ عمّالٌ، يرتدون صدرياتٍ عاكسة، صحون بيضٍ وأطباقَ فولٍ.

العثور على العضو المؤسِّس الرابع لشركة مونكفورد لم يكن أمراً يسيراً. تمكّنتُ أخيراً من الحصول في الإنترنت على مقال قديم في **مجلة الهندسة**. يقف أربعة شباب حاصلون على الدبلوم بثقة في صورة قديمة بالأسود والأبيض. كان من الواضح، منذ تلك الفترة، أن إدوارد يفرض نفسه قائداً طبيعيّاً للمجموعة. يقف عاقداً ذراعيه، هادئاً، إلى جانبه إليزابيث وديفيد تييل الشديد النحافة، والمتميِّز بقَصَّةِ ذيل الحصان. كان توم إليس يقف إلى اليمين، منعزلاً بعض الشيء عن الثلاثة الآخرين؛ هو الوحيد الذي يبتسم للعدسة.

ذهبَ ليجلب لنا فنجانَي شاي من الداخل ووضع ملعقتين سكّر في فنجانه. أعرفُ أن صورة **مجلة المهندسة** مضى على التقاطها أقلّ من عشر سنوات. لكنه تغيّر بشكل كبير. صار أكبر حجماً، وأضخم.

- عادةً، لا أتحدث عن إدوارد مونكفورد، يقول لي. ولا عن أيِّ عضو من الشركة.

- أعلم، أقول. لم أجد شيئاً تقريباً في الإنترنت. لهذا اتصلتُ بمكتبك. لكنني أعترفُ أني لم أكن أتوقَّعُ أن أكتشف أنكَ تعمل عند تاونسايد للبناء.

مُشَغِّلُ توم إليس الحالي شركة بناء عملاقة تبني تجزيئاتٍ من أجل منازل تكاد تكون متطابقة موَجَّهة إلى سكان الضواحي.

- أرى أنَّ إدوارد قد أحسن ترويضكِ، يجيبني بجفاء.

- ماذا تقصد؟

- تاونسايد تبني منازل رائعة من أجل أناس يريدون تأسيس أُسرة. فوق أراضٍ قريبة من وسائل النقل، والمدارس، والعيادات الطبية، والمقاهي. مع حدائق من أجل الأطفال وعزلٍ حراريٍّ جيّد للاقتصاد في استهلاك الوقود. ربما لا تُحرزُ جوائز، لكن الناس يجدون سعادتهم فيها. أيُّ سوء في هذا؟

- كانت لديك اختلافات في الرأي مع إدوارد، أقولُ. أكان هذا هو سبب مغادرتك للشركة؟

بعد لحظة تردد، يهزُّ توم إليس رأسه.

- أرغمني على الانسحاب.

- كيف؟

- بألف طريقة. بانتقاد كل ما أقترحه. بالسخرية من أفكاري. كان الأمر صعباً حتى قبل وفاة إليزابيث، لكن بعد عودته من عطلته السّبتية، ولم تعد هي موجودة لتكبحه، تحوَّلَ إلى وحشٍ.

- كان مكسور القلب، أقولُ.

- مكسور القلب، يُردِّدُ إليس. أجل، بالتأكيد. هذه هي الأسطورة الكبيرة التي نسجها إدوارد مونكفورد بكل حذقٍ، أليس كذلك؟ العبقريُّ المعذَّب الذي فقدَ حبَّ حياته وتحوَّلَ بفعل ذلك إلى مهندس معماريٍّ مينيماليّ.

- تعتقد أن الأمر ليس صحيحاً؟

- أعلمُ أن الأمر ليس صحيحاً.

يتفحّصني توم إليس كأنه يتساءل إن كان عليه أن يواصل. أخيراً، يقول:

- كان إدوارد سيُصمِّمُ خلاياهُ الصغيرة الفارغة منذ البدء لو أننا سمحنا له بفعل ذلك. إليزابيث هي من كانت تمنعه، وبما أنني كنتُ

أُساندها، فقد كان أقلية. أما ديفيد فلم يكن يهتمُّ سوى بالجانب التقني. كنّا قريبَين بعضنا من بعض، أنا وإليزابيث. كنا نرى الأمور بالطريقة نفسها. المشاريع الأولى للشركة كانت تعكس تلك المقاربة.

- ماذا تقصد بقولك «قريبَين»؟

- جِدُّ قريبَين. أفترضُ أن هذا يعني، أنني كنتُ مُغرماً بها.

يتأملني توم إليس.

- أنتِ تُشبهينها بعض الشيء. غير أني أفترضُ أنك تعلمين هذا.

أهزُّ رأسي.

- لم أعترف أبداً لإليزابيث بما كنتُ أُكِنُّهُ لها، يُضيفُ. إلى أن فات الأوان، على الأقل. كنتُ أظنُّ أن الوضع سيصير معقّداً لو لم تكن تُقاسمني المشاعر نفسها، بما أننا كنا نتعاون بشكل كثيف. وبطبيعة الحال، ليس هذا ما ثبَّطَ إدوارد.

- لو أن إدوارد كان يرغبُ فيها، لأعلمها بذلك، أقولُ.

- إنما أغوى إليزابيث ليسرقها مني فحسب، يقول إليس بلهجة حادّة. كانت مسألة سلطة وتحكّم. مثلما هو الحال دائماً معه. عندما دفعها إلى الوقوع في هواه، اكتسب حليفةً وخسرتُ واحدة.

أعقد حاجبَيّ.

- تعتقد أن الأمر كان لأسباب **هندسية**؟ سيكون تزوّجها ليكون موقناً أن الشركة تُنشئ نوع البنايات التي يريد؟

- أعرف أن الأمر قد يبدو جنوناً، يجيبُ. لكن إدوارد مجنون، بمعنى من المعاني.

- أنتَ قاسٍ.

يُرسل إليس ضحكة تبدو مزوَّرةً.

- أنتِ لا تعرفين نصفَ الحكاية.

- لكنّ البيتَ الأول الذي بَنَتْهُ الشركةُ، وَنْ فولغيت ستريت، كان يجب أن يكون مختلفاً منذ البداية.

- بالفعل. لأن إليزابيث وجدت نفسها حاملاً. ولم يكن هذا يدخل نهائياً ضمن خطط إدوارد. فجأة، ها هي تريد بيتَ أسرةٍ حقيقي، بحجرتَين وحديقة، وأبواب لحفظ بعض الحميمية، وليس فضاءات واسعة مفتوحة. تشاجرا... لا يكفي قولُ ذلك! عندما يرى المرء إليزابيث، يعتقد أنه إزاء امرأة ودودة ورقيقة، لكنها كانت أيضاً عنيدة مثل إدوارد، بطريقتها. كانت امرأة خارجة عن المألوف.

يتردّد من جديد. ثم:

- ذات مساء، قبل مولد ماكس، وجدتُها تبكي في الوكالة. واعترفَت لي أنها لا تجدُ الشجاعة للعودة إلى البيت ولقائه، كانا جدّ تعيسَين معاً. كانت تقول إنَّ إدوارد عاجز عن تقبّل أيِّ توافق.

تضيعُ نظرةُ توم إليس في اللامحدود.

- حضنتُها بين ذراعَيّ، يُضيفُ. وقبّلتُها. أوقفَتني. كانت امرأة شريفة، لم تكن لتفعل شيئاً من خلف ظهر إدوارد، أبداً. لكنها قالت لي إنها سيتعيّنُ عليها أن تتخذ قراراً.

- هل يتوجب عليها أن تهجره أم لا، أليس كذلك؟

- في اليوم الموالي، طلبَت مني أن أنسى الذي جرى؛ كانت تقول إنها الهرمونات التي تجعلها في تلك الحالة. صحيح أن إدوارد قد يكون في بعض الأحيان صعباً، لكنها كانت عازمةً على إنقاذ زواجها. ولا بدَّ أنها أقنعَتهُ أن يُقدِّمَ تنازلاتٍ، لأن تصاميم البيت الأخيرة كانت ممتازة. بل أكثر من ممتازة. البيت كان رائعاً. كان

يستغلُّ الفضاءَ كلَّهُ بشكل مثالي. لم يكن البيت ليُحرز جائزة، بل لم يكن لينقل الشركةَ إلى شهرة عالمية، فالإنجازات المعمارية المريحة والجيدة التصميم لا تُجازى أبداً. بيد أنهم كانوا سيعيشون به سعداء ثلاثتُهُم.

يتوقف. ثم يستأنف:

- لكن إدوارد كانت لديه أفكار أخرى.

- ماذا تقصد؟

- هل تعلمين كيف ماتت إليزابيث؟

أهزُّ رأسي بالنفي.

- قُتِلا هي وماكس بسبب حفّارة آلية متوقفة عن العمل اصطدمت بعَمود من الكُتل الخرسانية، قريباً من المكان الذي كانا يوجدان به. اقتُرِحَ، أثناء التحقيق، أن الكُتَلَ كانت في وضع توازنٍ هشٍّ وأن الحفّارة الآلية كانت مركونةً في منحدَر، من دون كابح يدوي. تحدّثتُ إلى رئيس العمّال. أكّدَ لي أنّ كُتلَ الخرسانة كانت ثابتة وأن الحفّارة الآلية كانت مركونة بطريقة سليمة عندما غادر الورشةَ يوم الجمعة بعد الزوال. وقعت الحادثة في اليوم الموالي.

- أين كان إدوارد؟

- في الجهة الأخرى من الورشة، يُراقب تقدُّمَ الأشغال. أو هذا على الأقل ما صرّحَ به أثناء التحقيق.

- ورئيس العمال؟ هل قدَّمَ شهادته؟

- انحنى أمام العاصفة. شرح كيف أن مشرّدين كانوا ينامون في الورشة، وأنهم قد يكونوا نقلوا الحفّارة من مكانها. يجب ألّا ننسى أنه كان لا يزال يعمل عند إدوارد.

- هل تتذكّرُ اسمه؟

- جون واتس، من عند واتس وأبنائه. شركة عائلية.

- لكنْ واضحين، أقولُ. أنتَ تعتقد أن إدوارد قتلَ زوجته وابنه لسببٍ بسيط، وهو أنهما كانا يمنعانه من بناء بيت أحلامه؟

أقول هذا كأنني أعتبر توم إليس مجنوناً، وأن ما يقوله فكرة حمقاء لا يمكن لأحد أن يُصدِّقها. غير أني أُصدِّقُها. أعرفُ، على كل حال، أن إدوارد قادرٌ على فعل أيِّ شيء إن قرَّرَ القيام بأمرٍ ما.

- قلتِ **لسببٍ بسيط**، يلاحظ إليس. بالنسبة إلى إدوارد مونكفورد، لا وجود **لسببٍ بسيط**، ولا شيء يهمُّهُ أكثر من اتّباع فكرته. آه، أنا واثقٌ من أنه كان يحبُّ إليزابيث، على طريقته. لكنني لا أعتقدُ أنه كان متعلِّقاً بها، إن كنتِ ترين ما أقصده. هل تعلمين أن هناك نوعاً من سمك القرش شديد الشراسة إلى درجة أن الأجنّةَ يفترسُ بعضُها بعضاً داخل الرّحم؟ ما أن تنبُتَ لها الأسنان الأولى حتى تشرع في التقاتل إلى أن يتمكّنَ أقواها من الولادة. إدوارد من هذا الصنف. لا يستطيع أن يمتنع عن ذلك. من يتحدّاهُ سيُدمِّرُهُ بنفسه.

- هل أخبرتَ الشرطةَ بكل هذا؟

نظرةُ توم إليس نظرةُ إنسانٍ مسكون.

- لا، يعترفُ.

- لماذا؟

- بعد التحقيق، اختفى إدوارد. فيما بعد، علمنا أنه كان يعيش في اليابان. لم يكن يمارس حتى مهنة المعماري، كان يعيش من أعمال صغيرة. أنا وديفيد كنا نعتقد أننا لن نراه مرة أخرى أبداً.

- لكنه عاد، أقولُ.

- أجل. ذات يومٍ، حضر إلى الوكالة كأن لا شيء قد حدث،

وأخبرنا أن الشركة ستسيرُ وفق منهج جديد. قدَّمَ الأمر بذكاء لديفيد باعتباره مشروعاً كبيراً يصهرُ البساطة في المظهر والتكنولوجيات الجديدة، وأَقنَعَهُ أنني كنتُ أُشكِّلُ عائقاً. كانت تلك طريقته في الانتقام لأنني كنتُ قد وقفتُ إلى جانب إليزابيث ضدّه.

- إذاً، أثناء غيابه، أقولُ، لم تشأ أن تثير فضيحة لأنك كنت تعتقد أن الشركة كانت قد صارت في ملكيتك. لهذا السبب لم تقل شيئاً.

يهزُّ توم إليس كتفَيه.

- هذا تأويل.

- لديّ انطباع أنكَ كنتَ تحاولُ الاستفادة من موهبة إدوارد.

- اعتقدي ما تشائين. قبلتُ أن أتحدّثَ إليكِ لأنكِ قلتِ إنكِ خائفة.

- لم أقل إني خائفة. إني فضولية، هذا كلُّ شيء.

- يا إلهي. أنتِ بدوركِ مغرَمة به، أليس كذلك؟ يقول إليس بلهجة لاذعة وهو يحدجني بنظرته. ماذا يفعل؟ كيف يتصرّف ليستحوذ على نساء مثلك؟ أخبرُكِ أنه قتل زوجته وابنه، وأنتِ لا تشعرين حتى بالقرف. كأن ذلك يكاد يستثيركِ، ويصنع منه عبقريّاً من نوع ما في نظركِ. بينما هو في الحقيقة جنين سمك القرش في بطن أمه.

الآن: جين

يجب عليّ أن أُواصل عمل المحقِّق للعثور على سايمن ويكفيلد. أتوصَّلُ إلى الحديث مع مارك، الوكيل العقاري الذي كان يُدبِّرُ وَنْ فولغيت ستريت قبل كاميلا؛ للأسف، هو أيضاً لا يعلم كيفية الاتصال بصاحب إيما السابق.

«لكن إذا تمكّنتِ من الاتصال به، بلِّغيهِ سلامي»، يقول. «ما حصل له أمرٌ قبيح».

«تقصد موتَ إيما؟».

«أجل. بالتأكيد. لكن حتى قبل ذلك، عملية السطو على شقّتهما السابقة، وكل ما عدا ذلك».

«تعرّضا لعملية سطو؟ لم أكن أعلمُ بذلك».

«لهذا السبب كانا يريدان الانتقال إلى وَنْ فولغيت ستريت في البداية، بحثاً عن الأمان».

وبعد صمت قصير، يُضيف:

«الأمر يثير الاستغراب عندما نُفكِّرُ فيه. لكن سايمن كان مستعدّاً ليفعل أيَّ شيء من أجل إيما. لم يكن شديد الحماس للعيش في ذلك البيت، لكن بمجرد أن قالت إيما إن ذلك يُعجبُها حتى حُسِمَ

الأمر. سألتني الشرطة إن كنتُ قد لاحظتُ علامات توحي بأنه قد يكون عنيف تجاهها. مستحيل، أجبتُهم. كان يعبدُها».

أحتاجُ إلى هنيهة لأفهم ما يقوله.

«مهلاً... كانت الشرطة تعتقد أن سايمن قد يكون قتل إيما؟».

«لم يقولوا ذلك بشكل واضح. لكنهم اتصلوا بي بعد وفاتها، وكان عليّ أن أسمح بدخول رجال الشرطة العلمية، وهكذا، تعرّفتُ إلى المفتّش المكلَّف بالقضية. هو الذي استفسرني حول موضوع سايمن. يبدو أن إيما كانت تؤكد أنه ضربَها».

يخفضُ صوتَهُ.

«لا أخفيكِ سرّاً، كنتُ دائماً أرتابُ في تلك الفتاة. كلُّ شيء كان من أجلها فحسب، إن فهمتِ ما أقصد. كانت تؤدّي دوراً سينمائياً. لديّ انطباعٌ أن سايمن لم يكن يملك كلمة في الأمر».

لم يكن لدى مارك معلومات عن عنوان سايمن، لكنه كان يتذكر مقرّ عمله، وهذا كان كافياً لأجد أثره في موقع لينكدين. المجلة التي كان يعمل بها توقّفت عن الصدور، لكن سايمن، كغيره من الصحافيين المستقلّين، يحرص على نشر سيرته الشخصية. غير أنني أتردّدُ في الاتصال به. صحيح أنه وضع الورود من أجل إيما أمام باب وَنْ فولغيت ستريت، لكنه أيضاً كان موضع شكّ في قتلها. أمِنَ المعقول حقّاً أن أسألهُ حول ما جرى؟

أعدُ نفسي أن أكون على حذر. سأجتهد في ألّا أضغط عليه كثيراً، وألّا يُحسّ أنه مهدَّدٌ بأي صورة. سأجعله يعتقد أنني أسعى إلى الاعتذار له فحسب عن كوني ظننتُ أن وضعه للورود كان موجَّهاً إليّ.

أبعثُ إليه برسالة إلكترونية عادية، قصد التأكّد من كونه يقبلُ

الحديث إليّ. أتوصّلُ بردٍّ في الحال تقريباً: سيكون سعيداً بذلك، ويقترحُ عليَّ مقهى كوستا في هندون.

أصلُ قبل الموعد، وهو أيضاً. يرتدي تقريباً بالطريقة نفسها التي كان عليها يوم رأيتُهُ أمام وَنْ فولغيت ستريت: قميص بولو، وسروال قماش، وحذاء على الموضة، أي تشكيلة الملابس الأنيقة غير الرسمية لشخص لندنيّ يعمل في وسائل الإعلام. وجهُهُ لطيفٌ، وصريح، لكن نظرته قلقة عندما يجلس قبالتي، كأنه يعرف أن الأمر سيكون صعباً.

«إذاً، صار عندكِ فضول»، يقولُ، «بعد أن قمنا بالتعارف. هذا لا يُدهشني».

«حائرة، على الأصح. يبدو أن كلَّ واحد من الأشخاص الذين أسألهم يملك نظريةً مغايرة حول موت إيما. معالجتُها النفسية، على سبيل المثال، تعتقد أن إيما انتحرت لأنها كانت تعاني من الاكتئاب».

أُقرِّرُ أن ألعب بأوراقٍ مكشوفة.

«سمعتُ أن الشرطة كانت قد استجوبتكَ، أنت أيضاً، اعتماداً على اتّهامات عبّرت عنها إيما. ماذا كانت حقيقة هذه الحكاية؟».

«لستُ أدري. أو على الأصح، لا أدري سبب قولها ذلك، ولا إن كانت قد قالتهُ حقيقةً».

ينظر إلى عينَيّ مباشرة ويُضيفُ، وهو يضغطُ على كلِّ كلمة:

«كنتُ أُقَدِّسُ الثّرى الذي تمشي عليه».

كنتُ، في طريقي إلى هنا، قد وعدتُ نفسي ألّا أثق في كلِّ ما سيقوله لي هذا الرجل؛ ولكنني، على الرغم من هذا، أُصدِّقُهُ.

«حدِّثني عنها».

يتنهّدُ سايمن ببطء.

«ماذا يمكن أن نقول عن الشخص الذي نُحبُّهُ؟ كنتُ محظوظاً بامتلاكها، وكنتُ أعرفُ هذا دائماً. درسَت في مدرسة خاصة، ثم في جامعة جيدة. كانت جميلة، جميلة جدّاً. كان صائدو عارضات الأزياء يتصلون بها من دون توقف».

يُلقي عليّ نظرة خجلة.

«أنتِ تُشبهينها بعض الشيء».

«أجل، قيلَ لي هذا من قبل».

«لكن ليس لديكِ..».

يعقد حاجبَيه، وهو يبحث عن الكلمة المناسبة، وأشعر أنه يخشى أن يسيء إليّ.

«... **توهّجها**. ولنقلْ عرضاً إن هذا ما كان يجرُّ عليها الكثير من المشاكل. كانت دائماً ودودة جدّاً، فيعتقد الرجال أنهم يستطيعون الاقتراب منها دون أن تصدّهم. مثلما قلتُ للشرطة: المرّات الوحيدة التي شاهدتني فيها إيما مُهدِّداً هي عندما يرفض معتوه أن يتركها بسلام. في تلك اللحظات، كانت توجِّهُ إليّ نظرة لتحثّني على التدخّل».

«فما الذي كان سيدفعها إلى أن تُصرِّح بأنكَ ضربتَها؟».

«لا علم لي. في تلك الفترة، ظننتُ أن الشرطة اختلقَت ذلك لإرباكي، عن طريق إفهامي بأنهم يعلمون أشياء كثيرة عني. لكن، لكي أكون صادقاً، فقد اعتذروا مني وأطلقوا سراحي سريعاً. أعتقد أنهم كانوا يتصرفون بطريقة آلية. غالبية جرائم القتل يرتكبها شخصٌ قريبٌ من الضحية، أليس كذلك؟ ومن ثم، يقبضون على صاحبها السابق مباشرة».

يظلُّ صامتاً لحظة. ثم:

«غير أنهم أخطأوا في صاحبها السابق. لم أتوقف عن إخبارهم أن من عليهم أن يستجوبوه إنما هو إدوارد مونكفورد».

أُحِسُّ بوخز في قفاي.

«لماذا ذلك؟».

«كأن الأمر محض اتّفاق، كان مونكفورد غائباً أثناء الفترة التي تلَت موت إيما، كان موجوداً في الخارج، ليهتمَّ بمشروع ضخم. لكنني سأظلُّ مقتنعاً أنه هو من قتلها».

«لِمَ كان سيقترفُ ذلك؟».

«لأنها كانت قد قطعَت علاقتها به».

يميل سايمن نحوي، حادَّ النظرة.

«اعترفت لي، أسبوعاً قبل وفاتها، أنها ارتكبت خطأ رهيباً؛ اكتشفَت أن إدوارد مستبدٌّ متلاعب يريد أن يتحكّمَ في كل شيء. قالت لي أيضاً، وأجد في هذا سخرية، إنه كان يُحرِّمُ عليها أن تمتلكَ أيَّ شيء كان، وإنه كان يعاملها كأنها شيء زائد مرصود لتزيين بيته. لم يكن يتحمّلُ أن يكون في وسعها أن تفكِّر بنفسها أو أن تُبديَ دليلاً على استقلاليتها».

«لكن لا يُقتَلُ شخصٌ لأنه يُفكِّر بنفسه».

«كانت إيما تقول إنه تغيَّرَ تماماً مع مرور الزمن. وعندما قطعت علاقتها به، صار كالمجنون».

أحاول أن أتخيَّلَ إدوارد وقد أصبح مجنوناً. حدث لي، فعلاً، مرّاتٍ عديدة، أن شعرتُ بالانفعال يغلي تحت ذلك الهدوء الخارق، تيّار جارف من المشاعر المكبوحة بقوة. غضبه ضدّ بائع السمك،

على سبيل المثال. لكن ذلك لا يدوم طويلاً أبداً. لا أتعرّفُ إلى اللوحة التي يرسمها سايمن.

«ثم، هناك شيء آخر»، يقولُ. «سببٌ آخر يمكن أن يكون قد دفعه إلى قتل إيما».

أجتهدُ في أن أستجمع تركيزي من جديد.

«أنا أُنصِتُ إليك».

«كانت إيما قد اكتشفت أنه قتل زوجته وابنهما الصغير».

«هيه؟ ماذا؟».

«كانت زوجته تعانده، وأرغمته على مراجعة تصاميمه من أجل وَنْ فولغيت ستريت. تحدٍّ واستقلالية، هنا أيضاً. إدوارد مونكفورد غير قادر مَرَضِيّاً على تحمُّل الأمر أو الآخر، أجهلُ لماذا؟».

«هل حكيتَ كلَّ هذا للشرطة؟».

«طبعاً. أجابوني بأن هذا غير كافٍ لإعادة فتح ملف القضية. ونصحوني بألّا أكرِّرَ ذكر الاتهامات التي عبّرتُ عنها أثناء التحقيق، لأن ذلك قد يُعرِّضني للمقاضاة بتهمة القذف. فضّلوا، باختصار، أن يغمضوا أعينهم».

يُمرِّرُ يده خلال شعره.

«منذ ذلك الحين، قمتُ بأبحاثٍ من جهتي، لأجمع بعض الدلائل. لكن ليس من السهل الذهاب بعيداً في البحث، حتى بالنسبة إلى صحافي، عندما لا نمتلك إمكانات الشرطة».

أشعرُ، خلال لحظة، بتعاطف غامض مع سايمن. ولدٌ طيب، وصلبٌ، ومن غير تميُّز، لا يُصدِّقُ أنه اقتنص فتاةً شديدة الجمال بالنسبة إليه. ثم وجدت نفسها مجبرة، بعد سلسلة أحداث، على الاختيار بينه وبين إدوارد مونكفورد. فالأمر واضح. ليس من

المدهش أنه لم يستطع أن يضرب صفحاً عن الأمر. وليس من المدهش أن يكون مقتنعاً بوجود مؤامرة أو سِرٌّ يتوارى خلف موت إيما.

«لو أنها لم تمت، كنّا سنعود للعيش معاً»، يُضيف. «أنا واثقٌ من هذا. على الرغم من أن انفصالنا كان معقَّداً. لا أزالُ أتذكّرُ تلك المرّة التي حاولت فيها أن تجعلني أُوقِّعُ بعض الأوراق. ذهبتُ إليها لأحاول استردادها، غير أني كنتُ قد شربتُ بعض الشيء ولم أُحسن التصرّف. أظنني قد كنتُ منذ تلك اللحظة أغار من مونكفورد. كنتُ أعرفُ أن عليَّ القيام بالكثير لأجعلها تسامحني. كان يجب عليّ، قبل كل شيء، أن أُقنعها بمغادرة ذلك البيت الرهيب. وكانت متّفقة، حول المبدأ على الأقل، لكن كانت هناك مشاكل مع عَقد الكراء، أشكالٌ من العقوبات في حال فسخه. ولو أنها استطاعت أن تغادر البيت، لكانت يقيناً لا تزالُ اليوم على قيد الحياة».

«هذا البيت ليس رهيباً. أنا آسفة لكونكَ فقدتَ إيما، لكنك لا تستطيع أن تتّهمَ وَنْ فولغيت ستريت».

«يوماً ما، ستُدركين أني على حقّ».

ينظر إليّ سايمن مباشرة في عينَيّ ويسألني:

«هل انتقلَ إلى مرحلة الهجوم؟».

«ما الذي تعنيه؟».

«مونكفورد. عاجلاً أم آجلاً، سيحوم حولكِ. إن لم يكن قد فعل. ثم سيغسلُ دماغكِ أنتِ أيضاً. تلك طريقته في العمل».

يدفعني شيءٌ ما، ربما معرفتي بأن سايمن لو علم أننا أنا وإدوارد عشيقان، سيزداد يقيناً أن جميع النساء يقعن في هوى إدوارد، إلى أن أسأله:

«ما الذي يجعلكَ تعتقدُ أنني سأقول نعم؟».

«هذا أفضل. إن كنتُ بحديثي عن إيما أستطيعُ أن أنتزعَ شخصاً واحداً من براثن هذا الوغد، فإن ذلك يستحقُّ مني كلَّ الجهد».

يمتلئ المقهى. يأتي رجلٌ للجلوس في الطاولة المجاورة، يحمل ساندويتشاً مُحَمَّصاً بالمقانق والبصل. تُحلِّقُ نحونا رائحة كريهةٌ لعجين سيّئ الطهي وبصلٍ محروق.

«هذا الساندويتش منتّنٌ»، أقولُ.

«لا أشمُّ شيئاً»، يقول سايمن. «إذاً، ماذا ستفعلين الآن؟».

«أتعتقدُ أن إيما قد تكون بالغَت في كلامها؟ لا أزالُ أجدُ غريباً أن تكون قد حكَت لكَ كلَّ تلك الأمور عن إدوارد مونكفورد، ولا يقلُّ عن ذلك غرابةً أن تكون قد قدّمَت بك بلاغاً إلى الشرطة».

أتردّدُ. «قال لي أحدُهُم حول موضوع إيما إنها كانت تحبُّ أن تكون في مركز الاهتمام. مثل هؤلاء الناس، يشعرون أحياناً بالحاجة إلى الإحساس أنهم مهمّون. حتى لو اختلقوا في سبيل ذلك بعض الأشياء».

يهزُّ رأسه.

«كانت إيما تحبُّ أن تشعر أنها متميِّزة، هذا صحيح. لكنها كانت كذلك. وأعتقدُ أن هذا كان أحد الأسباب التي كانت تجعل وَنْ فولغيت ستريت يُعجِبُها بكلِّ ذلك القدر. لم يكن الإحساسُ بالأمان وحده ما يشدُّها إلى ذلك البيت، بل كذلك لكونه مكاناً شديد الاختلاف. لكن إن كنتِ تعتقدين أن ذلك كان يجعلُ منها نوعاً من مختلقة قِصَصٍ خيالية. . . فإنكِ على خطأ».

عند عودتي إلى وَنْ فولغيت ستريت، أصعدُ مباشرة إلى الحمّام

وأخلعُ ملابسي أمام المرآة. وعندما أَجُسُّ نهدَيّ أجدهما منتفخين وحسّاسين. حلمتايَ أصبحتا تميلان إلى السّمرة، وتوجد بعض الانتفاخات الصغيرة حول الهالتين، كأن جلدي يقشعرٌّ خوفاً.

موعد الحيض ينبغي أن يكون بعد أسبوع واحد، لذلك لن يكون الاختبارُ مضموناً. وفي جميع الأحوال، لا أحتاجه حقيقةً. الحساسية المفرطة تجاه الروائح، والحلمتان السمراوان، والانتفاخات الصغيرة، التي علمتُ من المولِّدة التي كانت تتابعني، أنها تُسمّى درناتُ مونتغومري. . . كنتُ قد تعلمتُ كلَّ هذا عندما كنتُ حبلى.

9. أشعرُ بالانزعاج عندما لا تسيرُ الأمور وفق ما خطَّطتُ لها.

نعم ❍ ❍ ❍ ❍ ❍ كلا

الأمس: إيما

- لم أركِ منذ مدة طويلة، إيما، تقولُ كارول.

- أجل، كنتُ مشغولة، أجيبُ وأنا أطوي ساقَيّ تحتي من جديد فوق أريكتها.

- المرّة الأخيرة التي تحدّثنا فيها، كنتِ قد طلبتِ للتوِّ من سايمن أن يغادر البيت الذي تقطنان فيه. وناقشنا حقيقةَ أنَّ الأشخاص الذين تعرّضوا لصدمة جنسية يعتبرون في الغالب أن الانقلابات الكبيرة في حياتهم هي جزء من سيرورة العلاج. وإذاً، هل أثمرت تلك الانقلابات بالنسبة إليك؟

من الواضح أنها تريد أن تقول: **هل غيَّرتِ رأيكِ فيما يخُصُّ موضوعَ سايمن؟** وأبدأ أتنبّهُ إلى أنها، على الرغم من أنها تُقسِمُ أن مهنتها لا تتمثل في إصدار أحكام، ولا في توجيه جلساتنا نحو هذا الاستنتاج أو ذاك، فإنها لا تتورَّعُ عن فعل ذلك.

- انخرطتُ في علاقة جديدة، أقولُ.

صمتٌ.

- تسيرُ الأمورُ جيّداً؟

- إنه الرجل الذي صمَّمَ البيت، وَنْ فولغيت ستريت. بصراحة، بعد سايمن، أعتبر هذا دفقة هواء حقيقية.

ترفعُ كارول حاجبيها.

- لماذا تقولين هذا؟

- سايمن ولدٌ. إدوارد رجلٌ.

- لم تعودي تعانين من المشاكل الجنسية التي كنتِ تلاقينها مع سايمن؟

- لا، بتاتاً.

لا أدري ما الذي جعلني أُضيفُ:

- أحياناً، أودُّ أن أُحدِّثكِ عن أمرٍ. أمر شديد الخصوصية.

- أكيد، تقول.

لا بدَّ أني أتردَّدُ لأنها تُضيفُ:

- مهما يكن ما ستقولينه لي، كوني على يقين أني سبق أن سمعتُهُ مرّاتٍ عديدة، إيما.

- أتفاجأُ برغبتي في أن يُسَيْطَرَ عليّ جنسيّاً، أقولُ.

- أفهمُ، تقولُ. وهذا يُثيرُكِ؟

- أجل، أظنُّ ذلك.

- لكن الأمر يُربِكُكِ كذلك؟

- أجدُ هذا... غريباً. بعد الذي حدث. ألا ينبغي أن يكون العكس؟

- أولاً، يجب أن تقتنعي بأن لا وجود لـ«ينبغي» أو «لا ينبغي». وهذا أمرٌ معتاد. في مجموع السكّان، يعترفُ ثلثُ النساء تقريباً أنهنَّ يتخيَّلنَ باستمرار سيناريوهات سيطرة جنسية. دون أن ننسى المظهر الفيزيقي المحض، تضيف. ما يُسمّى أحياناً بـ«نقل الإثارة». بما

أنّكِ قد استشعرتِ دفقةَ أدرينالين في سياقٍ جنسيٍّ، فإن دماغكِ يطالبُ بذلك مرة أخرى، بصورة لا شعورية. ما أريد أن أقول، هو أن لا وجود لسبب كي تشعري بالخجل. هذا لا يعني أنك ستُحبّين ذلك في الحياة الحقيقية. بل العكسُ تماماً.

- لستُ أخجلُ، أقول. وأُحبُّ هذا في الحياة الحقيقية.

تتّسِعُ عينا كارول.

- قمتِ بتحقيق هذه الاستيهامات؟

أهزُّ رأسي بالإيجاب.

- مع إدوارد؟

الجواب نفسه.

- أترغبين في الحديث عن ذلك؟

وعلى الرغم من تأكيدها عدم الحكم على مرضاها، فإنها تبدو غير راضية لدرجة أني أجدني أُضيفُ، لأصدمها فحسب:

- الأمر غريبٌ، أستنتجُ، لكنني عندما أُثيرُ غضبه، أشعر أني أكثر قوّةً، بطريقة معيّنة.

- في جميع الأحوال، تبدين أكثر ثقة بنفسك، إيما. أكثر ثقةً في اختياراتكِ. غير أني أتساءلُ إن كانت تلك الاختيارات صحّية بالنسبة إليك، في هذه المرحلة.

أتظاهرُ بالتفكير في هذا.

- أعتقد أنها كذلك، أقولُ.

من الواضح أن كارول لم تكن تنتظر إجابة مثل هذه عن سؤالها المصوغ بكل حذر.

- إن اختيار شريكٍ عندما نقوم بتجربة شيء جديد هو أمرٌ شديد الأهمية، تُضيفُ.

- لن أستعملَ كلمة «تجربة»، أقولُ. أُفضِّلُ كلمة اكتشاف.

- لكن، إن كان كلُّ شيء رائعاً، تقولُ بهدوء، لِمَ أنتِ هنا إذاً، إيما؟

سؤالٌ وجيهٌ، أقول في نفسي.

- لقد تحدّثنا عن هذا سابقاً، تستأنف كلامها. ضحايا الاغتصاب يُلقين المسؤولية أحياناً على أنفسهنّ، وهذا خطأ. يشعرن أنهنَّ هنَّ من يستحقُّ العقاب، أو يبخسن من قيمتهنَّ. لا أستطيعُ أن أمتنع عن التساؤل إن لم يكن الأمر كذلك في حالتك هذه.

قالت هذا بكلِّ صدقٍ لدرجة أني أكاد أنهارُ.

- وإذا كان ما تعرّضتُ له ليس اغتصاباً، بل ضرباً من الاستيهام؟

تعقد حاجبيها.

- لا أفهمُ ما تقصدين، إيما.

- انسَيْ. لكن لنفترضْ أنني اكتشفتُ أمراً يخصُّ شخصاً معيّناً... وجريمةً اقترفها؟ إن أسررتُ إليكِ ما أعلمُهُ، هل ستكونين مرغمة على تبليغه للشرطة؟

- إن كانت هذه الجريمة لم يُبَلَّغ عنها بعد، أو أن دليلك يمكن أن يؤثِّر في مسار التحقيق، يصبح الأمر معقَّداً. فالمعالجون النفسيون، مثلما تعلمين، يحترمون السرَّ المهنيَّ. لكن يجب علينا أيضاً أن نحترم القانون. وفي حال التنازع بين الطرفَين، ينتصر القانون.

أَظَلُّ صامتة. أفكّرُ في النتائج.

- ما الذي يشغلكِ، إيما؟ تسألُ كارول بلطفٍ.

- لا شيء، وأبتسم في وجهها ابتسامة كبيرة.

الآن: جين

يأتيني تحليلُ الدّم باليقين. لا أبوح بذلك إلا لمِيَا، وبيث، وتيسا. طبعاً، تسألني مِيَا في الحال: «هذا أمرٌ مُخَطَّطٌ له؟».

أهزُّ رأسي بالنفي.

«إدوارد ذات مساء... غضب بعض الشيء».

«السيد أنا أتحكّمُ في كل شيء سمح لنفسه بالغضب؟ لا أدري إن كان عليّ أن أرتاح لهذا أم أقلق: هو آدميٌّ في نهاية المطاف».

«كان الأمر استثنائياً. ثم إننا تحدثنا عن ذلك فيما بعد».

لا بدَّ أن مِيَا تخال أنني أشيرُ إلى غياب وسائل منع الحمل. لكنني لا أدخل في التفاصيل.

«هل هو على علمٍ بالأمر؟».

«ليس بعد».

في الحقيقة، لا أعرفُ كيف سيكون ردُّ فعل إدوارد.

تستبقُني مِيَا: «قوّمني إن أخطأتُ: ألا يوجد ضمن كلِّ القواعد «من دون أيِّ طفل»؟».

«ضمن قواعد عَقد الكراء، بلى. لكن هنا، الأمرُ مختلفٌ».

«حقيقة؟».

ترفع أحد حاجبيها.

«جميع النساء يعلمن أن الرجال يعشقون الحَمْلَ من دون تخطيط».

لا أردُّ على تعريضها.

«وأنتِ؟»، تُلِحُّ مِيَا. «ما الذي تشعرين به، جين؟».

«أنا خائفة. بل مرعوبة».

لأنَّ، على الرغم من دوّامة العواطف -عدم التصديق، والفرح، والقلق، والبهجة، والدهشة، والحزن الذي تُذكيه ذكرى إيزابيل، والسعادة- فإنَّ ما يتبقى في الأخير هو الخوف الخالص.

«إن يقع شيء لهذا الطفل... فلن أستطيع أن أعيش كلَّ ذلك من جديد... ذلك العذاب. سيُدمِّرني».

«لقد قالوا لكِ في تلك الفترة أن لا وجود لأيِّ سببٍ يمنع من أن يكون الطفل الذي ستلديه في المستقبل بصحّة جيدة»، تُذكِّرني مِيَا.

«في المرة الأولى أيضاً لم يكن هناك أيّ سبب، ومع ذلك وقع ما وقع».

«لكنك ستحتفظين به، هيه؟».

قليل من الناس يستطيعون أن يطرحوا عليّ هذا السؤال، وأقلّ منهم من سيتلقّون مني إجابة صادقة. يُرَدِّدُ جزءٌ مني: **لا تفعلي هذا. لقد وجدتِ النُّورَ بعد أن عشتِ طويلاً في الظلام والوحدة. لِمَ ستغامرين بكل شيء؟** هذا الجزء من دماغي هو نفسه ينظر إلى ديكور وَنْ فولغيت ستريت ويُفكِّرُ: **لِمَ سأُعَرِّضُ كلَّ هذا للخطر؟**

لكن هناك جزء آخر منّي، ذلك الجزء الذي حمل وليداً ميّتاً بين

ذراعيه، وتأمّلَ وجهه الرائع، وشعر، على الرغم من كل ذلك، بنشوة فرح الأمومة، لن يستطيع أبداً أن يُفكِّرَ في تدمير جنينٍ سليمٍ، تخاذلاً فحسب.

«أجل، سأحتفظُ به»، أقولُ. «سألدُه. طفل إدوارد. أعلمُ أن هذه الفكرة لن تروقه في البداية، لكنني آمُلُ أن يعتاد عليها».

الأمس: إيما

لا تصلني أخبار عن إدوارد منذ خمسة عشر يوماً، فأُرسِلُ إليه صورة «سيلفي». وهذه الرسالة:

لقد اتّخذتُ لي وشماً، بابا، أيُعجِبُكَ؟

يأتي ردُّ فعله توّاً. **ماذا فعلت؟**

أعرفُ أنه كان عليّ طلب الإذن منكَ. لكنني أردتُ أن أرى ما سيقعُ إن ارتكبتُ حماقةً حقيقية...

الوشمُ، في الحقيقة، في غاية الصِّغر، وجميل جدّاً، ولا يظهر له أثرٌ عندما أكون بثيابي: جناحا نَوْرَسٍ مرسومَين بطريقة فنية، فوق انتفاخ ردفي الأيمن. لكن إدوارد يمقتُ الوشمَ.

ملاحظة: هذا مؤلِمٌ.

يصلني الجوابُ دقائق بعد ذلك.

وسيكون الألم أشدّ. انطلاقاً من هذا المساء. أنا عائد إلى لندن. غاضباً.

لم يسبق له أن أرسل إليَّ رسالةً نصّيةً بهذا الطول. أبتسمُ وأُجيبُ:

من مصلحتي أن أستعدَّ، في هذه الحالة.

أستحمُّ في آخر النهار، وأُنشِّفُ جسمي بعناية، وأضعُ قطرات عطرٍ فوق بشرتي. أرتدي الفستانَ وعِقد اللآلئ، لكنني أظلُّ حافية القدمَين. أُحِسُّ مسبقاً بوخزٍ في سائر الجسد. الانتظارُ لذّةٌ مشوبةٌ بإثارة عصبية. أأكونُ قد تجاوزتُ الحدود؟ هل سأستطيعُ أن أتحمَّلَ ما سيذيقني إياه؟

أتّخذُ وضعي فوق الكنبة. لا أضطرُّ للانتظار طويلاً. أسمعُ رنّةً خفيفة يُصدرها Housekeeper عندما يلتقطُ حضور شخصٍ أمام الباب، ثم ضربة جرسٍ عندما يسمحُ بدخول الزائر. يتقدَّمُ إدوارد نحوي بخطى حثيثة، عابس الوجه.

- أرِني، يُغمغمُ.

ما أن أستدير، حتى يمسك بمعصمَيّ، بيدٍ، ويُلصقني بالأريكة؛ ويكاد ينتزعُ الفستانَ وهو يرفعهُ بيده الأخرى.

يتجمَّدُ.

- ماذا؟...

تغلبني نوبةُ ضحك.

يَهُزُّ معصمَيّ بعنف.

- يا إلهي، ما هذا العبث؟

- إنها أماندا، أتمكَّنُ من أنطق أخيراً. اتّخذت لها وشماً احتفالاً بانفصالها عن زوجها. ورافقتُها.

- أرسلتِ إليَّ صورةَ مؤخِّرة امرأة أخرى؟

أَهُزُّ رأسي، مواصلةً ضحكي.

- ألغيتُ عشاء مع عمدة اللجنة المحلية للعمران كي أعود إلى هنا، يقولُ متذمِّراً.

- ما الذي سيكون أكثر إثارة؟ أسألُ وأنا أُحرِّكُ ردفَيّ أمامه.

لا يُطلِقُ معصمَيّ.

- أنا شديد الغضب، يقول، بقليل من الدهشة. لقد تعَمَّدْتِ إثارةَ غضبي. أنتِ تستحقين بجدارة ما ينتظركِ.

أحاولُ أن أتحرَّرَ لأختبر مدى عزمه: يمسكني بقوة.

- مرحباً بك في البيت، بابا.

فيما بعد، فيما بعد بوقت طويل، سلّمتُهُ رسالةً.

- لا تقرأها الآن، أقول له. انتظر إلى أن تكون وحدك. فكِّر فيها أثناء اجتماعاتكَ العمرانية المُمِلَّة. لستَ مُجبَراً على الإجابة. غير أنني كنتُ حريصة جدّاً على أن أشرح موقفي.

الآن: جين

أوّلُ موعدٍ لي مع الطبيب أخصائي الولادة. يجلس قبالتي الدكتور غيفورد، خلف مكتب قبيح من مكاتب المستشفى العمومي.

قبل ذلك بأيام قليلة، تلقّيتُ بريداً إلكترونياً يشرح لي أن حَملي، على الرغم من عدم وجود أيِّ سبب يدعوني للقلق، قد اعتُبِر بشكل آليٍّ «يحتملُ مخاطر»، نظراً إلى سوابقي الطبية. وبناء عليه، سيتابعني طبيبٌ أخصائيّ، الدكتور غيفورد.

ولا بدَّ أن أحدهم قد انتبه إلى الزلّة، لأنني تلقّيتُ في اليوم نفسه اتصالاً هاتفياً يُخبرني أنهم سيتفهّمون جيداً أن أرغب في زيارة طبيب آخر. وفي كل الأحوال، لا بدَّ أني أعلمُ أن الدكتور غيفورد قد قدَّمَ استقالته.

يُقالُ إن الحَمْلَ يُربِكُ أفكارك. غير أن ما يحصل معي في هذه اللحظة هو العكس. أو لعلَّ اتّخاذ بعض القرارات صار أسهل. أعرفُ أخيراً نوعَ السلوك الذي عليّ أن أسلكه.

«في الواقع»، أقولُ له، «أرى أنه لا يتوجب عليك أن تستقيل بسبب خطأ لا يد لك فيه. ونعرف جيّداً، أنا وأنتَ، أن من سيخلفكَ سيعاني من الضغط نفسه الذي عانيتَ منه».

يوافق بحركة من رأسه، بادي التعب.

«إذاً، هذا ما أقترحه عليك: أقترحُ أن نتعاون للضغط على المستشفى. سأكتب لهم أني لا أرغبُ في تقديم شكاية بسبب موت إيزابيل؛ وفي المقابل، أطالبُ أن يلتزموا بتوظيف أطر أكثر ويصفوا للحوامل مزيداً من فحوص دوبلر. وإن وضعتَ الشروط نفسها للتراجع عن استقالتك، أراهنُ أنهم سيستغلون الفرصة المتاحة ليعقدوا توافقاً. ماذا تقولُ في هذا؟».

تيسا لا تروقها هذه الفكرة، تُفضِّلُ أن نطلب إجراء تحقيق والوصول إلى المحاكمة. غير أني أصررتُ على موقفي، فانتهت إلى الانصياع.

«هل هي دائماً هكذا؟»، سألَت مِيَا وهي تتنهّدُ.

«قبل إيزابيل، نعم»، أجابَت مِيَا وهي تبتسمُ في وجهي. «جين هي أكثر الأشخاص الذين أعرفهم تنظيماً، وعناداً، ورزانةً. أعتقد أننا أخيراً استرجعنا جين الأزمنة السابقة».

لا يبدو الدكتور غيفورد مقتنعاً، هو كذلك، في البداية.

«في فترة تقشّف الميزانية. . .».

أقاطعُهُ:

«يكون من المُهِمّ أن يدافع المرء عن مصالحه. أنتَ تعلمُ مثلي تماماً أن الزيادة في أجهزة السكانر وعدد الأطباء سيُنقذ أرواحاً أكثر ممّا قد تفعله أدويةٌ ضدّ السرطان باهظة الثمن».

أخيراً، يهزُّ رأسه.

«شكراً».

«أما الآن فالأجدى لك أن تفحصني»، أقولُ. «بما أنك أنتَ

من سيتابعُ حالتي، فالأنسبُ لي أن أستفيد من ذلك أقصى ما أستطيع».

* * *

الفحصُ كاملٌ، أكمل بكثير من الفحص الذي أجريتُهُ في المرحلة نفسها من حملي الأول. أعرفُ أني أتلقّى معاملة خاصة، بفعل ما عشناه معاً أنا والدكتور غيفورد، وأنا سعيدة بهذا. لم أعد أعتبر نفسي جزءاً من القطيع، مثل أيِّ شخص عادي.

حجم الرحم ووضع الجنين جيّدان. تُنتزَعُ خلايا من رحمي لاستقصاء إصابات سرطانية ممكنة، ويُفحصُ نسيجٌ من جسدي لكشف الأمراض المنقولة جنسيّاً. لستُ قلقة. لا وجود لأيِّ خطر أن يكون إدوارد، الشديد الهوس، ناقلاً لمرض جنسي غير معالَج. ضغطي جيّدٌ. كلُّ شيء على ما يُرام. ويبتهج الدكتور غيفورد للأمر.

«كنتُ دائماً أنجحُ في الامتحانات»، أقولُ مازحةً.

وبينما أنا مُمَدَّدة فوق طاولة الفحص، أُحدِّثُهُ عن الولادة التي كنتُ أتمنّاها لإيزابيل: في مسبحٍ صغير، مع شموع ملوّنة وموسيقى. يجيبني بألّا شيء سيحول دون ذلك هذه المرة. ثم نتعرّضُ لموضوع المُكَمِّلات الغذائية. حمض الفوليك، بالتأكيد؛ يقترح 800 ميكروغرام. الفيتامين د يُنصحُ به كذلك. الابتعاد عن المكمِّلات متعدِّدة الفيتامينات، لأنها يمكن أن تشتمل على فيتامين أ، لكن يجب عدم إهمال فيتامين سي، والكالسيوم والحديد.

سأتناولُ كلَّ هذا، بطبيعة الحال. لستُ من الصِّنف الذي يُهمِلُ النصائح، ولا يفعلُ كلَّ ما يمكن أن يكون مفيداً، وإن بدا ذلك طريفاً. أشتري جميع تلك الأقراص في طريق عودتي وأفحصُ بطاقاتها بعناية لأتأكّد من أنَّ الفيتامين أ لم يُدرَج فيها خطأً. وأوّلُ ما

أقومُ به، بعد تعليق سترتي، هو تشغيل حاسوبي لمعرفة التغييرات الأخرى في نظام تغذيتي، التي يجب أن أراعيها.

جين، المرجو أن تضعي تقويماً من 1 إلى 5 للتأكيدات الآتية، 1 يناسبُ «متَّفقة تماماً» و5 تناسب «غير متَّفقة نهائياً».

بعض وظائف البيت قد عُطّلَت إلى حين استكمال التقويم.

أتجمّدُ. لديّ انطباعٌ أن هذه الاختبارات قد صارت أكثر تكراراً منذ سفر إدوارد. كأنه يراقبني. ليتأكَّد من أنني دائماً هادئة ومرتاحة، ومن أنني أعيشُ وفق القواعد، انطلاقاً من مكتبه البعيد.

لكن الأمر المهم، هو أنني، لو لم يكن Housekeeper غير مُشَغَّلٍ، لكنتُ قد رقنتُ من دون تفكير «الحمية الضرورية أثناء الحَمْل». يجب أن أفكِّرَ في استعمال واي فاي الجيران. على الأقل، إلى أن أُطلِعَ إدوارد على أمر الحمل.

وأيضاً، أقولُ لنفسي، إلى أن أعرف ما الذي حصل لإيما، لأن الأمرَين -كشف سرّي لإدوارد واقتحام الباب الذي يحمي أهله- كلاهما مترابطان الآن، وأصبح الأمر أكثر استعجالاً. يجب أن أعرف الحقيقة، لمصلحة وليدي.

الأمس: إيما

استدعاني المفتّش إلى مقرِّ الشرطة من أجل مقابلة جديدة. من الواضح أن خطوات العدالة بدأت تتسارع، لأنه بدل أن يستقبلني في الفضاء المغلق الذي يقوم مقام مكتبه، يقودني إلى قاعة كبيرة جيّدة الإضاءة. يوجد هنا أربعة أشخاص قبلنا، مصطفّين أمام طاولة، كلّهم في الجهة نفسها. يرتدي رجلٌ بدلة رسمية، وأُخَمِّنُ أنه يشغلُ مركزاً سامياً. تجلسُ إلى جانبه امرأةٌ قميئة، ترتدي بدلة من سروال وسترة غامقة اللون. ثم يأتي جون بروم، محامي الوزارة العمومية أثناء جلسة إطلاق السراح بكفالة. ثم الرقيبة ويلان، ضابطة القرب بالنسبة إليّ، التي تركت كرسيّاً فارغاً بينها وبين الآخرين، كأنها تشير إلى أن رتبتها أقل من رتب الآخرين ولا تسمح لها بأن تشاركَ حقيقةً في كل هذا.

يشيرُ إليّ المفتّش كلارك، الذي يبدو مرحاً كالعهد به حتى الآن، أن أتّخذ مكاناً قبالة المرأة القصيرة، ويذهبُ هو نفسه ليلتحق بالرقيبة ويلان جانباً. إبريق ماء وكأس موضوعان أمامي، لكن من دون بسكويت ولا قهوة. لا وجود لفنجان غارفيلد، اليوم.

- شكراً لمجيئكِ، إيما، تقول المرأة. أنا الوكيلة العامة الخاصة باتريسيا شابتون، وهذا هو المراقب العام بيتر روبرتسون.

المدفعية الثقيلة.

- نهاركم سعيد، أقولُ وأنا أحييهم بحركة صغيرة من يدي. أنا إيما.

تبتسمُ باتريسيا شابتون بأدب وتواصِلُ.

- نحن موجودون هنا لنثير دفاعَ ديون نيلسون في مواجهة اتهاماتك له بالاغتصاب والسّطو. مثلما تعلمين من دون شكّ، يتوجّبُ على الاتهام والدفاع أن يتشاركا معلوماتهما قبل المحاكمة، قصد تجنّب فشل قضايا مجانياً في المحكمة.

لم أكن أعرفُ، لكنني، مع ذلك، أهزُّ رأسي موافقة.

- يدفعُ ديون نيلسون بخطأ في تحديد الهوية، تخبرني الوكيلة شابتون. تأخذُ وثيقةً من كومة الوثائق الموجودة أمامها وتضع نظارتها. ثم تتفحّصني من خلف عدستَيها، كأنها تنتظر أن أقوم بردّ فعل.

- أنا لم أرهُ أثناء الجلسة، أقولُ مباشرة.

- عدد من الشهود يؤكدون العكس. لكن ليس هذا هو المشكل الذي نريد أن نناقشه معك اليوم.

غير أن هذا لا يُطمئنني. شيء ما في نغمة صوتها، وفي صمت الآخرين ووجوههم المنتبهة، يجعلني غير مرتاحة. يصير الجوّ جدّياً، بل عدائياً.

قدَّم ديون نيلسون وثائق طبية -وثائق **حميمة**- تشير إلى أنه لا يمكن أن يكون هو الرجل الذي صوَّر نفسه معكِ، تُعلنُ شابتون. الدليل مقنِعُ. بل يمكن أن أقول إنه غير قابل للطعن.

أشعُرُ بدُوارٍ، سرعان ما يتحوَّلُ إلى غثيان.

- لا أفهمُ، أقولُ.

- في المستوى القضائي، طبعاً، هذا يكفي محاميتَهُ كي تحصل على تبرئة موكّلها، تستأنف كلامها كأني لم أقل شيئاً. تأخذ وثائق أخرى. لكنهم ذهبوا إلى ما هو أبعد بكثير. لديّ هنا إفادات تحت اليمين، لبعض زملائك في العمل عند فلوو ووتر سابلايز. الشهادة التي تهمُّنا بشكل مباشر هي شهادة سول أكسوي، الذي يؤكد أنه قد مارسَ معكِ مؤخّراً علاقةً جنسية. وأنكِ أثناء تلك العلاقة قمتِ بتسجيل فيديو يناسب الفيديو الذي وجدهُ المفتّش كلارك في هاتفك.

نستعملُ أحياناً عبارة **كنتُ أودُّ لو أنَّ الأرض انفتحت تحت رجليَّ**. لكنها لا تكفي لوصف ما يحدثُ عندما ينفجر عالمك بأجمعه، عندما تتحطَّمُ كلُّ أكاذيبك فجأةً من حولك. يلي ذلك صمتٌ طويلٌ ورهيبٌ. تَخِزُّ الدموعُ عينَيّ. وأَدفعُها. أعرفُ أن باتريسيا شابتون سترى فيها حيلةً لإثارة الشفقة.

أتمكّنُ من أن أسأل:

- والهواتف الأخرى التي اكتشفتموها؟ كنت تقولين إن ديون نيلسون قد سبق له أن قام بمثل هذه الأمور. إنه ليس بريئاً حقيقة.

يجيبني المراقب العام روبرتسون:

- كنّا نعتقد إلى حدّ الآن بوجود رابطٍ بين اقتراف الاغتصاب ومشاهدة الأفلام الإباحية، يقولُ. لأن اللصوص كان بحوزتهم في الغالب كمّيات كبيرة من أفلام دي في دي من هذا الصنف. ثم لاحظَ أحدُهُم أن اللصوص كانوا يكتفون بالاحتفاظ بالمواد الإباحية التي يجدونها لدى ضحاياهم. وكان نيلسون يفعل الأمر نفسه مع الهواتف. كان يحتفظُ بتلك التي كانت تحتوي على صور إباحية. هذا كل شيء.

تخلع باتريسيا شابتون نظارتها وتطويها.

- هل أرغمكِ ديون نيلسون على أن تفعلي شيئاً ضدّ رغبتك، إيما؟

صمتٌ جديد، طويل، طويل جداً.

- لا، أقولُ بهمس.

- لِمَ قلتِ ذلك للشرطة، إذاً؟

- استجوبتموني أمام سايمن!

تنهمرُ الدموع الآن، دموع الإشفاق على الذات والغضب، لكنني أواصِلُ الكلام، لأنني أحرصُ على أن أجعلهم يفهمون أنهم هم أيضاً مذنبون مثلي تماماً. أشيرُ بإصبعي إلى الرقيبة ويلان والمفتّش كلارك.

- كانا يقولان إنهما قد عثرا على الفيديو الذي يظهر فيه نيلسون وهو يغتصبني. وكانا يقولان إن لا وجهه يظهر ولا السكّين. ما الذي كان يمكنني أن أفعله؟ أن أعترف لسايمن بأنني قمتُ بخيانته مع رجل آخر؟

- اتهمتِ رجلاً باغتصابكِ تحت تهديد سكّين. وأنه هدَّدَكِ بإرسال صور ذلك الاعتداء الخليعة إلى عائلتكِ وأصدقائك. وواصلتِ الكذبَ عندما وقع التشكيكُ في روايتكِ. بل إنكِ تَلَوْتِ تصريح الضحية أمام المحكمة.

- المفتّش كلارك هو من دفعني إلى ذلك. حاولتُ أن أتهرَّبَ، لكنه لم يسمح لي بذلك. وفي كل الأحوال، نيلسون يستحق ذلك. إنه لصّ. استولى على أمتعتي.

تظلُّ كلماتي، البائسة والتافهة، معلَّقة في الهواء. أرمُقُ وجهَ المفتّش كلارك. أستطيعُ أن أقرأَ فيه تشكيلةً كاملةً من العواطف:

الاحتقار، الشفقة، والغضب. لأنه انخدَعَ بي، ولأنني استغللتُ رغبته في أن يحميني بما راكمتُهُ من أكاذيب.

يصبح الصمتُ رهيباً. تُلقي باتريسيا شابتون نظرةً على المراقب العام. من الواضح أن الأمر يتعلق بإشارة مُتَّفَقٍ عليها، لأنه يسأل:

- هل لديك محامٍ، إيما؟

أشير أنْ لا برأسي. طبعاً، هناك ذلك المحامي الذي حرَّرَ وثيقة ملحق عَقد الكراء عندما رحل سايمن، لكنني لا أظنُّ أنه سيكون مفيداً في هذه الوضعية.

- إيما، سأضعكِ في وضعية اعتقال. وهذا يعني أنك يمكنك الاستفادة من مساعدة محامٍ معيَّن من المحكمة أثناء الاستجوابات الرسمية.

أنظر إليه مذهولة.

- ماذا تقصد؟

- إننا نأخذ قضايا الاغتصاب مأخذ الجدِّ. وننطلقُ في ذلك من مبدأ أن كل امرأة تؤكّد أنها تعرّضت لاغتصاب إنما تقول الحقيقة. لكن الوجه الآخر للعملة، أننا نأخذ أيضاً جدِّياً الاتهامات الكاذبة بالاغتصاب. واستناداً إلى ما سمعناهُ اليوم، نملكُ ما يكفي من العناصر لنرتاب في أنّكِ ضيّعتِ وقتَ الشرطة وحاولتِ أن تعيقي عملَ العدالة.

- ستعتقلوني؟ أتعجّبُ، غير مصدِّقة. ونيلسون، ماذا عنه؟ هو المجرم.

- نحن مضطرون لإلغاء المتابعات ضدَّ ديون نيلسون، تقول باتريسيا شابتون. المتابعات جميعها. شهادتك أصبحت باطلة بطلاناً كلِّياً.

- لكنه سرقني! لا أحد يجرؤ على قول العكس، أليس كذلك؟

- في الواقع، بلى، يجيبُ روبرتسون. يؤكد ديون نيلسون أنه اشترى تلك الهواتف من رجل في ملهى. لا نُصَدِّقُهُ، بالطبع، ولكن من حيث الدلائل، لا وجود لما يربطه بك.

- لا تقولوا إنكم تُصَدِّقون. . .

- إيما ماتيوس، ألقي عليكِ القبضَ من أجل محاولة إعاقة تطبيق العدالة، وفق المادة 5.2 من القانون الجنائي لسنة 1976. من حقّكِ أن تحتفظي بالصمت، لكن عليكِ أن تعلمي أن إخفاءك، أثناء الاستجواب، عنصراً تعتزمين استعماله فيما بعد أمام المحكمة يمكن أن يسيء إلى دفاعكِ. كلُّ ما ستقولين يمكن أن يُستعمَل باعتباره دليلاً. أتفهمين؟

أنا عاجزة عن النطق بكلمة واحدة.

- إيما، أحتاج إلى جواب. هل تُدركين طبيعة الاتهامات التي تُوَجَّهُ إليكِ؟

- **أجل**، أجيبُ بصوت خفيض.

* * *

أشعر بضربٍ من الخَدَر، كأنني انتقلتُ إلى الجانب الآخر من المرآة. فجأة، لم أعد ضحيةً، يعاملها الجميع باحتراس وتعاطف، وتُقَدَّمُ لها فناجين القهوة. فجأة، أجدني داخل قسم آخر من أقسام مقَرِّ الشرطة، حيث الأضواء تحميها الشبابيك، وحيث الأرضياتُ تنتنُ بالقيء ومواد التنظيف. يحدجني شرطيٌّ من وراء مكتبه المرتفع ويتلو عليَّ حقوقي. أُفرِغُ جيوبي. يُسلِّمون إليّ نسخةً من **مدوَّنة السلوك حين الاعتقال** ويَعِدوني بوجبة ساخنة إذا ما كنتُ لا أزالُ هنا ساعة العشاء. يُؤخذ مني حذائي، وأُقادُ إلى زنزانة. يوجد بها سرير

مدمج في أحد الجدران، ورفٌّ صغير قبالته. لا شيء آخر. الجدران بيضاء، والأرضية رمادية، والضوء يتسرّبُ من السقف. أُفكِّرُ في أن إدوارد سيشعر كأنه في بيته داخل هذا الديكور، لكن هذا ليس صحيحاً بالطبع. هو مكان وَسِخٌ، ونَتِنٌ، وغير مريح، وبئيس.

أنتظر مدة ثلاث ساعات وصولَ المحامي المعيَّن من المحكمة. حملَ إليّ شرطيُّ الاستقبال نسخةً من نصِّ الاتهام فيزيدني الأمرُ همّاً عندما أقرأه حبراً على ورق.

أحاول ألّا أُفكِّر في تعبير ملامح المفتّش كلارك عندما خرجتُ من تلك القاعة. كان غضبهُ قد اختفى، ولم يتبقَّ سوى الاشمئزاز. كان قد آمنَ بي وأنا خُنْتُهُ.

أخيراً، يدخل إلى زنزانتي شخصٌ شابٌّ، قصير وبدين، يضع كريماً على شعره ويرتدي ربطة عنق شديدة العرض. يتوقف أمامي ويمدُّ إليّ يده من فوق كمٍّ من الملفّات.

- أأأه. . . غراهام كيتنغ، يقول. أخشى أن تكون جميع القاعات المخصَّصَة للمقابلات مشغولة. سنضطرُّ إلى الحديث هنا.

نجلسُ جنباً إلى جنب فوق السرير الصّلب، مثل طالبَين خجولَين لا يجرؤان على ممارسة الجنس، ويطلبُ مني أن أحكي له، بكلماتي أنا، ما جرى. حتى أنا، لا أجدُ نفسي مُقنِعَةً.

- ما الذي سيحدثُ لي؟ أسألُ، بعد أن أتممتُ حَكْيِي.

- في الواقع، يقول، كلُّ شيء يتعلّقُ بالزاوية التي سيختارونها؛ هل سيختارون زاوية «وقتٌ ضائعٌ بالنسبة إلى الشرطة» أم زاوية «إعاقة لتطبيق العدالة». في الحالة الأولى، إن اعترفت بذنبكِ، يمكن أن تنالي حكماً بأداء أعمال ذات مصلحة عامة. أما في الحالة الثانية. . . لا وجود لأيِّ حدٍّ للحكم الذي يمكن أن يُصدرهُ

القاضي. وسيكون الحكم الأقصى السجن المؤبد. لكن في الحالات القصوى فحسب. غير أن من واجبي أن أُحَذِّرَكِ: هذه جريمة يأخذُها القضاةُ شديد الجدّية.

أعود للبكاء. يُفتِّشُ غراهام في محفظته، ويُخرِجُ منها علبة مناديل ورقية. تُذكِّرني هذه الحركة بكارول، وهو الأمر الذي يجعلني أفكِّرُ في مشكل آخر.

- هل يستطيعون استجواب معالجتي النفسية؟

- عن أيِّ نوع من المعالجة النفسية نتحدث؟

- شرعتُ في زيارة طبيبة نفسية بعد عملية السطو. وفق نصائح الشرطة.

- هل قلتِ الحقيقة لتلك الطبيبة النفسية؟

- لا، أقول، بلهجة تثير الشفقة.

- أفهمُ، يقولُ باديَ الإحباط. ما دمنا لا نُثير موضوعَ صحّتِكِ الذهنية، ليس لهم أيُّ دافع لطلب شهادتها.

يظلُّ صامتاً هنيهةً. ثم:

- وهذا يقودنا إلى الحديث عن استراتيجيتنا في الدفاع. أو على الأصحّ، في تدبير التخفيف. لقد حكيتِ للشرطة ما جرى. لكنك لم تُفسِّري لماذا حدث ذلك.

- ما الذي تريد قوله؟

- إن السياق أمرٌ جوهريٌّ في قضايا الاغتصاب والاعتداء الجنسي. وبما أن اعتقالك ناتج عن اتهام بالاغتصاب، فإن حالتك ستظلُّ تُعالَجُ ضمن هذا المنظور. سبق لي أن دافعتُ عن نساء إمّا تقدّمن باتهاماتٍ وإمّا تنازلن عنها تحت الضغط أو التهديد، على سبيل المثال. وهذا يساعد كثيراً جدّاً.

- أنا لم أ. . . أتوقَّفُ. تقصدُ أني لو كنتُ خائفة من شخص ما، يمكن تبرئتي؟

- ليس بشكل كامل. لكن قد يُمَكِّنُ من تخفيف حكمكِ بقدرٍ كبير.

- كنتُ خائفة، أجل، أقولُ. خائفة من أبوح بذلك لسايمن، لأنه يكون عنيفاً أحياناً.

- طيّب، يقول غراهام.

لا يُضيفُ: **سننتقلُ إلى الأمور المهمة**، لكن هذا ما توحي به لغةُ جسده عندما يفتح دفتره لتسجيل ملاحظات.

- أيُّ نوع من العنف، إيما؟

الآن: جين

«المفتّش كلارك؟».

يرفعُ الرجلُ صاحب المعطف البنّي عينَيه عن قنينة الخمر الصغيرة.

«أنا هو. لكنني لم أعد مفتِّشاً. إذاً يمكنكِ أن تناديني بالسيّد فحسب. أو جيمس إن شئتِ».

ينهضُ ليصافحني. عند قدميه، قفّة التسوّق مليئة بالفواكه والخضر. يشير إلى منضدة الحانة.

«يمكنني أن أقدِّمَ لكِ كأساً؟».

«سأذهبُ لأطلب شيئاً. شكراً على قبولكَ اللقاء بي».

«لا مشكل. الأربعاء، هو اليوم الذي آتي فيه إلى المدينة للتسوّق».

أذهبُ لأطلب بيرة بالزنجبيل وأعود للجلوس إلى جانبه. أندهشُ من السهولة التي نجد بها الأشخاصَ في أيامنا هذه. اتصالٌ هاتفيٌّ بسكوتلاند يارد مكّنني من أن أعرفَ أن المفتّش كلارك قد حصل على معاشه. بدا ذلك مثل فشل، لكنني عندما رقنتُ «كيف أعثُرُ على شرطيٍّ متقاعد؟» في محرِّكِ بحث -غير Housekeeper،

طبعاً- اكتشفتُ وجودَ NARPO[1]، الجمعية الوطنية لضبّاط الشرطة المحالين على التقاعد. وأرسلتُ طلبي بواسطة استمارة. وصلني الرّدُّ في اليوم نفسه: لا يستطيعون تزويدي بمعلومات عن أعضائهم، لكنهم سينقلون سؤالي إلى من يهمُّهُ الأمر.

لا يبدو لي الرجلُ الجالسُ قبالتي في سنّ التقاعد. ولا بدَّ أنه قد قرأ في أفكاري، لأنه يبيِّنُ:

«قضيتُ خمساً وعشرين سنة في الشرطة. وهذا كافٍ للحصول على المعاش. لكنني لم أتوقّف نهائياً عن العمل. أنشأتُ، مع مفتّش شرطة سابق آخر، شركةً صغيرةً لتثبيت أنظمة الإنذار. أمرٌ بسيطٌ يساعدنا في تحسين وضعنا المادي. فهمتُ أنكِ تريدين الحديث عن إيما ماتيوس؟».

«أجل. لو تفضّلتَ».

«أنتِ إحدى قريباتها؟».

من الواضح أنه انتبه إلى الشبه بيننا.

«ليس تماماً. في الواقع، أنا أسكنُ في بيت وَنْ فولغيت ستريت، المكان الذي ماتت فيه».

«هممم».

من الوهلة الأولى، يبدو جيمس كلارك شخصاً عادياً وموثوقاً، العامل الذي نجح في وظيفته ويملكُ بيتاً صغيراً في البرتغال قربَ ملعب غولف. لكنني أكتشفُ في عينَيه وهجَ تبصُّرٍ وثقة.

«ما الذي تريدين أن تعرفي تحديداً؟».

«علمتُ أن إيما كانت قد وجّهَت اتّهاماً إلى صاحبها السابق،

---

(1) National Association of Retired Police Officers.

سايمن. وماتت بعد ذلك بوقت قصير. سمعتُ تفسيراتٍ متناقضة تتعلّقُ بموتها: الاكتئاب، وسايمن، وحتى الرجل الذي كانت على علاقة به».

أمتنعُ عن ذكر اسم إدوارد، خشية أن يُدرك كلارك أني أهتمُّ به.

«أحاولُ أن أكتشف الذي جرى حقيقةً فحسب. فكوني أعيشُ في ذلك البيت يفرضُ عليّ نوعاً من الفضول».

«إيما ماتيوس استدرجتني»، يقول المفتّش السابق بلهجة قاطعة. «لم يسبق أن حدث لي هذا. لنقلْ تقريباً أبداً. لكنني وجدتُني أمام تلك المرأة الشابة التي كانت تؤكّد، بطريقة جديرة بالتصديق، أنها قد خافت من التبليغ عن اعتداء جنسيٍّ شنيع لأن المعتدي عليها كان قد صوَّرَ المشهدَ بواسطة هاتفها المحمول ويهدِّدها بإرسال الصور إلى جميع أرقام معارفها. كنتُ أريد أن أفعل شيئاً من أجلها. بالإضافة إلى أننا في تلك الفترة كنّا نتعرّضُ لضغطٍ شديد من أجل الرّفع من عدد الإدانات بسبب الاغتصاب. وبما أننا كنا نمتلكُ ما يكفي من الدلائل، كنتُ أعتقد أن في إمكاني، في هذه المرة على الأقل، أن أُرضِيَ رؤسائي، وأحصلَ على الإنصاف لإيما، وأُرسِلَ، إضافة إلى كل ذلك، وغداً حقيراً اسمه ديون نيلسون، خلف قضبان السجن. ثلاثُ إصابات بحجر واحد. واتَّضحَ أني كنتُ على خطأ في جميع المستويات. كانت تحكي لنا أكاذيب منذ البداية».

«كانت تُتْقِنُ الكذبَ، إذاً؟».

«أو أنني كنتُ بليداً أبله».

يرفعُ كتفَيه بحزن.

«كانت زوجتي سيو قد ماتت منذ عام. وتلك الشابة التي كان يمكن أن تكون ابنتي... ربما كنتُ واثقاً أكثر من اللازم. في جميع

الأحوال، هذا ما تبيّنَ عقب التحقيق الداخلي، فيما بعد؛ مفتّش قريب من التقاعد، وامرأة جميلة، وفقدَ اتّزانه. ما دفعني إلى طلب إحالتي على تقاعد سابق لأوانه قليلاً، عندما طلبوا مني ذلك».

يشربُ جرعة طويلة من البيرة. وأرشفُ من بيرتي بالزنجبيل. تبدو هذه الصودا كأنها تصيح: **أنا حامل!** لكن كلارك، إن يكن قد انتبه إلى ذلك، فإنه لا يشير إلى ذلك بأيِّ تلميح.

«عندما أفكِّرُ في ذلك الآن»، يستأنف كلامه، «أرى أنه كان عليّ الانتباه إلى أمور معيّنة. كانت قد تعرّفت إلى نيلسون بطريقة بالغة التدقيق في ملفات التسجيل الإلكتروني لاستعراض الهوية، خصوصاً أنه كان يضع قناعاً عند وقوع الاعتداء، كما كانت تقول. أما فيما يتعلق باتّهامها لصاحبها السابق...».

يهزُّ كتفَيه.

«هذا أيضاً، لا تُصدِّقُهُ مع بُعد المسافة الآن؟».

«حتى في تلك الفترة لم نكن نُصدِّق ذلك. كان ذلك فكرة أوحى لها بها محاميها ليُخفِّفَ من عقوبتها: «كنتُ خائفة سيدي القاضي، لا يمكن أن أُحَمَّلَ مسؤولية ما قلتُهُ». وأفلحَ الأمر. ثم إن مكتب مُدَّعي الملكة لم يكن يرغب كثيراً في أن يعترف للعالم أجمع، أمام هيئة محكمة، أن تلك الفتاة كانت قد غرّرَت بنا. وفي الأخير خلُصت من القضية بإنذار، أي بضربة صغيرة فوق اليد».

«لكنكم، قمتمُ باعتقال سايمن ويكفيلد بعد وفاتها».

«أجل. لكننا كنا نريد أن نحمي أنفسنا فحسب. فجأة، بدا أننا ارتكبنا خطأً فظيعاً. امرأة شابة تُصرِّحُ أنها تعرضت لاغتصاب، ثم تعترف أنها كذبت، غير أنها تؤكد أن صاحبها هو نوع من الدكتور جيكيل ومستر هايد، الذي كان يعاملها بعنف. ووقتاً قصيراً بعد

ذلك، يُعثر عليها ميتة. ولو تبيَّنَ أنه قتلها فعلاً، كنّا سنجد أنفسنا في ورطة كبيرة. وحتى لو كان انتحاراً، فالشرطة كانت ستُعطي الانطباعَ بأنها لم تُحسن معاملتها، أليس كذلك؟ في الحالتَين معاً، كان من الأفضل أن نعتقل أحداً ما».

«بتعبير آخر، لقد تصرفتُم بشكل آليّ».

«آه، لا تسيئي التقدير. ربما كان رؤسائي لديهم أسباب للمطالبة بعملية اعتقال، غير أن فريقي قام بعمله بشكلٍ جيد عند استجواب سايمن ويكفيلد. لم نعثر على أيٍّ عنصر يسمح بتأكيد ارتباطه، سواء عن قرب أو عن بعد، بموت إيما. خطأه الوحيد كان قراره، في البداية، بالاستقرار معها في بيت واحد. ولا يمكنني أن ألومه على ذلك. ومثلما قلتُ لكِ، فإن رجالاً أكبر منه سنّاً، وأكثر حصافة منه، وقعوا ضحية سحرها».

يعقد حاجبَيه.

«غير أني سأقول لكِ ما كان غير معتاد في تلك القضية. أغلبية الناس، عندما يُكتشَفُ أنهم يكذبون على الشرطة، يتراجعون في الحال. أما إيما، فقد أجابَت بكذبة جديدة. أكيد أن محاميها أوحى لها بذلك، لكن على الرغم من هذا، لم يكن ردَّ فعلٍ مألوفاً».

«كيف ماتت، في رأيك؟».

«هناك احتمالان. الأول: انتحرَت».

«لأنها كانت تعاني من الاكتئاب؟».

يهزُّ رأسه نافياً.

«أمرٌ بعيد الاحتمال. أعتقد أن أكاذيبها انتهت إلى الإيقاع بها».

«والاحتمال الثاني؟».

«هو الاحتمال الأرجح».

أعقدُ حاجبيَّ بدوري.

«ماذا تقصد؟».

«لم تُفكّري نهائياً في أن ديون نيلسون يمكن أن يكون قد قتلها».

هو على حقّ. هيمَنَ إدوارد وسايمن على اهتمامي، فلم أُفكِّر في أن شخصاً آخر قد يكون قتلها.

«كان نيلسون، ولا يزال وفق علمي، منحرفاً خسيساً»، يُضيف كلارك. «حوكم بسبب أعمال عنف منذ سنّ الثانية عشرة. كادت إيما أن تسجنه بسبب حكاية مُختلَقة، وكان من دون شكّ يرغب في الانتقام».

وبعد صمتٍ، يضيفُ:

«ثم إن إيما كانت تؤكد أن نيلسون قام بتهديدها».

«حقّقتُم في الأمر؟».

«سجّلنا شكايتها».

«هل هذا يعني الأمر نفسه؟».

«كانت قد اعتُقلت لأنها أعاقت عمل الشرطة. فهل تعتقدين أننا كنا سنهرعُ للتحقق من جميع أقوالها؟ مجردُ اتهامنا لنيلسون بالاغتصاب كان يُعطي الانطباع بأننا قد بالغنا في الأمر. بالإضافة إلى محاميته التي كانت تتهمنا بالملاحقة العنصرية. كلُّ هذا كان يجعلنا نتحفّظُ من توجيه أيِّ اتهام له من دون حجج قوية».

أُفكِّرُ.

«حدِّثني عن ذلك الفيديو، الذي كان يوجد في هاتف إيما. كيف أمكن لكم أن تعتقدوا أن الأمر يتعلق بمشهد اغتصاب، بينما لم يكن كذلك تماماً؟».

«لأن المشهد كان عنيفاً. قد أكون عتيقاً في تمثلاتي لهذه الأشياء، غير أني لا أفهم كيف يمكن للمرء أن يجدَ لذة في هذا الشكل من الممارسة. غير أن ما تعلّمتُهُ أثناء خمسة وعشرين عاماً من العمل في الشرطة هو أننا لا نستطيع أن نفهم الحياة الجنسية لدى الآخرين. يشاهد شبابُ اليوم كلَّ تلك الأفلام الإباحية المقرفة والعنيفة في الإنترنت، ويتسلّون بإنجاز هذا الصنف من الفيديوهات بواسطة هواتفهم المحمولة. رجالٌ يعاملون النساء باعتبارهنّ مجرد أشياء، ونساءٌ يقبلن بذلك. لماذا؟ هذا أمرٌ يتجاوزني، في الحقيقة. لكن في حالة إيما، هذا هو ما حصل. ومع أقرب صديقٍ لصاحبها، فوق ذلك».

«من تقصد؟»

«شخصٌ اسمهُ سول أسكوي، كان يعمل في الشركة نفسها التي تعمل بها إيما. كانت محاميةُ نيلسون قد وظّفَت محقّقاً خاصّاً للعثور عليه وإقناعه بكتابة إفادة. طبعاً، أسكوي لم يكن قد ارتكبَ أيَّ جريمة، لكن ذلك لم يكن يمنع من الاستفادة من شهادته».

«لكن إن يكن ديون نيلسون من قتل إيما..».

يظلُّ ذهني متعلّقاً بنظرية كلارك.

«... كيف دخل إلى البيت؟».

«هذا، أجهلُهُ».

يضعُ المفتّشُ السابقُ كأسه الفارغ.

«تنطلق حافلتي بعد عشر دقائق. سأضطرُّ إلى توديعكِ».

«وَنْ فولغيت ستريت مُجَهَّزٌ بنظام أمنيٍّ شديد الفعالية»، أقول.

«بل إن هذا أحد الأمور التي كانت إيما تحبُّها في هذا البيت».

«شديد الفعالية؟»، يسخر كلارك. «قبل خمسة عشر عاماً ربما.

أما في أيامنا هذه، فكلٌّ نظام مرتبط بالإنترنت، لا يُعتبر غير قابل للاختراق بشكلٍ مطلق. من السهل جدّاً قرصنته».

فجأة، أسمعُ صوتَ إدوارد داخل رأسي: **كان ماء رشّاش الحمّام يسيلُ عندما اكتشفوها. غالباً ما كانت تنزل السلالم بسرعة وقدماها مبللتان...**

«لماذا كان ماء الرشاش يسيل؟»، أسألُ.

يبدو كأن سؤالي يُربِكُ كلارك.

«عذراً؟».

«رشّاشُ الماء. يُتحكَّمُ فيه بواسطة سوار».

أُريهِ السوارَ حول معصمي.

«يتعرّفُ إليك عندما تدخل ويضبطُ حرارة الماء وفق اختياراتك. وعندما تخرج، يتوقّفُ الرشّاشُ بشكل ذاتي».

يرفع كتفيه.

«لا علم لي».

«والمعطيات الأخرى التي سجّلها وَنْ فولغيت ستريت؟ كاميرا الأنترفون وكل البقية؟ هل فحصتموها؟».

يهزُّ رأسه نافياً.

«عندما اكتشفنا إيما، كان ذلك بعد انصرام ثمانية وأربعين ساعة على موتها. وكان القرصُ الصلب قد امّحى بشكل أوتوماتيكي. الكثير من الأنظمة الأمنية تشتغلُ بهذه الطريقة، لاقتصاد فضاء التحميل. يمكن أن نندم على ذلك، ولكن هكذا هي الأمور».

«حدث شيءٌ ما مع البيت. لقد قام بدور، أنا واثقة».

«ربما. ذاك لغزٌ لن يُحَلَّ أبداً، أفترضُ».

ينهضُ ويأخذُ قفّةَ التسوّق. أقلِّدُهُ. وبينما أهُمُّ بمصافحته، أتفاجأ به يميل عليّ ويضع قبلة على خدّي. تفوح من ملابسه رائحة جعّةٍ خفيفة.

«كنتُ سعيداً بلقائك، جين. وحظّاً موفّقاً. بصراحة، لا أعتقد أنكِ ستعثرين على شيء أفلتَ منّا، لكن إن يكن الأمر كذلك، أيمكنكِ أن تُطلعيني على الأمر؟ لا يزال يشغلني ما حدث لي مع إيما. ولا أستطيع أن أقول مثل هذا عن قضايا كثيرة».

الأمس: إيما

كان وَنْ فولغيت ستريت ذات زمانٍ واحةَ أمنٍ وسلام. لم يعد الآن كذلك. صارَ هذا البيتُ يُفرزُ انطباعاً بالاختناق والعنف. كأنه غاضبٌ مني.

لكن من الواضح أنني إنما أقوم بإلصاق مشاعري فوق هذه الجدران العارية. الناس هم الغاضبون مني، وليس البيت.

يجعلني هذا أفكِّرُ في إدوارد، ويركبني الرعبُ بسبب الرسالة التي سلّمتُها إياه. أبعثُ إليه برسالة نصية قصيرة. **أرجوكَ، لا تقرأها. اِرْمِها**. وهذا سيحثُّ يقيناً أغلبَ الناس على قراءة الرسالة، لكن إدوارد لا يشبه أغلبية الناس.

غير أن هذا لا يحُلُّ المشكل. عاجلاً أم آجلاً يجب أن أحدِّثه عن سايمن، وسول، ونيلسون، والشرطة. وليس في الإمكان القيام بذلك دون أن أعترف له بأني قد كذبتُ عليه. مجرد التفكير في هذا، يبعثُ فيّ الرغبة في البكاء.

أسمعُ صوتَ أمي، وتلك الجملة التي كانت تقولها لي كلما ضبطتني متلبِّسة بالكذب.

الكذّابون ليس من حقّهم البكاء.

وكانت هناك أيضاً أغنية للصغار، تُنشدها لي، قصة طفلة صغيرة اسمها ماتيلدا، كانت تنادي دائماً على رجال المطافئ، فلم يُصدِّقوها يوم اشتعلت النيرانُ حقيقة.

لأنها كلما صاحت: «النار!»
يُجيبونها: «أيتها الكذابة الصغيرة!»
وهكذا، عند عودة عمّتها،
كانت ماتيلدا والمنزل قد تحوّلا إلى دخان.

لكنني أخذتُ بثأري. في الرابعة عشرة، توقفتُ عن الأكل. شَخَّصَ الأطباء مرضَ فقدان الشهية، غير أني كنتُ أعلمُ أنني لم أُعانِ يوماً من اضطرابات في التغذية. إنما كنتُ أريد أن أُثبتَ لأمي أني أملكُ إرادةً أقوى من إرادتها. وسرعان ما قلقَ جميعُ من في البيت عليّ، بخصوص تغذيتي، ووزني، وعدد السعرات الحرارية التي كنتُ أبلعها. هل قضيتُ يوماً طيّباً أم لا، هل لا أزال أحيضُ، هل أعاني من دُوار، أو من زغب رقيق ينمو فوق الذراعَين والخدّين؟ كانت الوجبات تتمدَّدُ طولاً؛ كان والدايَ يتوسّلان مرة بالملاطفات، ومرة بالابتزاز، وأخرى بالتهديد، لإقناعي بأن أتناول لقمة واحدة. كان من حقي أن أختلق حمياتٍ تزداد هذياناً كل يوم، لأن الاعتقاد كان أني سآكلُ أكثر إن وجدتُ طعاماً يُعجبني. وهكذا، مدَّةَ أسبوع، لم آكل سوى شرائح بطاطس مقلية، مع حساء الأفوكا. أو سلطة الجرجير والإجاص، ثلاث مراتٍ في اليوم. كان أبي دائماً بعيداً عني، ولا يبالي بي، لكن ما أن وقعتُ مريضة حتى صرتُ أولويته رقم واحد. أُرسِلتُ إلى عيادات خاصة مختلفة حيث

كانوا يُحدِّثونني عن قلة تقدير الذات وعن ضرورة النجاح في مجال معيّن.

توقفتُ عن كل ذلك يوم نظرت إليَّ طبيبة نفسية حاذقة مباشرةً في عينَيّ وقالت لي: أ) إنها تعلمُ جيّداً أني أتلاعبُ بالآخرين، وب) إن لم أشرع في تناول الغذاء سريعاً جدّاً، فسيفوت الأوانُ. يبدو أن فقدان الشهية يُغيِّرُ طريقة اشتغال الدماغ. يتبنّى المرء صيغَ تفكيرٍ تُعلنُ عن نفسها في اللحظة التي لا تنتظرها نهائياً. ولو بقيتَ في تلك الحال مدة طويلة، فإنك تحتفظ بصيغ التفكير تلك حياتك كلَّها. مثلما يحدثُ في تلك الحكاية القديمة حيث تتغيَّرُ الريحُ كلما تعقد حاجبيك.

لم أعد أعاني من فقدان الشهية، لكنني بقيتُ نحيفة. واكتشفتُ أن الناس يعشقون ذلك. الرجالُ، على وجه الخصوص، كانوا حريصين على حمايتي. كانوا يخالونني هشّةً، بينما أنا في الحقيقة أملكُ إرادة حديدية.

لكن أحياناً، عندما يُفلِتُ مني زمامُ الوضع، مثلما يحدث الآن، أتذكَّرُ الشعورَ اللذيذ، والمُرْضِيَ، الذي كان يغمرني عندما كنتُ أتوقّفُ عن الأكل. أن أعلمَ أني أتحكَّمُ في مصيري، أخيراً.

في هذه اللحظة، لا أزالُ أستطيعُ أن أُقاوم الغوايةَ. غير أنني أشعر بفراغٍ في جوف معدتي وإحساس بالغثيان كلما أعدتُ التفكير فيما جرى. **لديّ هنا إفادات تحت اليمين قدّمها أصدقاؤكِ**... كَمْ هُمْ؟ مَنْ، غير سول، قدَّمَ إفادة؟ أفترضُ أن الأمر لم يعد يكتسي أهمية. سينتشر الخبر في أرجاء العمارة.

وستعرفُ أماندا، أعزُّ صديقاتي، أن زوجها قد مارس الجنس معي.

أُرسِلُ بريداً إلكترونياً إلى مكتب الموظفين لأخبر بكوني مريضة. يجب أن أتجنّب الذهاب إلى العمل ما دمتُ لم أتبنَّ استراتيجية محدَّدة.

ولأشغلَ نفسي، أَتبَرَّعُ للبيت بحصّة تنظيفٍ هو في أمسِّ حاجة إليها. ومن دون تفكير، أتركُ الباب الخارجيَّ مشرعاً بينما أُخرجُ القمامةَ. وعندما أسمعُ صوتاً من خلفي، ألتفتُ بسرعة، وقد بلغَ قلبي حنجرتي.

وجهٌ صغير جدّاً، نحيل مثل هيكل عظميٍّ، يرفعُ نحوي عينَين مُفَتَّحتَين، مثل عينَي قرد صغير. هرَّةٌ صغيرة، من فصيلة السيام. وعندما تراني، تجلس فوق أرضية البيت الحجرية، في هيئة من ينتظر، كأنها تدعوني إلى أن أفهم أنني أنا من يتوجّبُ عليه أن يعثر على صاحبها الآن.

– من أنت؟ أسألها. تكتفي بالمواء. لا تُبدِ أيَّ علامة خوفٍ، ولا تعترضُ حين أرفعها من الأرض. ليست سوى جلد على عظم، لكن زغبها ناعمٌ مثل جلد الأيل. وما أن تستقرَّ بين ذراعَيّ، حتى تشرع في المواء بقوة.

– ما الذي سأصنعه بك؟

أذهبُ لأطرقَ الأبوابَ، حاملة الهُريرة. لم يسبق لي، إلى اليوم، أن التقيتُ بأحد الجيران. أُلقي التحية أحياناً على أُسرة هندية تُدير حانوتَ بقالة في زاوية الشارع، وعلى شابة بولونية تعمل في ستاربكس، قريباً من محطة الميترو، لكن هذا كلُّ شيء.

أدقُّ الجرسَ سُدى. فالزوجان، في هذا الصنف من الأحياء، يضطرّان للعمل كلاهما، لأداء ثمن القرض أو الكراء. لكن عندما

أصلُ إلى البيت رقم 3، تفتح لي البابَ امرأةٌ ذات شعر أشقر، ونمشٍ، وهي تمسح يديها المليئتَين بالدقيق فوق مئزرها. أشاهد، من خلفها، مطبخاً وطفلَين، أشقرَين كذلك، يرتديان هما أيضاً مئزرَين.

- نهارك سعيد، أقول.

ترى الهريرة التي لا تزال تموء بتلذّذ بين ذراعَي.

- أوه، أنتِ رائعة، صغيرتي، تقول للقطة.

- ألا تعلمين من هو صاحبها، بالمناسبة؟ لقد دخلت إلى بيتي.

تهزُّ رأسها نافية.

- لم أسمع بأحدٍ يملكُ هرّةً في هذه الناحية. أين تسكنين أنتِ؟

- في رقم 1، أقولُ وأنا أشير إلى الباب المجاور.

- في قبو الفوهرر؟ أوه، في نهاية المطاف، لا بدَّ أن يسكن هناك شخص ما. بالمناسبة، اسمي ماغي إيفانس. تفضّلي بالدخول. سأطلبُ الأمّهات الأخريات.

ما أن دخلتُ حتى شرع الطفلان في التدافع من حولي وهما يتصايحان. ويسألان إن كانا يستطيعان ملاطفة الهريرة. تُرسلهما أمُّهما ليغسلا أيديهما أولاً. أنتظر بينما تُكلِّمُ بعض الجيران في الهاتف. فجأة، يطلعُ من قبوٍ ثلاثةُ عمّالٍ يعتمرون خوذاتٍ، ويعبرون المطبخ واحداً بعد الآخر ليضعوا فناجين قهوة فارغة فوق الحوض. مرحباً بكِ في مارستان المجانين، تقولُ ماغي إيفانس بعد أن تُقفل الهاتف، غير أني، على العكس، أجدُ الطفلَين والعمّالَ الثلاثة جدَّ مؤدَّبين.

- لم يُحالفني التوفيق، تُعلنُ ماغي إيفانس، بعد أن وضعت

سمّاعةَ الهاتف. كلووي، تيم، أتُوافقان على صنع إعلانات صغيرة «عُثِرَ على قطة صغيرة»؟

يوافقُ الأطفالُ بحماس. تريد كلووي أن تعرف لو في مستطاعهم الاحتفاظ بالقطة في حال لم يطالب بها أحدٌ. تُجيبُ ماغي بلهجة حاسمة أن هذه الهُريرة ستصير بعد مدة قصيرة قطةً كبيرة ستلتهمُ هكتور. من هو هكتور؟ لن أعلم هذا أبداً. وبينما يرسم الطفلان اللافتات الصغيرة، تُعِدُّ ماغي الشّايَ وتسألني منذ متى أسكن في وَنْ فولغيت ستريت.

- في البداية، لم نكن لصالح هذا البيت، تعترفُ لي. لا ينسجمُ مع المنازل الأخرى في الحيِّ. والمهندسُ كان كريهاً جدّاً. نُظِّمَ اجتماعٌ لإطلاعه على مخاوفنا. ظلَّ واقفاً، دون أن ينبس بكلمة واحدة. ثم انصرفَ ولم يُغيِّر أيَّ شيء. لا شيء! أُراهنُ أن الحياة بداخله جحيمٌ.

- في الواقع، البيتُ جدّ مُريح، أقولُ.

- تعرفتُ إلى إحدى المكتريات السابقات، كانت لم تعد قادرة على الصبر أكثر. صمدَت أسابيع قليلة بعد ذلك فحسب. كانت تقول إن ذلك البيت قد انقلبَ ضدَّها. توجد مجموعة من القواعد الغريبة، أليس كذلك؟

- قواعد معدودة، لكنها معقولة، أُجيبُ.

- أنا، لن أستطيع. تيمي! لا تأخذ الأواني الخزفية لتستعملها في الصباغة. ما هي مهنتكِ؟ تسألني.

- أعملُ في التسويق. لكنني الآن في إجازة مرضية.

- أوه.

تتأملني، حائرة. من الواضح أنني لا أبدو مريضة. ثم تُلقي نظرة قلقة جهة الطفلَين.

- لا تقلقي، فالمرض ليس معدياً، أقولُ. أخفضُ صوتي. إنه العلاج الكيميائي. يُرهقني.

وفي الحال، يتركُ القلقُ مكانه للشفقة في عينَيها.

- أوه، المسكينة. . . أنا آسفة.

- لا، لا، أنا بخير. أنا بأحسن حال. أقول، بشجاعة.

وعندما أنصرفُ، حاملة كومة من الإعلانات الصغيرة من صنع الطفلَين «**هل هي قطتكم؟**» والهريرةَ نفسَها، نكون أنا وماغي قد صرنا صديقتَين.

وعند العودة إلى وَنْ فولغيت ستريت، تشرعُ القطة في استكشاف البيت واكتساب الثقة. ترتقي السلَّم بقفزات صغيرة، مثل نمر، إلى أن تصل الغرفة. وعندما أنطلق للبحث عنها، أعثر عليها ممدّدةً فوق فراشي، سادرة في نوم عميق، وقد رفعت إحدى قوائمها في الهواء.

وأنتبهُ إلى أني قد اتخذتُ قراراً يتعلق بالعمل. أُخرجُ هاتفي وأُركِّبُ رقم الاستقبال.

- فلوو ووتر سابلايز، في الاستماع.

- أريد الحديث إلى هيلين في مكتب الموظفين، من فضلك.

صمتٌ. ثم أسمعُ صوتَها:

- ألو؟

- هيلين، أنا إيما ماتيوس. أريد أن أقدِّمَ شكايةً ضد سول أكسوي.

الآن: جين

إن كان العثور على أثر المفتّش كلارك سهلاً، فإن العثور على العنوان الإلكتروني لسول أسكوي أسهل بكثير. عند رقنِي اسمه، متبوعاً بـ«فلوو ووتر سابلايز»، على غوغل، أعلمُ أنه غادر هذه الشركة منذ ثلاث سنوات. لقد أصبح مؤسِّس فولكاينو ومديرها العام، ماركة جديدة من الماء المعدني، توجد منابعُها -وفق موقع تابعٍ في الإنترنت- تحت بركان نائم في جزر فيجي. تُظهِرُ صورةٌ رجلاً وسيماً، أسمر البشرة، حليق الرأس، بأسنان شديدة البياض، وماسة في الأذن. أبعثُ إليه رسالتي الإلكترونية التي صارت نموذجية: **عزيزي سول، أعتذر عن الكتابة إليك من دون سابق معرفة. أقوم بأبحاث حول ساكنة سابقة في البيت الذي أعيشُ فيه، وَنْ فولغيت ستريت...**

أصبحنا اليومَ جميعاً على اتّصال، أقولُ لنفسي وأنا أبعثُ برسالتي في الفضاء الرقمي. غير أنني، ولأول مرة منذ شرعتُ في هذا البحث، ألاقي صدّاً، حيث يصلني الجوابُ سريعاً، لكنه رفضٌ.

شكراً على رسالتك. أرفُضُ الحديثَ عن إيما ماتيوس. مع أيٍّ كان. سول.

أُلِحُّ.

سأكونُ قرب مكتبك غداً مساء. قد يكون في إمكاننا أن نذهب لتناول كأس سريع معاً؟

هذه المرة، أُضيفُ معلوماتي على ماسنجر. وفق الأشياء القليلة التي أعرفها عن سول أسكوي، فأنا مستعدة لأن أراهن على أنه سيذهبُ لفحص معلوماتي على فيسبوك. وأنا زاعمةٌ بأنه سيقبلُ، ربما، أن يتناول كأساً معي آخر الأمر.

والجواب الثاني، فعلاً، أكثر إيجابيةً.

حسنٌ. أمنحُكِ نصفَ ساعة. موعدنا في حانة زيبرا بشارع دوتون على الساعة الثامنة مساء.

أَصِلُ قبل الموعد وأطلبُ صودا بالليمون. ازداد حجمُ نهدَيّ وأذهبُ إلى المرحاض بوتيرة أكبر. باستثناء هذا، لا يمكن لأي أحد أن يُخمِّنَ أني حامل. وعلى الرغم من أنَّ مِيَا تؤكد أني أبدو على أحسن حال، بل مشرقة، كما تقول، فإنني لا أحسُّ بذلك عندما أتقيّأ في الصباح.

ما يلفت نظري لأول وهلة، في سول أسكوي، مجوهراتُهُ. فعدا الماسة في الأذن، يحمل حول عنقه سلسلة ذهبية رقيقة مدسوسة في فتحة صدر القميص. ويتجاوزُ زِرّا الكمّين سترةَ البدلة، ويضعُ خاتماً في يده اليمنى، وكذلك ساعة نفيسة في معصمه الأيسر. يتضايقُ من كوني قد طلبتُ كأساً قبل حضوره، ومن غير كحول، فيُلِحُّ عليّ أن أتناول كأس شمبانيا، قبل أن يتراجع ويطلب كأساً لنفسه.

يختلف سول عن سايمن ويكفيلد أشدَّ ما يكون الاختلاف. ويختلف إدوارد مونكفورد عن هذين الرجلَين. يصعبُ التصديقُ أن إيما كانت لها علاقة بالثلاثة. فبينما يرغب سايمن في الإرضاء، لكنه

مرتابٌ وقليل الثقة في نفسه، وبينما إدوارد هادئٌ وكلُّهُ ثقة في الذات، فإن سول سلطويٌّ، ووقِحٌ، وكثير الكلام. لديه عادة مرضية بختم جُمَلِهِ بقول «هيه؟» بلهجة عدائية، كأنه يريد أن يُرغمني على أن أتفق معه.

«شكراً على قبولكَ اللقاء بي»، أقول بعد تبادل معتاد للكلام. «أعلمُ أن بحثي يمكن أن يبدو غريباً، بما أنني لم أكن أعرف إيما. ولكن لديّ إحساسٌ أن لا أحد كان يعرفها حقيقة. كلُّ واحدٍ ممّن سألتُهُم عنها رسمَ لها صورة مخالفة».

«أنا لم آتِ إلى هنا من أجل هذا، هيه؟ لا أتحمَّلُ الحديث عنها، واليوم كذلك».

«لماذا؟».

«لأنها كانت مجنونة»، يُصرِّحُ ببرودة. «وجعلتني أفقدُ عملي. هذا لا يعني أنني نادمٌ عليه، فقد كان عملاً بئيساً، لكنها كذبت بخصوصي، وهذا لا أستطيع أن أقبلهُ».

«ماذا فعلت؟».

«صرّحَت لمدير الموارد البشرية أنني جعلتُها تشرب الخمر، وأرغمتُها على علاقة جنسية معي. وأكّدت، من بين أمور أخرى، أنني وعدتُها بمساعدتها على الالتحاق بمصلحة التسويق إن هي قبلت أن أضاجعها. وادّعَت أنها رفضَت، وأنني لم أتحمَّل ذلك. وما حدث هو أنني حدَّثتُ في موضوعها مديرَ التسويق، فعلاً، محاولة مني أن أساعدها، لكن ذلك كان بعد أن مارسنا الجنس معاً. للأسف، فإنها وجّهت إليّ تلك الاتهامات قبل أن يُكتَشَفَ أنها كانت قد اعتُقِلت بسبب بلاغ كاذب بالاغتصاب، هيه؟ وبالإضافة إلى كل ذلك، كان يوجد في مقرّ العمل مجموعة من الفتيات الغاضبات مني

منذ أن اكتشفنَ أموراً معيّنة. من دون الحديث عن زوجتي، زوجتي السابقة الآن، التي كانت تريد القضاء عليّ. الخلاصة، كنتُ منتهياً. في الواقع، كان ذلك أفضل أمر وقع لي في حياتي كلها، لكنني في تلك اللحظة لم أكن أستطيع أن أعلم ذلك، هيه؟».

«إذاً، إيما وأنتَ، كانت بينكما... علاقة؟».

فوق منضدة الحانة آنيةٌ صغيرةٌ مليئة بالفول السوداني المملّح، وأُمسِكُ نفسي بصعوبة حتى لا أنقضَّ عليها بينما يتحدث سول. أُبعِدُها عني.

«مارسنا الجنسَ مرتين، هذا كل شيء. أثناء تنقّلٍ مهنيٍّ حيث كان علينا أن نمضي ليلةً في الفندق. كنا قد غالينا في الشرب، وأفلتَ منّا الزمام».

يلوي وجهه.

«اسمعي، أنا لستُ شديد الفخر بتلك الحكاية. سايمن صديقي؛ أو على الأصحّ كان صديقي، قبل كل هذا. لكنني لم أعرف أبداً كيف أقول لا، وهي التي ما كانت تني عن إثارتي، صدّقيني. في الواقع، كانت تريد أن نستمرَّ؛ مع أنني كنتُ قد قلتُ لها إننا قد تسلّينا جيداً ويجب أن نتوقَّفَ عند ذلك الحدّ. إنما كان يستهويها الخطر، في رأيي. كانت تحبُّ أن تفعل ذلك من وراء سايمن. وأماندا. أتريدين الحقيقة؟ لقد أدّيتُ خدمةً لسايمن في نهاية الأمر، على الرغم من أنه لم ينظر أبداً إلى الأمور بهذه الطريقة».

«بقيتما على اتصال، أنتَ وسايمن؟».

يُحرِّكُ سول رأسه نافياً.

«لم يُكلِّم أحدُنا الآخر منذ سنوات».

«أنا مجبرة على أن أطرح عليكَ السؤال. . . بعض من شاهد الفيديو في هاتف إيما أخبرَني أن الأمر كان عنيفاً».

لا يبدو متضايقاً. «أجل. كانت تحب ذلك. مثلها مثل أغلب النساء». ينظر إلى عينيَّ مباشرة. «أحبُّ النساء اللواتي يعرفن ما يُردن».

تسري الرعشاتُ في جسدي، وأجتهدُ في ألّا يظهر عليّ شيءٌ من ذلك.

«لكن ما الحاجة إلى الفيديو؟».

«للتسلّي. الجميع قام بذلك مرةً، هيه؟ فيما بعد، أكَّدَت لي أنها مَحَتهُ، لكن من الواضح أنها احتفظت به. ذاك مزاجها. لا بدَّ أنها كانت تشعر بالرضى لكونها تملكُ شيئاً من هذا القبيل، شيئاً يمكن أن يقضي على كلّ حياتها وحياتي لو اطّلع عليه أحد. نوع صغير من السلطة. كان عليّ أن أتأكّد من الأمر. لكنني كنت انتهيتُ منها وانتقلتُ إلى أمر آخر».

«هل سبق أن ضبطتَها تكذبُ بخصوص موضوعات أخرى؟ أسَرَّ لي عددٌ من الأشخاص أنها لم تكن تقول دائماً الحقيقة».

«مثل جميع الناس، أليس كذلك؟».

يرتخي في جلسته فوق كرسيّ الحانة، ويبدو مستريحاً.

«لكنني لاحظتُ أنها كانت تُخرجُ أموراً بليدةً في بعض الأحيان. أخبرني سايمن أنها كادت أن تُصبح عارضة أزياء، حيث كانت وكالة مشهورة جدّاً حريصة على توظيفها، لكن إيما كانت قد قرّرَت أن تلك مهنة لا تناسبها. هراء. كأنها كانت تُفضِّلُ وظيفة ملحقة صحافية بشركة تبيع الماء المعدنيّ. أما أنا، فقد حكَت لي أن مُصوِّراً اعترضها ذات يوم في الشارع، لكنها وجدت أن مظهره

يوحي بأنه منحرف، فلم تُسايرهُ في الأمر. وهذا جعلني أفكِّرُ: ما هي الرواية الصحيحة؟ أحياناً كانت تُبالغُ لتخلق أثرها فحسب، وأحياناً أخرى كانت تذهبُ حدَّ اختلاق عالم متخيَّل... لكن هذا لا يعني شيئاً»، يُضيفُ، «فلو سمعتني أناقش بائعي التقسيط، لأمكنك أن تعتقدي أني أتصرَّفُ بمليون جنيه في أعمالي. إن ما يهمُّ هو أن تُقنِع، هيه؟».

يُنهي كأس الشمبانيا.

«طيّب، لنتوقَّفْ عن الحديث عنها، هيه؟ سنطلبُ قنينةً ونتحدّثُ عنكِ. ألم يقل لك أحدٌ من قبل إن لكِ عينَين رائعتَين؟».

«شكراً»، أقولُ وأنا أنهضُ من الكرسيّ. «لديّ موعد، لكنني ممتنّة لقبولكَ اللقاء بي».

«ماذا؟»، يتعجبُ وهو يتظاهر بالدهشة. «تغادرين الآن؟ بمن ستلتحقين؟ صاحبك؟ لم نكد نبدأ. اجلسي. سنطلب كوكتيلات، هيه؟».

«لا، شكراً، أنا...».

«هذا أقلُّ ما يمكن أن تفعلي. ضحَّيْتُ من أجلكِ بوقتي، فأنتِ مدينة لي الآن. لنشرب كأساً، كأساً حقيقية».

يبتسمُ، غير أني ألاحظُ قسوةً ويأساً في عينَيه، مثل مُسْتَبِدٍّ هَرِمٍ يحاولُ أن يُذكِيَ اعتزازه بذاته بغزوات نسائية.

«لا، شكراً»، أقولُ بلهجة أكثر حسماً.

وبينما أنا لم أغادر الحانة بعد، يشرعُ هو في استكشاف القاعة بنظرة من عينَيه بحثاً عن هدف جديد.

الأمس: إيما

يُقالُ عن إدمان الكحول أن المدمن يصلُ إلى لحظة ينتهي فيها إلى أن يطأ القرار. لا أحد يستطيع أن يقول لك متى يجب عليك التوقف، ولا أحد يستطيع أن يُقنِعك. عليكَ أن تصل إلى القاع بنفسك، وأن تعي أنك وصلت إلى القاع، وعندئذ، عندئذ فحسب، تملكُ إمكانية أن تُفلتَ من الإدمان.

أنا بلغتُ قاعَ تلك المتاهة. اتهامي لسول لم يكن سوى حلٍّ مساعدٍ. لا شكّ في أنه استحق ذلك: فهو يطاردُ فتيات المكتب من وراء ظهر أماندا منذ أول يوم؛ الجميعُ يعلم أيّ صنف من الرجال هو، ويجب أن يضع شخصٌ حدّاً لتصرفاته. لكن، من جهة أخرى، أنا مضطرة إلى أن أواجه الحقيقةَ: سمحتُ له أن يُسكِرني وسمحتُ له أن يفعل بي ما فعل. كنتُ متضايقة من متطلبات سايمن العاطفية، ومن عبادته لشخصي من غير حدود؛ كان إحساسي بأن الآخر يرغب فيّ لدواعٍ أنانية وجنسية خالصة مثل نسمة هواء منعشة. غير أن هذا لا يُغيِّرُ شيئاً من أنَّ اتهامي له كان بليداً.

يجبُ أن أتغيّرَ. يجبُ أن أصيرَ شخصاً يرى الأمورَ بوضوح، وليس ضحيّةً.

قالت لي كارول ذات يوم إن أغلب الناس يستهلكون كلَّ طاقتهم في محاولة تغيير الآخرين، بينما الشخص الوحيد الذي يمكن للمرء أن يغيِّرهُ هو ذاته. وحتى هذا، أمرٌ بالغُ الصعوبة. أفهمُ الآن ما كانت تقصده بكلامها. أعتقد أني جاهزة لأن أكون شخصاً آخر. وليس تلك المرأة التي تتعاورُها جميعُ تلك المكاره فحسب.

أبحثُ عن بطاقة زيارة كارول لأتصل بها بالهاتف، لكنني لا أستطيع العثور عليها. لا أفهمُ كيف يمكن لأيِّ شيء أن يختفي في هذا البيت، ومع ذلك، هذا يحدث باستمرار، ملابس أو قارورة عطر كنت واثقة من أنني تركتُها في الحمّام. لم تعد لديّ القوة للبحث عن جميع تلك الأشياء.

غير أنني لا أستطيعُ أن أتغاضى عن الهُرير. على الرغم من اللافتات التي أنجزها الطفلان، لم يتصل بي أحدٌ من أجله -لقد قرّرتُ أنه ذَكَرٌ- وهو من جهته، يذهب ويجيء في البيت كأنه في منزله. يجب أن أجد له اسماً. طبعاً، أفكِّرُ في أن أسمِّيَه القطّ، مثلما هو الأمر في فيلم Breakfast at Tiffany's، ثم واتتني فكرةٌ أفضل. **أنا مثل القط هنا، ساذج من دون اسم. لا ننتمي إلى أحد ولا أحد ينتمي إلينا**. فلأسمِّهِ سلاب (ساذج). سأذهبُ لشراء طعام القطط ومؤناً أخرى من بقال الزاوية.

عند عودتي، ينتظرني شخصٌ أمام البيت. صبيٌّ فوق دراجة. في البداية، أظنُّه هنا من أجل سلاب. ثم أنتبهُ إلى أنه الصبيّ نفسه الذي سَبَّني بعد المقابلة في المحكمة. وعندما يراني، يبتسمُ ويُنزِلُ سطلاً عن مقود الدراجة. لا ليس سطلاً، وإنما وعاء طلاء، مفتوح مسبقاً. يرتكز على قدمَيه، ممتطياً دراجته، ويُلقي بوعاء الطِّلاء على جدار البيت الحجري، ذي اللون البنيّ الفاتح. فتظهر حزّةٌ حمراء،

شبيهة بجرح دامٍ، فوق واجهة وَنْ فولغيت ستريت. يسقطُ الوعاءُ مُحْدِثاً ضوضاء ويتدحرجُ فوق الأرض مُخَلِّفاً أثراً قرمزيّاً.

- أعرفُ أين تقطنين، يا عاهرة! يصيح بي وهو ينطلق بدراجته.

ترتعشُ يدايَ وأنا أُخرِجُ هاتفي المحمول لأطلب الرقمَ الذي أعطاني إياه المفتّش كلارك.

- أنا، إيما، أُغمغمُ. قلتَ لي أن أتصل بكَ في حال تكرّرَ الأمر... لقد قام للتوِّ بإلقاء وعاء طلاء على واجهة البيت...

- إيما ماتيوس. كأنه يُكرِّرُ اسمي ليسمعه الأشخاص الحاضرون بجانبه. لماذا تتصلين بهذا الرقم، آنسة ماتيوس؟

- أنتَ الذي سلّمتَني إياه، أتتذكّر؟ قلتَ لي أن أتصل بك إن وقعَت محاولة إرهابي...

- إنه رقمي الشخصي. إذا كان لديكِ ما تُعلِمين به، اتصلي بالمركز. سأعطيك الرقم. هل لديك ما تكتبين به؟

- وعدتَ أن تَحمِيَني.

- من الواضح أن الظروف قد تغيّرت. سأرسل إليك الرقم برسالة قصيرة.

نهاية المكالمة.

- وغد، أقول. أجهشُ بالبكاء، وأرخي دموع عجزٍ وخزيٍ. أقتربُ من البقعة الحمراء الكبيرة فوق الجدار، غير أني لا أعرف بتاتاً كيف أزيلها. وهذا يعني أنني يجب أن أتصل بإدوارد.

10. تعترف لكِ صديقةٌ أنها قضت عقوبة السجن بسبب سرقة في متجر. حدث ذلك من مدة طويلة، ومنذئذ استقامت في سيرتها. هل أنتِ:

- ❍ تعتقدين أن الأمر من دون أهمية، لأن كلّ واحد يستحق فرصة ثانية
- ❍ تُقدِّرين صراحتها
- ❍ بدوركِ، تعترفين لها بخطأ اقترفته من قبل
- ❍ تشعرين بالأسى تجاهها
- ❍ تُقرِّرين أنها ليست من صنف الأشخاص الذين تريدين أن يكونوا أصدقاءك

الآن: جين

أستقِلُّ الميترو لأعود إلى بيتي بعد لقائي مع سول أسكوي، متأسِّفة لكوني غير قادرة على دفع ثمن سيارة أجرة؛ أجد صعوبة متزايدة في تحمّل القذارة ورائحة الأجساد المبلَّلة والمتسخة في آخر النهار. لا أحد يتنازلُ لي عن مقعده، طبعاً، لكن عندما تصعد، في محطة كينغ كروس امرأةٌ أخرى حامل تدفعُ أمامها بطناً من ثمانية شهور وعلامة **رضيع في الداخل**، ينهض أحدُهم ليفسح لها مكاناً. تتهالكُ فوق المقعد متنهِّدةً بصوتٍ مسموع. **بعد شهور قليلة**، أقولُ لنفسي، **سأكون أنا**.

وَنْ فولغيت ستريت هو مسكني، وشرنقتي. وهكذا اكتشفتُ أن أحد الأسباب التي تمنعني من أن أُطلِعَ إدوارد على الخبر، هو أن جزءاً مني يخشى من أن تكون مِيَا على حقّ، وأن يطردني من البيت. أُردِّدُ على نفسي أن ردَّ فعله سيختلف مع طفله، وأن علاقتنا هي أقوى من قواعده الثمينة، وأنه سيقبَلُ بجهاز مراقبة الأطفال، والعربات، والأفاريز على الجدران، وبُسُطِ الألعاب، ومختلف الأمور المرتبطة بالأبوة. بل إني ذهبتُ إلى حدِّ مراجعة مراحل نموِّ الطفل في الإنترنت. فوفق طبيعة شخصية والديه من صنف أ،

المنضبطَين، فإن طفلنا سينام لياليه في شهره الثالث، ويمشي في أقل من عامٍ، ويكون نظيفاً في شهره الثامن عشر تقريباً. ومن ثَمَّ، فإن إدوارد لَن يكون مضطرّاً لتحمُّلِ هذه الفوضى مدّةً طويلة.

وعلى الرغم من ذلك، لم أجد الشجاعة للاتصال به.

وبطبيعة الحال، على الرغم من سكينة المحيط الذي أعيشُ فيه، لا يزالُ يتوجّبُ عليّ أن أواجِهَ مخاوفي الخاصة. وُلِدَت إيزابيل خرساء ولا تتحرّكُ. أرجو أن يكون هذا الطفلُ مختلفاً. لا أَنِي أتخيّلُ تلك اللحظةَ: الانتظار، والشهيق الأول، وتلك الصرخة الظافرة. ما الذي سأشعرُ به حينئذ؟ شعور بالظّفر؟ أم شيء ما أكثر تعقيداً؟ أحياناً، أتفاجأُ بنفسي أطلبُ الصَّفْحَ من إيزابيل، في ذهني. **أعدُكِ أنني لن أنساكِ. لا أحد يستطيع أن يأخذ مكانكِ. ستظلين دائماً طفلتي الأولى، ابنتي الصغيرة الحبيبة والغالية. سأبكيكِ دائماً**. لكن قريباً، سيكون هنا أحدٌ آخر يحتاج إلى الحبّ، فهل أمتلِكُ احتياطاً لا نهائيّاً من الحبِّ، لكي تظلَّ مشاعري نحو إيزابيل ثابتة، ولا تتغير؟

أحاولُ أن أُركِّزَ على مشكل أكثر استعجالاً: إدوارد. وكلما ردَّدتُ على نفسي أنني يجب عليّ أن أُكَلِّمَهُ، يُذكِّرُني صوتٌ صغيرٌ بداخلي أنني لا أعرف هذا الرجل حقيقة، والد طفلي. أعرف أنه رائعٌ فحسب، وهي طريقة أخرى لأقول إنه غريبٌ، ومهووس. لا أعرف بعدُ، إلى حدّ الآن، ما حدث حقيقةً بينه وبين إيما؛ أية مسؤولية، أخلاقية أو غيرها، يتحمَّلُ في موتها، أم أنَّ سايمن وكارول، كلٌّ بطريقته، مخطئان في موضوعه.

أعملُ دائماً بطريقةٍ منهجية وفعّالة، لذا أشتري ثلاثة رزمٍ من أوراق الملاحظات اللاصقة، بألوان مختلفة، وأُحَوِّلُ أحدَ جدران

قاعة الطعام إلى خريطة ذهنية عملاقة. أُلصِقُ ورقةَ ملاحظاتٍ تحمل كلمة **حادثة**، ثم على السطر نفسه: **انتحار**، **مقتولة-سايمن ويكفيلد**، **مقتولة-ديون نيلسون** و**مقتولة-شخص مجهول**. وأخيراً، وعلى مضض، أُلصِقُ **مقتولة-إدوارد مونكفورد**. وألصِقُ تحت كل واحدة أوراقَ ملاحظاتٍ أخرى، ورقةً لكلِّ دليلٍ يعضِّدُ تلك الفرضية. وعندما لا يكون لديّ دليل، أضعُ علامات استفهام.

ألاحظُ بارتياح أن تحت اسم إدوارد لا توجد سوى ورقتَين لاصقتَين. سايمن كذلك، الأوراق تحت اسمه أقلّ من أوراق الآخرين، على الرغم من أنني، بعد حديثي مع سول، أضطرُّ إلى أن أضيفَ تحت اسمه واحدةً مكتوبٌ فوقها: **انتقام بسبب خيانتها مع أفضل صديق؟؟؟**

وبعد تفكير، أضيفُ ورقة ملاحظات لاصقة إلى الصفّ الأول: **مقتولة-المفتّش كلارك**. لأنه هو أيضاً كان لديه دافعٌ للقتل، فانطلاءُ ادّعاء إيما عليه، كان سبباً في فقدان وظيفته. طبعاً لا أعتقد حقيقةً أنه مُذنِبٌ، مثله مثل إدوارد. غير أنه، من الواضح، أنه كان يهوى إيما، ولا أريدُ أن أستثني أيَّ احتمال قبل الأوان.

أثناء تفكيري في المفتّش كلارك، أنتبهُ إلى أنني نسيتُ أن أسألهُ إن كانت الشرطة تعرف بوجود ذلك الشخص الذي كان يلاحقُ إدوارد، جورغن كذا... أُضيفُ ورقةً لاصقة أخرى: **مقتولة-مُلاحِقُ إدوارد**. ثمانية احتمالات في المجموع.

أتأمَّلُ الجدار، فأُدركُ أن هذا لم يُفِدني في شيء. مثلما قال المفتّش كلارك: بناء النظريات، أمرٌ يختلفُ كلِّياً عن العثور على الدلائل. لا أملكُ سوى قائمة افتراضات، فلا غرابة أن العدالة لم تتمكّن من الحسم في القضية.

تُشكِّلُ ألوانُ أوراق الملاحظات اللاصقة نوعاً من عمل فنّيّ معاصر غير ثابت، فوق الجدار الحجريِّ الخالص. أنزعها وأنا أتنهّدُ وأُلقي بها في القمامة.

وبما أنها مليئة، أذهبُ لأُفرغها في حاويات التدوير الكبيرة الموجودة على جانب البيت، قرب الفاصل مع البيت رقم 3. تتدحرجُ النفاياتُ، أولاً الأكثر حداثة بالطبع، ثم الأكثر قِدَماً. أرى نزولَ لفافات أغذية الأمس، ومجلة **صانداي تايمز** لنهاية الأسبوع الأخير، وقارورة شامبو فارغة يعود تاريخها للأسبوع الماضي. ورسم.

ألتقطُ الرّسمَ. إنه التخطيط الذي رسمه لي إدوارد قبل أن يسافر، ذاك الذي كان يجدُهُ جيِّداً، لكنه لم يكن يريد الاحتفاظ به. كأنه رسمني ليس مرة واحدة، بل مرّتين. في الرسم الأول، رأسي مستديرٌ نحو اليمين. مرسومة تفاصيلُهُ بدقّة بالغة، بحيث يظهر ضغطُ عضلاتِ العنق وتجويفُ ترقوتي. لكن فوق هذا الرسم الأول، أو تحته، يوجد رسمٌ ثانٍ، مجرد خطوط سريعة بقلم الرصاص، موحية، مرسومة بقوةٍ وعنفٍ يثيران الدهشة. رأسي مستدير نحو الجهة الأخرى، فاغرة فمي كأني أتذمَّرُ. ويكتسبُ الرسمُ من هذين الوجهين الموليَين وجهتَين متقابلتَين، انطباعاً مثيراً بالحركة.

فأيُّهما الطِّرسُ، وأيُّهما الرسمُ المكتمِلُ؟ لماذا قال إدوارد إنه لا يجد فيه أيّ نقضٍ؟ هل كان لديه سببٌ يمنعُهُ من أن يُطلعني على هذه الصورة المزدوجة لشخصي؟

«أهلاً!».

أنتفضُ. امرأةٌ في الأربعينيات منشغلة هي كذلك بإفراغ قمامتها في رقم 3.

«آسفة. لقد أفزعتِني»، أقول. «طابَ نهاركِ».

تشيرُ إلى وَنْ فولغيت ستريت.

«أنتِ المكترِية الجديدة؟ اسمي ماغي».

أصافحها من فوق الشبّاك. «جين كافنديش».

«في الواقع، أنتِ بدورِكِ أفزعتِني بعض الشيء. خِلتُكِ لأوّلِ وهلةٍ الفتاةَ الأخرى. المسكينة».

تسري رعشةٌ في ظهري.

«كنتِ تعرفين إيما؟».

«كنّا نتبادل كلمات قليلة، لا شيء أكثر. لكنها كانت ودودة. شديدة الرقّة. ذات يوم، جاءت تحملُ قطة صغيرة عثرتْ عليها وثرثرنا بعض الشيء».

«متى كان ذلك؟»

تلوي ماغي وجهها.

«أسابيع قليلة فقط قبل... أنت تعرفين..».

ماغي إيفانس... أتذكّرُ الآن. ذُكِرَ اسمُها في الصحيفة المحلّية بعد موت إيما؛ كانت تشرح كيف أن الجيران يكرهون وَنْ فولغيت ستريت.

«تألّمتُ كثيراً لِما أصابها»، تقول ماغي. «كانت قد أسرَّتْ لي أنها كانت في إجازة مرضية بسبب مرضها بداء السرطان. عندما اكتشفوها، تساءلتُ إن لم يكن يوجد رابط... ربما لم يلائمها العلاجُ الكيميائي فانتحرَت. كانت قد أخبرتني بهذا بشكل سريٍّ، بطبيعة الحال، لكنني اعتبرتُ أن من واجبي أن أُخبر الشرطة بذلك. قالوا لي إنهم أخضعوها لتشريح طبيٍّ ولم يجدوا بها مرض السرطان. وأذكُرُ أني فكرتُ: إنه لأمرٌ فظيعٌ أن تُفلِحَ في تجاوز هذا المرض الرهيب وأن تموت في الأخير بتلك الطريقة».

«أجل»، أقولُ. لكنني في داخلي أفكِّرُ: **سرطان؟ كذبةٌ أخرى، لكن لماذا الكذب؟**

تواصلُ ماغي هذرها:

«كنتُ قد نصحتُها بأن تُخفيَ تلك القطة الصغيرة حتى لا يراها مالِكُ البيت. شخصٌ قادرٌ على بناء بيتٍ مثل هذا..».

تحاول أن تترك جملتها معلَّقةً، لكنها لا تستطيع أن تبقى صامتة أكثر من ثوانٍ معدودة، فتستأنف سريعاً الكلام عن موضوعها المفضَّل: البيت. مهما تَقُل، فمن الواضح أنها تبتهجُ بسكنها قرب بناية شهيرة.

«طيّب، يجب أن أذهب»، تقول أخيراً. «سأُحضِّرُ عصرونية الصِّغار».

أتساءلُ كيف سأُدبِّرُ هذا الجانبَ من الأمومة: أن يتوجّبَ عليّ وضع حياتي جانباً من أجل إعداد العصرونية وتبادل النميمة مع الجارات. أوه، هناك ما هو أدهى، أقول لنفسي.

أنظرُ إلى الرسم الذي ما زلتُ أُمسكه في يدي. أسترجع إيحاءً آخر، من آثار دروسي حول تاريخ الفنّ: جانوس، الإله ذو الرأسين. إله الازدواجية.

لكن، هل أنا فعلاً الموجودة في الرسم الثاني؟ أم أن الأمر يتعلق بِ... إيما ماتيوس؟

أنتظرُ إلى أن تنصرفَ ماغي، ثم أُفتِّشُ بتكتُّم بين النفايات القابلة للتدوير إلى أن أعثر على أوراق الملاحظات اللاصقة. كلُّها التصق بعضُها ببعض: مثل حلوى ألف ورقة خضراء، ووردية، وصفراء، لامعة. أُعيدُها معي إلى البيت، فلا يزال في إمكاني الاستفادةُ منها.

الأمس: إيما

أُرجئُ ما أمكنني لحظةَ عودتي إلى العمل. لكني يوم الجمعة، أقول لنفسي لا بدَّ ممّا ليس منه بدٌّ. أتركُ طعاماً لسلاب، وأُعِدُّ له فراشاً، وأخرجُ.

في المكتب، أُحسُّ بالنظرات تتعقّبني بينما أتجهُ نحو مكتبي. الوحيد الذي يخاطبني هو برايان.

- أوه، إيما، أنتِ بخير؟ ممتاز. يمكنكِ الالتحاق بنا في الاجتماع الشهري، على الساعة العاشرة.

أُخمِّنُ من طريقته في الكلام أن لا أحدَ أخبرهُ بشيء، لكن النساء قصةٌ أخرى. يتهرّبن من نظري. حيثما ولَّيتُ وجهي لا أرى سوى وجوهٍ منكبّة على لوحاتِ مفاتيح الحواسيب.

فجأة، أرى أماندا تسير نحوي بخطى حثيثة. أنهضُ في الحال، وأهرعُ إلى المرحاض. أعرفُ أن مواجهةً، حتماً، واقعةٌ بيننا، لكنني أُفضِّلُ أن تكون في خلوةٍ، بعيداً عن العيون المذهولة، والأفواه الفاغرة. ما أكاد أصلُ، والباب لمّا ينغلق بعدُ خلفي، حتى ينفتح من جديد، وبطريقةٍ شديدةِ العُنف، لدرجة أنه يصطدمُ بقوة بالدعامة المطاطية.

- يا إلهي، ما هذه الحكاية؟ تزأرُ أماندا.

- أماندا، أنصتي...

- لا، ليس هذا! لا تقولي لي إنكِ آسفة وكلَ تلك الترّهات الأخرى. كنتِ صديقتي ومارستِ الجنسَ مع زوجي. بل إنّكِ احتفظتِ في ذاكرة هاتفكِ بفيديو تمارسين معه الجنس الفموي! والآن، تجدين الجرأة على تقديم شكاية ضدّه؟ أيتها الكذّابة القذرة!

تلوِّحُ بيديها على بعد سنتيمترات من وجهي، وللحظةٍ، أظنُّ أنها ستضربني.

- وسايمن! تستأنف هجومها. كذبتِ عليه، وكذبتِ عليّ، وكذبتِ على الشرطة...

- لم أكذب فيما يتعلّقُ بموضوع سول!

- أوه، أعرفُ أنه ليس ملاكاً، لكن عندما ترتمي عليه نساءٌ مثلكِ...

- سول هو الذي اغتصبني، أقولُ.

تتوقّفُ في الحال.

- ماذا؟

أضيفُ بسرعة:

- سيبدو لكِ الأمرُ غريباً، لكنني أقسِمُ لكِ أنني هذه المرة أقولُ الحقيقة. وأعلمُ أني جزئياً مسؤولة عن ذلك. جعلني سول أشربُ الخمر، إلى درجة أني بالكاد كنتُ أستطيع الوقوفَ على قدمَيّ. لم يكن عليّ أن أتركهُ يفعل بي ذلك، كنتُ أعلمُ ما يريد الوصولَ إليه، لكنني لم أتصوّر أن الأمر سيبلغ ذلك الحدّ. بل إنني أتساءل إن لم يكن قد وضع شيئاً في كأسي. قال لي إنه سيرافقني إلى غاية غرفتي.

وفجأة، وقبل أن أفهم الذي يحدثُ، كان يحاول أن يأخذني بالقوة. احتججتُ، لكنه لم يكن يُنصتُ إليّ. . .

تقصفني أماندا بنظرتها.

- أنتِ تكذبين.

- لا. كذبتُ، أعترفُ. لكن هنا، أُقْسِمُ لكِ أنني أقول الحقيقة.

- لا، سول لن يقترفَ أمراً من هذا القبيل. لم يكن وفِيّاً، لكنه ليس بالمُغتَصِب.

لم تَبْدُ شديدةَ الاقتناع وهي تقول هذا.

- بالنسبة إليه، لم يكن الأمر اغتصاباً، أقولُ. وبعد ذلك، لم يتوقف عن ترديد أن العلاقة كانت رائعة. كنتُ ثملة إلى درجة أنني كنتُ أتساءلُ إن لم تكن ذاكرتي تخدعني. لكن بعد ذلك، أرسلَ إليّ شريط فيديو. لم أكن حتى انتبهتُ إلى كونه يُصوِّرُ من شدة سكري. كان يقول لي إنه يجد لذّةً كبيرة في مشاهدته. وأنا كنتُ أقولُ لنفسي إنه يمكن أن يُخبر سايمن بكل شيء، في أية لحظة. لم أكن أعلمُ ما عليّ أن أفعل. وأصابني الفزعُ.

- لماذا لم تُحدِّثي أحداً عن الأمر؟ تسألني، بارتياب.

- أُحدِّثُ مَن؟ كنتِ تبدينَ سعيدة في تلك الفترة، لم أشأ أن أكون التي تُحَطِّمُ زواجكِ. وأنتِ تعلمين مدى إعجاب سايمن بسول. لم أكن واثقةً من أنه سيُصدِّقني، وخصوصاً، لم أكن أعلمُ كيف سيكون ردُّ فعله عندما يعلمُ ما فعلهُ بي صديقُهُ المُفَضَّل.

- لكن لماذا احتفظتِ بذلك الفيديو؟

- ليكون دليلاً. كنتُ أجتهدُ في حشد شجاعتي لأبلِّغَ عنه الشرطة. أو على الأقل أن أخبر إدارة الموارد البشرية. لكن كلما

انتظرتُ أكثر، ازداد ذلك صعوبة. وعندما أشاهد تلك الصور، أنا نفسي أجدها غامضة. وكنتُ خجلةً من أن أعرضها على أحد. كنتُ أقول لنفسي ربما كان الأمرُ كلُّهُ ذنبي أنا. وعندما اكتشف رجالُ الشرطة ذلك الفيديو في هاتفي المحمول وافترضوا، أمامَ سايمن، أن الأمر يتعلّقُ بديون نيلسون، صار كلُّ شيء شديد التعقيد.

- يا إلهي، تقول أماندا، أنتِ تختلقين، إيما.

- لا، أقسمُ لكِ!

وأُضيفُ:

- سول هو وغدٌ، أماندا. أعتقدُ أنكِ في أعماقكِ تعلمين هذا. كانت هناك فتيات أخريات... في المكتب، وفي النوادي، كلّ تلك اللواتي تمكّنَ من الظّفر بهنَّ. إن سانَدْتِني سينالُ العقاب الذي يستحق. ليس بشكل كامل، لكنه سيفقد عمله على الأقل.

- والشرطة؟ تسألُ.

في هذه اللحظة أعلمُ أنها بدأت تُصدِّقُني.

- الشرطة لن تحشر نفسها في الأمر إن لم يوجد دليلٌ ملموسٌ على وقوع جريمة. الغاية أن يُطرَدَ من عمله، وليس أن يُزَجَّ به في السجن. بعد الذي صنعه بكِ، ألا تجدين أن ذلك سيكون عادلاً؟

تُجهِشُ أماندا بالبكاء.

- أعلمُ أنه ضاجعَ فتاتين من المؤسسة على الأقل، تقول. ميشيل، في قسم المحاسبة، وليونا في قسم التسويق. سأقدِّمُ اسميهما لإدارة الموارد البشرية.

- شكراً، أقولُ.

- هل أعلمتِ سايمن؟

أَهُزُّ رأسي بالنفي.

- يجب أن تفعلي.

وعندما أُفكِّرُ في سايمن -لطيفاً، مُحِبّاً، واثقاً- أشعرُ بظاهرة غريبة تحدثُ. لم أعد أشعرُ بالاحتقار نفسه تجاهه. كنتُ شديدة الغضب منه لأنه صديق سول، ولأنه يتلو عليَّ دوماً محاسنه، بينما سول في الحقيقة، لم يكن سوى وغدٍ أنانيٍّ وعنيف. لكنني لم أعد غاضبة منه. لا يزالُ جزءٌ مني يتذكَّرُ كم يكون مريحاً إحساسُ المرء بأنه قد غُفِرَ له.

أتفاجأُ بكوني أبكي أنا أيضاً. أُجَفِّفُ دموعي بمنديل ورقيٍّ انتزعتُهُ من الموزِّع.

- لا أستطيع التراجعَ، أقول. مع سايمن، انتهى الأمر. عندما يتكسّرُ شيءٌ إلى هذا الحدّ، لا نستطيع إصلاحه.

الآن: جين

«هذا مجرّد بعض الجيل، قد تجدينهُ بارداً»، تُحذِّرُ بلطفٍ أخصّائيةُ الموجات فوق الصوتية.

أسمعُ صوتَ امتصاص أنبوبٍ يُضغَطُ، ثم يَدهنُ المسبارُ المادةَ اللزجة فوق بطني. يُذكِّرني هذا الإحساسُ بأوّل فحصٍ لإيزابيل؛ كانت بشرتي قد بقيَت لزجة طوال اليوم، مثل سِرٍّ مُخَبَّأ تحت ثيابي؛ لفافة صغيرة من ورق المطبعة في حقيبتي، تُبيِّنُ انحناءات جنينٍ شبيهٍ بالسّرخس.

أتنشّقُ عميقاً، وقد دهمتني موجةُ عاطفة مفاجئة.

«استرخي»، تقول لي أخصائيّةُ الموجات فوق الصوتية، التي تُفسِّرُ خطأً سبب ردٍّ فعلي.

تزيد من ضغط المِسبار على بطني، وهي تديره في جميع الوجهات. «ها هو».

أنظُرُ إلى الشاشة. تنجلي هيئة من الظلمات ولا أتمكّنُ من أن أحبس صرخة صغيرة. ويُضحكُها هذا. «كم طفلاً لديك؟» تسألني بلهجة المحادثة.

لا بدَّ أني تأخّرتُ في الإجابة عن سؤالها أكثر من غالبية مرضاها لأنها تُلقي نظرة على دفتر ملاحظاتها.

«اعذريني»، تقول. «أرى أنّكِ قد ولّدتِ طفلاً ميّتاً».

أكتفي بهزِّ رأسي. يبدو لي أن ليس لي ما أُضيف.

«أترغبين في معرفة جنس الطفل؟».

«أجل، من فضلك».

«سيكون عندكِ ولدٌ صغير».

سيكون عندكِ ولدٌ صغيرٌ. تغمرني الثقة الكامنة في هذا التقرير، والاقتناع بأن كل شيء سيسيرُ على ما يرام هذه المرة. يتصادم الفرحُ والحزنُ في داخلي وأنفجر باكية.

«تفضّلي». تمدُّ إليّ أخصّائيّة الموجات فوق الصوتية علبةَ المناديل الورقية التي تستعملها لإزالة الجيل. أتمخَّطُ وأَنْخُرُ بينما تواصلُ عملها. وبعد بضع دقائق، تقول لي:

«سأذهبُ لأطلب من الطبيب أن يأتي كي يرى بنفسه».

«لماذا؟ أيوجدُ مشكلٌ؟».

«أريد أن يُناقش النتائج معكِ فحسب»، تقول لي بنغمة مُطَمْئِنَةٍ.

ثم تختفي. لستُ قلقة أكثر من اللازم. يسير الأمرُ هكذا لأني أُعتبَرُ، من الناحية التقنية، مريضةً عرضةً للخطر.

وبما أن المشاكل مع إيزابيل لم تظهر سوى أثناء الأسبوع الأخير من الحمل، فلا يوجد أيُّ سبب كي أخشى وقوع تعقيدات في هذه المرحلة.

ينصرمُ دهرٌ قبل أن يُطِلَّ أخيراً وجهُ الدكتور غيفورد.

«نهاركِ سعيد، جين».

«نهاركَ سعيد». أستقبلُهُ الآنَ مثل صديق قديم.

«جين، أريد أن أشرح لكِ لماذا نُجري هذا الفحصَ في الأسبوع الثاني عشر تقريباً. يتعلَّقُ الأمرُ باستباق التشوّهات الجنينية الأكثر شيوعاً».

آه، لا. هذا مستحيل...

«المسحُ بالموجات ما فوق الصوتية لا يمنحنا معلومةً دقيقة، لكنه يشير إلى الأماكن التي يُحتمَلُ أن تتعرَّضَ لمخاطر زائدة. في حالتِكِ، نحن نبحثُ بطبيعة الحال، عن المشاكل المرتبطة بالمشيمة أو بالحبل السرّي، وأنا سعيد بأني أستطيعُ أن أخبركِ أنَّهما كلاهما جدّ عاديَين».

أرتمي على هذه الكلمات. **شكراً، يا إلهي، شكراً...**

«لكننا نقيسُ أيضاً ما نسمّيه بالوضوح القفوي. ونقصد به الفضاء نصف الشفّاف بين عضلات وجلد عنق الجنين. في حالتِكِ، يشيرُ إلى زيادة طفيفة في خطر الإصابة بمتلازمة داون. وعندما تتجاوز الاحتمالاتُ 1 على 150، نتحدثُ عندئذ عن احتمال خطورة مرتفع. وفيما يتعلقُ بحالتكِ، نحن في حوالي 1 على 100. وهذا يعني أن من بين مئة امرأة تملكُ هذا التوصيف، واحدةٌ فقط ستضعُ وليداً مُصاباً بمتلازمة داون. أتفهمين؟».

«أجل»، أقولُ.

وأفهمُ... أعني أني أُدرِكُ منطقَ كلامه، فأنا موهوبة في الأرقام، لكن الذي أجدُ صعوبة في إدراكه إنما هو ما أشعرُ به. كلّ هذه العواطف، الشديدة الوطأة لدرجة أن بعضها ينفي بعضاً؛ أنا صافية التفكير، لكنني كالمخدّرة.

انهارت جميعُ خططي، خططي التي أعددتُها بعناية.

«الطريقة الوحيدة لنتأكّد، هي أن نُنجز اختباراً يتمثل في إيلاج

إبرةٍ داخل رحمكِ لنسحبَ قليلاً من السائل»، يشرحُ لي الدكتور غيفورد. «للأسف، هذا يحملُ خطورة صغيرة بحدوث إجهاض».

«خطورة صغيرة، كيف؟».

«حوالي واحد على مئة».

يبتسمُ، كأنه يعتذر؛ يريد أن يُبَيِّنَ لي أنه يعرف أنني ذكية كفايةً لأُدركَ سخرية الأمر؛ فاحتمال الإجهاض بسبب هذا الفحص، مطابقٌ تماماً لاحتمال وضعِ طفلٍ مصابٍ بمتلازمة داون إن لم أُجْرِ هذا الفحص نفسه.

«يوجد فحصٌ جديد، لا يحتاج إلى إيلاج، يمكن أن يؤدي إلى نتيجة دقيقة جدّاً»، يقولُ الدكتور غيفورد. «يقيسُ أجزاء صغيرة جدّاً من الحمض النووي للجنين في دمكِ. لكن للأسف، ليس متوفِّراً بعد في المستشفيات العمومية».

أُدرِكُ مرادَهُ. «تريد أن تقول إن بإمكاني أن أُجريَهُ في العيادات الخاصة؟».

يَهُزُّ رأسهُ.

«يبلغ ثمنُهُ حوالي مئة جنيه».

«أريدُ أن أُجرِيَهُ»، أقولُ في الحال. «سأجدُ وسيلة لأدفع الثمن».

«سأبعث بكِ إلى أخصّائيّ. وسنُسَلِّمُكِ بعض الكُتَيِّبات لتقرئيها. في أيامنا هذه، يعيش عددٌ من الأطفال المصابين بمتلازمة داون حياةً عادية نسبياً، ولمدة طويلة. لكن لا وجود لأيّة ضمانة. إنه قرار يتوجب على كل واحد من الأبوين أن يتّخذه وحده».

يقصدُ بالقرار: قرار أن أُجهض أو لا أجهض.

لا أزالُ متأثرة عند خروجي من المستشفى. سألدُ طفلاً. ولداً صغيراً. فرصة جديدة لأن أكون أمّاً.

أو لا.

أيمكنني فعلاً أن أتحمَّلَ مسؤولية طفل مُعاق؟ لأنني ليس لي أي وهمٍ حول هذا الموضوع: طفلٌ مصابٌ بمتلازمة داون هو طفلٌ مُعاقٌ. صحيح أن آفاقهم قد صارت ربما أفضل من السابق، لكنهم أطفالٌ يحتاجون إلى رعاية أكثر، ومساعدة، وإخلاص، وحبٍّ، ودعمٍ. رأيتُ أمّهاتِ أطفالٍ معاقين في الشارع، ذوات صبرٍ لا نهائيّ، مرهقاتٍ بشكل واضح، ووجدتُ أنهنَّ رائعات. هل أنا مثلهنَّ؟

لا أُدركُ أني لا أستطيعُ أن أنتظر وقتاً أكثر لأُحدِّثَ إدوارد عن الموضوع إلّا عندما أصلُ إلى وَنْ فولغيت ستريت. أن أنتقيَ الوقتَ الملائمَ لإخباره بأنه سيكون أباً، أمرٌ مختلفٌ كلَّ الاختلاف عن أن أُخفِيَ عنه الوضعَ برمّته. تؤكدُ جميع الكُتيِّبات على أهمية أن تناقش المرأةُ الموضوع مع شريكها.

غير أن ردَّ فعلي الأول، هو أن أبحث عن «متلازمة داون» في الإنترنت. ودقائق بعد ذلك، أشعر بالغثيان.

. . . التَّثَلُّثُ الصِّبغِيُّ 21، مثلما ينبغي أن نسمّيَ متلازمة داون، ترافقهُ مشاكل الغدّة الدرقية، واضطرابات في النوم، وتعقيدات في المعدة والأمعاء، ومشاكل في البصر، وتشوّهات في القلب، وعدم استقرار في العَمود الفقري والوركين، وانخفاض ضغط الدّم، وصعوبات في التعلّم. . .

... ما هي الاحتياطات التي يمكن اتخاذها من أجل وضع حدٍّ للهرب؟ تركيب أقفال جيدة على جميع الأبواب داخل البيت، ووضع لافتات قف على الأبواب الخارجية، والتفكير في تسييج حديقتكم بشكل تامٍّ...

... تلقينُ النظافة لطفلٍ مُصابٍ بانخفاض ضغط الدّم يُشكِّلُ بالتأكيد تحدّياً مزدوجاً! بعد ثلاث سنوات من حوادث صغيرة، أنا سعيد بأن أقول إننا أخيراً استطعنا أن نحقِّقَ ذلك!

... كنا نأكلُ الزبادي أمام المرآة لتستطيع ابنتُنا أن ترى لماذا كانت تهرقُ زباديَها... وقد نجح الأمرُ نجاحاً باهراً! التنسيقُ بين العين واليد يظلُّ إشكاليّاً...

وبعد ذلك، يدفعني إحساسٌ متعاظِمٌ بالذنب، إلى أن أرقُنَ: «داون + إجهاض».

من بين جميع الأزواج الذين تلقّوا تشخيصاً قبل الولادة بمتلازمة داون في بريطانيا العظمى، يختار 92% منهم الإجهاضَ. ووفقاً للقانون، فإن توقيف الحَمل في هذه الحالة تحديداً مسموحٌ به حتى آخر لحظة في الحمل.

... فهمنا، أنا وشريكي، أن من الأفضل لنا أن نتحمّلَ الذّنبَ والحزنَ بسبب إجهاضٍ من أن نجعل ابنتنا تعاني حياتها كلَّها...

آه، يا إلهي. يا إلهي. يا إلهي.

كانت إيزابيل، لو عاشَت، ستنام اليوم ساعات ليلها. وستستوي في جلوسها، وستأخذ الأشياء بيديها، وتضعها في فمها. ستسيرُ على أربع، وربما ستمشي على قدميها. ستكون ذكيّة، ورياضية، وحيوية، وطموحة، مثل أمها. وبدل كل ذلك، يتوجّبُ عليَّ أن أُقَرِّرَ إن كان عليَّ أن أُثْقِلَ نفسي بِـ. . .

أتوقَّفُ. ليس هذه الطريقة المثلى لتناول المشكل. حصل لي الدكتور غيفورد على موعد في مركز الفحص في الساعة الأولى من صباح الغد. سيخبرونني بالنتائج بواسطة الهاتف بعد أقل من يومين، كما وعدني. وفي انتظار ذلك لا يُستحبُّ لي أن أجزعَ للوضع، فمن المحتمل جدّاً أن يسير كلٌّ شيء على أحسن ما يُرام. فالآلاف من النساء الحوامل يتقاسمن القلقَ نفسه، ليكتشفن في الأخير أن الأمر لم يكن شيئاً سوى ذلك: مجرد قلق.

أُهاتِفُ مِيَا وأبكي لساعات، كما يبدو لي.

الأمس: إيما

أتساءلُ، وأنا جالسة في القطار، عمّا سأقول له. تتوالى محطّاتُ توليد الكهرباء والحقولُ. والمدنُ والمَهاجِعُ والقرى الريفيةُ يتلو بعضُها بعضاً.

تفشلُ جميعُ الخطابات التي أستظهرها في ذهني. وأعلمُ أني كلما ردَّدتُ الكلام أكثر، بدا أنه زائفٌ. فالأفضل أن أرتجل، بقلبي، آمِلَةً أن يُنصتَ إليّ.

لا أبعثُ إليه برسالة نصيّة قصيرة إلّا بعد أن أنزلَ من القطار، وأقف أنتظر سيارة أجرة. **أنا آتية لأراكَ. يجبُ أن نتحدّث.**

لا يودُّ سائق سيارة الأجرة أن يُصدِّق بوجود وجهتي -لا شيء يوجدُ في تلك الناحية آنستي. أقربُ بيتٍ، سيكون في تريغيري، على بعد ثمانية كيلومترات من هذا العنوان-، إلى أن اكتشفنا، عند منعطف طريقٍ ريفيٍّ، مخَيَّماً من أكواخٍ جاهزة ومراحيض كيميائية فوق أرضٍ موحلة. تحيطُ بنا الحقولُ والغاباتُ، لكن في الجهة الأخرى من السهل، تمرُّ الشاحناتُ فوق طريق بعيدة، وأُخَمِّنُ أن مدينة كاملة يمكن أن تنتصبَ هنا ذات يوم.

يخرج إدوارد من أحد الأكواخ ويتوجّهُ نحوي بخطى واثقة، مُكْفَهرَّ الملامح.

- إيما، يقول. ما الذي يجري؟ ماذا تصنعين هنا؟

أستنشقُ بعمق.

- يجب أن أشرحَ لكَ أمراً، أقولُ. أمرٌ شديد التعقيد. كنتُ أريد أن أُحدِّثَكَ عنه وجهاً لوجه.

نسيرُ جنب الغابة، لأن الأكواخَ يستعمرها الطوبوغرافيون والرسّامون الصِّناعيون. أردِّدُ عليه ما سبق أن حكيتُهُ لأماندا:

- قام صديقٌ لسايمن بتخديري وأرغمني على أن أمارس الجنسَ معه، ثم أرسلَ إليَّ شريطَ فيديو كان قد سجّلَهُ ليُهدِّدني؛ اعتقد رجالُ الشرطة أنه ديون نيلسون وتلقّيتُ توبيخاً من العدالة لأنني ضيّعتُ وقت الشرطة، لكن في الحقيقة، لم يكن الخطأ مني. يُنصِتُ إدوارد إليَّ باهتمام، دون أن تبدو عليه أيُّ عاطفة.

ثم، بكل هدوء، يُخبرني أنَّ ما بيننا قد انتهى.

لا يهمُّ أن أقول الحقيقةَ اليومَ أو ألّا أقولها، فقد كذبتُ عليه في الماضي.

يُذكِّرُني أننا كنّا قد اتّفقنا أن نستمرَّ معاً ما دام كلُّ شيء على ما يُرام.

تُشبهُ علاقةٌ من هذا القبيل بنايةً، يشرحُ لي. إن لم تكن الأساساتُ صلبةً، يتهاوى الكلُّ. كان يعتقد أن علاقتنا تستند إلى الصِّدقِ، بينما هي، في الواقع، قائمة على الخداع.

يُضيفُ أن كلَّ هذا -يشيرُ إلى الحقول- خرجَ إلى النّور لأنني أَكَّدْتُ أنَّني اغتُصِبتُ من لدن ديون نيلسون في منزلي. فهذه المدينة بكاملها، إذاً، قد بُنِيَت على كذبة، هيَ أيضاً. كان يحاول أن يبنيَ

مجتمعاً يحترم فيه الناسُ بعضُهم بعضاً، ويسهر بعضُهم على بعض. لكن مجتمعاً من هذا القبيل لا يمكن أن يتحقّق إلّا بواسطة الثقة، والآن، قد لُوِّثَت هذه الفكرةُ في نظره.

يقول لي إلى اللقاء، بصوتٍ خالٍ من أيِّ عاطفة.

- أخطأتُ، أقولُ بصوتٍ يائسٍ. لكنني أفكِّرُ في ما فعلتَهُ أنتَ. إنه أشنعُ!

يعقدُ حاجبيه.

- ماذا تقصدين؟

- لقد قتلتَ زوجتَكَ. وابنكَ. قتلتَهُما لأنك لم تكن تريد أن تُخاطر بمشروعكَ.

يقصفني بعينَيه. يُنكِرُ.

- لقد تحدّثتُ إلى توم إليس، أقولُ.

يقومُ بحركة احتقار.

- ذاك رجلٌ فاشلٌ نَخَرَهُ الحقدُ.

- ألا تفهم؟ أقولُ. لا يهمّني. أنا لا أهتمُّ لما فعلتَهُ، أو لِمَن تكون أنتَ، إدوارد. نحن خلق الواحد منا من أجل الآخر. ونحن نعلمُ ذلك. وأنا الآن أعرفُ أخطر سِرٍّ لديكَ، وأنتَ تعلمُ سِرّي. أليس هذا ما كنتَ تريدُهُ دائماً؟ صراحة كاملة بيننا؟

أُحِسُّ أنه متردِّدٌ؛ يقيسُ هذا القرارَ في ذهنه، لا يريد أن يفقدَ الذي يجمعُنا.

- أنتِ مجنونة، إيما، يقولُ أخيراً. أنتِ تتوهّمين. لا شيء من كل هذا قد وقعَ. من الأفضل لكِ أن تعودي إلى لندن.

الآن: جين

تدفعني أسبابٌ عديدة إلى أن أعود لزيارة كارول يونسون.

«أولاً»، أقول لها، «أنتِ وسايمن هما الشخصان الوحيدان اللذان يبدو أن إيما قد اعترفَت لهما بخوفها من إدوارد مونكفورد. غير أنني لديّ الآن دليلٌ على أنها في مناسبة واحدة على الأقل، كذبَت عليكِ، أنتِ، معالجتها النفسية. ثانياً، أنتِ الأخصائية الوحيدة في علم النفس، من بين كل الأشخاص الذين تحدّثَت إليهم. لذلك كنتُ أرجو أن تكوني قادرة على أن تُنيري لي شخصيتَها».

لا أُخبرها بعد بالسبب الثالث.

تعقد حاجبَيها. «أية أكاذيب؟».

أنقلُ إليها ما علمتُهُ حول موضوع سول والتصرُّفات الفاضحة التي مارستها معه إيما وهي سكرانة.

«إن كنتِ تعترفين بأنها قد تكون كذبَت عندما أكّدَت أنها تعرّضت للاغتصاب على يد ديون نيلسون»، أقولُ، «هل تعترفين بأنها يمكن أن تكون قد كذبَت حول موضوع إدوارد كذلك؟».

تُفكِّرُ كارول. «يكذبُ الناسُ أحياناً على معالجهم النفسي. إمّا لأنهم في وضعية إنكار، وإمّا لأنهم يشعرون بالخجل، بكل بساطة.

هذا قد يحصل. لكن إن يكن ما تقولينه دقيقاً، فإن إيما لم تكن تكذبُ فحسب، بل كانت تبني لنفسها عالماً متخيّلاً، واقعاً بديلاً».

«ماذا يعني هذا؟».

«هذا ليس مجالي حقيقةً. لكن المصطلح الإكلينيكي لوصف هذا الصنف من الأكاذيب المَرَضية هو هَوَسُ الكذب المَرَضي. ترتبطُ عادةً بنقصٍ في تقدير الذات، وبالحاجة إلى لفت الأنظار، وبرغبة عميقة في تقديم الذات بشكل أكثر قيمة».

«لا قيمة في التعرض للاغتصاب».

«لا، لكن الاغتصاب يجعلُكِ مختلفة. يزعُمُ المهووسون بالكذب المرضي الذكور أنهم ينتمون إلى العائلة الملكية أو أنهم أعضاء سابقون في القوات الخاصة. يوجد مثال ذو شهرة محزنة، لامرأةٍ كانت، منذ عامين أو ثلاثة أعوام، تؤكدُ أنها ناجية من 11 سبتمبر، بطريقة شديدة الإقناع لدرجة أنها انتهت إلى إرشاد جماعة الدّعم إلى الناجين الحقيقيين من الاعتداء. وفي النهاية، تَبيَّنَ أنها لم تكن حتى موجودة في نيويورك في تلك اللحظة». وبعد هنيهة تفكيرٍ، تُضيفُ كارول: «الغريب أني أتذكّرُ أن إيما قالت لي ذات يوم شيئاً من قبيل: **كيف سيكون ردُّ فعلكِ إن قلتُ لكِ إنني قد اختلقتُ كلَّ شيء؟** كأنها كانت تتلاعبُ بفكرة الاعتراف».

«أيمكنُ أن تكون قد انتحرتْ لأنها وقعتْ فريسة كلِّ أكاذيبها؟».

«ممكن. إذا لم تتمكّن من أن تبنيَ حكايةً جديدةً لتُقدِّمَ نفسها باعتبارها ضحية، ولو في نظرها فحسب، فقد تكون عانَت ممّا نسمّيه إذلالاً نرجسيّاً. وبعبارة أخرى، كانت تشعر بالعار لدرجة أنها فضّلَت أن تموت».

«وفي هذه الحالة، إدوارد بريء»، أقولُ مستنتِجةً.

«أجل، ربما»، تُجيب بحذر.

«لماذا «ربما»؟».

«لا أستطيع أن أُصَنِّفَ إيما باعتبارها مهووسة بالكذب المرضي، بعد موتها، لغرضٍ وحيد هو أن تنسجم الوقائعُ مع نظرية مناسبة. من المحتمل جدّاً أن تكون، بكل بساطة، قد افترَت كذبةً جدّ منطقية، ثم كذبة أخرى لإخفاء الأولى، ثم كذبة أخرى. الأمرُ نفسه في حالة إدوارد مونكفورد. وفق ما تحكينَهُ لي، يبدو أن إيما هي الشخصية النرجسية الحقيقية في هذه الحكاية، لكن لا شكّ في أنهُ مسكونٌ بشكل تامٍّ بالحاجة إلى التحكُّم في كلِّ شيء. فما الذي يحصلُ عندما يلتقي شخصٌ يريدُ أن يتحكّمَ في كلِّ شيء بشخصٍ غير قابل للتحكّم والضبط؟ إن المزيج يمكن أن يكون انفجاريّاً».

«لكن يوجد أشخاصٌ آخرون كانت لديهم أسباب أقوى لإضمار الشرِّ لإيما. ديون نيلسون كاد أن يدخل السجنَ. وسول أسكوي فَقَدَ عمَلَهُ. والمفتّش كلارك أُجبِرَ على الحصول على تقاعد سابق لأوانه».

«أجل، ممكن»، توافقُ كارول، دون أن يبدو أنها مقتنعة تماماً.

«عندما أُفكِّرُ في الأمر الآن، أرى ما يمكنُ أن يكون قد دفعَ إيما إلى الكذب عليّ».

«ماذا؟».

«قد تكون توسّلَت بي مثلما يُستعمَلُ مُوَجِّهُ الصوت. أو تكرار من حجم طبيعي، إن شئتِ، قبل أن تحكي قصّتها لشخص آخر».

«لمن؟»، أسألُ، لكنني أعتقد أني أُخمِّنُ الجوابَ.

«الشخص الوحيد الذي حكَت له تلك القصة عن موضوع إدوارد، هو سايمن».

«لكن لماذا، إن كانت تريدُ حقيقةً أن تكون مع إدوارد؟».

«لأن إدوارد كان قد تخلّى عنها».

أشعرُ بارتياح كبير، ليس لأني أعتقدُ أني أخيراً فهمتُ ما كان يتخفى خلف تلك الاتهامات التي تستهدفُ إدوارد فحسب، لكن أيضاً لأني أشعر أنني أقتربُ من إيما، وأتعقَّبُ خُطاها، أثناء تحوّلاتها وتغييرها لاتّجاهاتها. «إنها الإجابة المنطقية الوحيدة. كان سايمن كلَّ ما تبقّى لها. وطبعاً، أخبرتْهُ أنها هي التي قطعَت علاقتها بإدوارد، بينما في الحقيقة العكس هو الصحيح. يمكنني استعمال مرحاضكِ؟».

تبدو كارول مندهشة، لكنها تدلّني على الوجهة.

«إنه السبب الآخر لوجودي هنا اليوم»، أقولُ وأنا أعودُ إلى الصالة. «أنا حامل. من إدوارد».

تنظُرُ إليّ باندهاش.

أُضيفُ: «يوجد خطر، ضعيف جدّاً، أن يكون وليدي مصاباً بمتلازمة داون. أنتظرُ نتائجَ الفحص».

تستردُّ زمامَها سريعاً. «وما الذي تشعرين به يا جين؟».

«أنا ضائعة. من جهة، أنا مبتهجة لكوني حاملاً. ومن جهة أخرى، أنا مرعوبة. وبموازاة مع هذا، لا أعرفُ ما الذي يجب أن أقوله لإدوارد، وفي أيِّ وقت».

«لنبدأ بفرز كلِّ هذا. هل أنتِ سعيدة فحسب لكونكِ حاملاً؟ أم أن ذلك بعثَ فيكِ الحزنَ على موت إيزابيل؟».

«الاثنان. أن ألِدَ طفلاً آخر يبدو لي جِدّ... نهائيّ. لديّ انطباعٌ بأني أتخلّى عن إيزابيل، بصورة ما».

«تخشينَ أن يأخذ الوليدُ الجديدُ مكانَها في أفكاركِ»، تختصرُ كارول. «وبما أنَّ أفكاركِ هي المكان الوحيد الذي لا تزالُ تعيشُ فيه إيزابيل، فأنتِ تشعرين أنكِ تقتلينها للمرة الثانية».

هذه المرة، أنا التي لا أُخفي دهشتي. «أجل. هذا ما يحدثُ بالتدقيق».

أُدرِكُ أن كارول يونسون هي معالجة نفسية ممتازة.

«المرة الأخيرة التي رأينا فيها بعضُنا بعضاً، كنا قد تحدّثنا عن إكراه التكرار، عن الكيفية التي يظلُّ بها بعضُ الأشخاص مُحتَجَزين في الماضي ويعيدون تمثيل الدراما النفسية نفسَها من دون توقّف. لكن لدينا إمكانية تكسير هذه الدورات، والتقدّم نحو الأمام». تبتسمُ لي كارول. «يحبُّ الناس أن يستعملوا تعبير «المحو بالممسحة». لكن هذا لا يكفي، يجب تغيير السبّورة. فالسبورة القديمة تحتفظُ بآثار كلِّ ما كُتِبَ فيها. إذاً، يمكن أن تكون هذه فرصتكِ، يا جين، لكي تختاري سبورةً جديدة تماماً».

«أخافُ ألّا أحبَّهُ حبي لإيزابيل».

«وهذا أمرٌ مفهوم. يمكن للأموات أن يبدوا لنا رائعين بشكل مطلق؛ إنهم جامدون في مثال أعلى لا يستطيعُ أحدٌ أن ينافسه. التخلُّصُ منه ليس سهلاً. لكنه ممكن».

أُفكِّرُ في معنى هذه الكلمات؛ لا تنطبقُ عليّ وحدي، إنها تهمُّ إدوارد كذلك. إليزابيث كانت تقوم مقام إيزابيل بالنسبة إليه: الأولى، ضائعة، مثالية، لا يتمكَّنُ من التحرّر منها.

نظلُّ أنا وكارول نتحدّثُ مدّةَ ساعة من الزمن؛ عن الحمل،

وعن متلازمة داون، وعن موضوع الإجهاض الرهيب والعويص. وفي نهاية حديثنا، يكون كلُّ شيء واضحاً في ذهني، وأعرفُ ما سأفعلُ.

إذا تبيَّنَ أن الفحصَ إيجابيٌّ، سأقوم بالإجهاض. هذا ليس قراراً سهلاً وسأعيشُ مع شعور الإحساس بالذّنب، لكن الأمر هكذا هو.

لن أقول شيئاً لإدوارد. لن يعرف أبداً أني كنتُ حاملاً. قد يرى البعضُ في الأمر جُبناً أخلاقياً. لكنني لا أرى نفعاً في أن أُحَدِّثَهُ عن وليدٍ وُجِدَ ولم يعد موجوداً.

لكن في المقابل، إذا كان الفحصُ سلبياً والجنين في صحّة جيدة، وهو الأمر الأشدُّ احتمالاً، مثلما يتفانى في ترديده على مسامعي الدكتور غيفورد وكارول، فإنني سأنتقلُ مباشرة إلى كورنويل لأُخبر إدوارد بأنه سيصبح أباً.

وفي اللحظة التي أُودِّعُ فيها كارول، يرنُّ هاتفي.

«جين كافنديش؟».

«أجل. أنا في الاستماع».

«أنا كارين بويرس، من مركز الفحوص على الأجِنَّة».

«نعم..». بدأتُ أشعرُ بدُوار في رأسي.

«توجد أمامي نتائج فحصكِ ما قبل الوضع. هل أنتِ مشغولة؟».

أُحِسُّ بالحاجة إلى الجلوس. «لا، لا. تفضّلي».

«أيمكُنكِ أن تؤكِّدي لي عنوانكِ؟».

أخضعُ لإجراءات الخصوصية بصبر نافد. أدركَت كارول طبيعة هذا الاتصال؛ تجلسُ هي الأخرى.

«يسرُّني أن أخبركِ. . »، تبدأ كارين بويرس، وينفجرُ قلبي. **خبرٌ جيّدٌ. إنه خبرٌ جيّد.**

أجهشُ بالبكاء وتضطرُّ إلى تكرار تلاوة النتائج. الفحصُ سلبيٌّ. إذا كان فحصُ المياه الجارية يمنح تشخيصاً موثوقاً مئة في المئة، فإن تحليل الحمض النووي للجنين يتجاوز تسعة وتسعين في المئة من الدقّة. لا يوجد أي سبب إذاً للاعتقاد بأن وليدي لن يكون بصحّة جيدة. وها أنا قد انطلقتُ من جديد. الآن، لا يتبقّى أمامي سوى أن أنقلَ الخبرَ إلى إدوارد.

الأمس: إيما

لديَّ انطباعٌ أن أحداً ما قد مات للتوّ. أنا متعبة، مُخدَّرة. ليس بسبب فقداني إدوارد فحسب، بل كذلك بفعل مظهر فراقنا الذي يكاد يكون إكلينيكياً. قبل أسبوع فقط، كنتُ أُجَسِّدُ بالنسبة إليه المرأةَ المثاليةَ، وها إن كلَّ شيء قد انتهى. من العشق إلى الاحتقار في طرفة عين. يقول جزءٌ مني لنفسه إنه يرفضُ أن يعترف إلى أيِّ حَدٍّ هو متعلِّقٌ بي؛ سيتّصِلُ بي بين دقيقة وأخرى ليُخبرني أنه اقترف خطأً رهيباً. ثم أتذكَّرُ أن إدوارد ليس هو سايمن. أتأمَّلُ الجدران النقيَّةَ، الخالصةَ، والمساحات الحادّة في وَنْ فولغيت ستريت، وأرى فيها قوَّةَ إرادته كلِّها، وعزيمتَهُ العنيدةَ، في كلِّ سنتيمتر مربَّع.

أتوقفُ عن الأكل. وأشعرُ بتحسُّن؛ الجوع مثل صديق قديم أستقبلُهُ بفرحٍ، والدُّوار مثل مُبَنِّجٍ ضدّ الإحساس بالخسارة.

آخُذُ سلاب بين ذراعَيّ وأستعمله مثل منديلٍ، أو لعبة دُبٍّ صغيرة. تضايِقُهُ ما أبديه من آيات الحنان، فيقاومني إلى أن يتحرّر من قبضتي ويتسلَّقُ إلى الطابق حيث أجدُهُ، مُمَدَّداً فوق فراشي، عندما أحتاج إلى دفء فروته الناعمة.

في اليوم الذي يختفي فيه، أصيرُ مجنونة من القلق. ثم ألاحظُ

أن باب خزانة عاملة النظافة مواربٌ. وبطبيعة الحال، أعثُرُ عليه مختبئاً هناك، منكمشاً على ذاته مثل كرةٍ، فوق صفيحة شمعٍ، ليتهرَّبَ مني.

في هذا المساء، بينما أستحمُّ، تنطفئ جميعُ الأضواء فجأةً ويُصبحُ الماءُ بارداً. لا يدوم هذا سوى ثوانٍ معدودة، لكنه كافٍ لكي أُطلِقَ صرخةَ دهشةٍ وفزعٍ. في البداية، أعتقدُ أن سلاب نزعَ سلكاً داخل الخزانة. ثم أقول لنفسي إنما هو البيت يتصرَّفُ بهذه الطريقة. يُرسِلُ عليّ وَنْ فولغيت ستريت الماءَ الباردَ ليُعبِّرَ عن غضب صاحبه.

ثم تعود سخونة الماء. لم يكن سوى انقطاع في التيار الكهربائي، أي مشكل مؤقت. ليس في الأمر ما يُقلق.

أسندُ جبهتي إلى جدار الحمّام الأملس؛ تسيلُ دموعي مع الماء المترقرقِ نحو ثقب التفريغ.

الآن: جين

أعود من زيارتي لكارول وقد استعدتُ انتعاشي وسعادتي. هي صفحةٌ قد طُوِيَت. لن يكون المستقبلُ يسيراً، لكنه على الأقل، يتجلّى لي واضحاً.

عندما ألِجُ وَنْ فولغيت ستريت، أتجمَّدُ واقفة في مكاني. أكتشفُ، عند أسفل السلَّم، حقيبة السفر الجلدية من نوع سوين أديني.

«إدوارد؟»، أقولُ بخجل.

إنه في قاعة الطعام، ويفحصُ خريطتي الذهنية، انفجار متعدِّد الألوان لأوراق الملاحظات اللاصقة على الجدار. في الوسط، ألصقتُ الرسمَ، الرؤية المزدوجة لي وإيما، التي التقطْتُها من صندوق القمامة.

يُديرُ رأسَهُ نحوي وأرتعد وأنا أرى الغضب المتجمِّدَ في نظرته.

«يمكنني أن أشرحَ لكَ»، أقولُ بسرعة. «كان يجب عليَّ أن أُرَتِّبَ أفكاري...».

«مقتولة-إدوارد مونكفورد»، يقولُ بصوت خفيض. «أنا جِدُّ مسرور لأنني أرى أنني لستُ المتَّهمَ الوحيدَ، جين».

«أعلمُ أنكَ لستَ هو. أعود للتوّ من عند المعالِجة النفسية لإيما. لقد كذبَت عليها وأعتقدُ أنني أفهمُ اليومَ سببَ كذبها. وأعتقد أنني أعرفُ لماذا انتحرت إيما». هنا، أترَدَّدُ. «قامت بذلك كي تعاقبكَ. فعلٌ أخيرٌ، مسرحيٌّ، لكي تندمَ أنتَ على قطع علاقتكَ بها. وأرى، باعتبار ما عانيتَ منه، أنها قد نجحت في مسعاها».

«كنتُ أُحِبُّ إيما». تُدوِّي هذه الكلماتُ الحاسمةُ، النهائية، في الهواء. «لكنها كذبت عليّ. كنتُ أعتقدُ أنني قد يمكنني الحصول على الحبِّ من دون أكاذيب. أقصدُ، معكِ أنتِ. أتتذكّرين رسالةَ ترشّحكِ؟ كنتِ تتحدّثين عن المصداقية، والصدق، والثقة. هذا ما جعلني أعتقدُ أن الأمر قد ينجح بيننا، وقد يكون أفضل هذه المرة. لكنني لم أُحبّكِ أبداً حبّي لها».

أنظرُ إليه، غير مصدقة.

«لماذا أنتَ هنا؟»، أتمكَّنُ أخيراً من أن أتلفَّظَ.

أعرفُ أن هذا السؤالَ لا معنى له، لكنني أحتاجُ إلى وقت لأستوعب ما قالهُ.

«كان عليَّ أن أحضر إلى لندن لزيارة محاميّ. استقرَّ السكّانُ الأوائلُ في نيو أوستل، لكنهم يثيرون مشاكل. يبدو أنهم يعتقدون أنهم باتّحادهم سيستطيعون إرغامي على تغيير القواعد. سأعملُ على طردهم. جميعاً». يَهُزُّ كتفَيه. «أتيتُ معي بطعام العشاء».

أرى فوق منضدة المطبخ نصفَ دزينة من الأكياس الورقية الصادرة عن الصنف القديم من البقالة التي يُفضِّلُها إدوارد.

«في الواقع، وجودكَ هنا أمرٌ جيّدٌ»، أقولُ، وأنا لا أزالُ تحت تأثير الصدمة. «يجبُ أن نتحدّث».

«هذا أمرٌ واضحٌ».

يعود نظرُهُ ليستقرَّ فوق ورق الملاحظات اللاصقة.

«إدوارد، أنا حامل».

أقولُ هذا بلهجة جافة، لرجلٍ قد أخبرني منذ قليل بأنه لا يحبني. حتى في أحلكِ كوابيسي لم أكن أتخيَّلُ المشهدَ بهذه الطريقة. «من حقِّكَ أن تعلمَ».

«أجل»، يجيبُ بعد صمت طويل. «منذُ متى تُخفين الأمر عني؟».

تستهويني فكرةُ الكذب عليه، لكنني أرفُضُ أن أستغِلَّ هذا الحلَّ المزيَّف.

«تجاوزتُ اثني عشر أسبوعاً بقليل».

«أتنوينَ الاحتفاظَ به؟».

«يخشى الأطباءُ أن يكون مصاباً بمتلازمة داون». عندما يسمع إدوارد هذا، يمسحُ وجهه بيده. «ولحسن الحظ، ذاك ليس حالي. إذاً، أجل، سأحتفظُ به. أعرف أنكَ قد تميلُ إلى اختيار آخر، لكن الأمر هكذا هو».

يُغلِقُ عينَيه، هنيهةً، كأنه يتعذّبُ.

أستأنفُ كلامي: «أفترضُ أنك، وفق ما قلتَهُ قبل قليل، لا نيّة لكَ نهائياً في أن تُصبح أباهُ، بأيِّ وجهٍ كان. ليكن. لا أريد شيئاً منكَ، إدوارد. لو أنّكَ فقط أخبرتَني بأنّكَ لا تزال تُحِبُّ إيما...».

«أنتِ لا تفهمين»، يقاطعني. «كانت مثل مرضٍ. كنتُ أكرهُ نفسي في كلِّ ثانية كنتُ أقضيها معها».

لا أعرف كيف يجب أن يكون ردُّ فعلي على كلامه.

«هذه المعالِجة النفسية التي زُرتُها اليوم.. لقد شرحَت لي أن

المرء يمكن أن يبقى أحياناً محبوساً داخلَ حكاية، محاولاً، من دون توقف، أن يعيد إنتاج علاقة سابقة. أعتقد أنكَ، بصيغة معيَّنة، لا تزالُ عالقاً داخل حكاية إيما. لا أستطيعُ أن أساعدكَ في أن تطلعَ منها. لكنني أرفُضُ أن أظَلَّ محبوسةً معك».

يتأمّلُ الجدرانَ من حوله، والفضاءات الممتازة والعقيم التي أبدعها. يبدو أنه يستمدُّ منها القوةَ. ينهضُ. ويقولُ: «وداعاً، جين».

يلتقطُ حقيبته سوين أديني وينصرفُ.

11. ما الذي تخشينه أكثر في علاقة؟

- أن يصيبكِ المللُ
- أن تنتبهي إلى أنكِ كان بإمكانكِ أن تجدي من هو أحسن
- التَّنائي المتصاعد
- أن يصير شريكُكِ متعلِّقاً بكِ
- أن تتعرّضي للخديعة

الأمس: إيما

أحياناً، يُخيَّلُ لي أني يمكن أن أتضاءلَ إلى حدِّ الاختفاء. أشعُرُ أني في نقاء الشبح ومثاليته. الجوعُ، والصُّداعُ، والدُّوارُ. . . هي الأشياء الحقيقية الوحيدة.

قدرتي على الامتناع عن الأكل دليلُ قوّتي. أحياناً، أكون أقلّ قوة وأزدردُ قرص خبز كامل أو صينية من سَلطة الكرنب، لكنني بعد ذلك، أضعُ أصابعي في عمق حنجرتي وأتقيّأُ كلَّ شيء. ويمكنني أن أُعيدَ الكرَّة، وأن أمحوَ جميع السعرات الحرارية.

لا أنام. حدثَ الأمرُ نفسُهُ في المرة الأخيرة عندما ساءت اضطراباتي في التغذية. الآن، الأمرُ أفظعُ. أستيقظُ فجأةً في قلب الليل، واثقةً من أن أضواء البيت قد اشتعلت، ثم انطفأت، أو أنني سمعتُ حركةَ شيء ما. ولا سبيل، بعد هذا، للنوم من جديد.

أذهبُ لزيارة كارول وأقول لها إن إدوارد أنانيٌّ ومستبدٌّ يُسَيِّرُ كلَّ شيء. أحكي لها أنه يُعَنِّفُني، ويريد أن يتحكَّمَ في كل شيء، وأنه مهووسٌ، ولهذا هَجَرْتُهُ. لكني، ولو أني أودُّ أن أُصَدِّقَ ما أحكيه لها، فإن الرغبة في أن أراهُ تسكُنُ كلَّ خليّةٍ في جسدي.

أُبصِرُ، وأنا أدخلُ وَنْ فولغيت ستريت، شيئاً ما في الحديقة؛ ما

يُشبهُ خرقةً، أو لعبةً مهجورة. ويحتاجُ عقلي ثوانيَ معدودة ليُدركَ حقيقة الأمر، وأهرعُ إلى الخارج، فوق مستطيل الحصى المثالي.

سلاب. مُمَدَّدٌ على جنبه. ميِّتٌ. جانبُهُ الأيسر غائرٌ، لم يعد سوى كمشة من الزّغب الدامي. يبدو أنه تحامَلَ على نفسه إلى أن وصلَ إلى هنا، بعيداً عن البيت، قبل أن يتهاوى. أنظرُ من حولي. لا شيء يُفسِّرُ كيف ماتَ. دهسَتهُ سيارةٌ؟ داسَهُ أحدٌ ثم رمى به من فوق السياج؟ أو حوصِرَ إلى جدار البيت وضُرِبَ بحجر؟

- يا للمسكين، أقولُ وأنا أجلسُ القرفصاء لألاطف جنبَهُ الناجي. تنهمرُ دموعي فوق الفرو الحريريِّ، الجامد والخالي من الإحساس. يا للشيء الصغير المسكين، أقول له، لكني في الحقيقة أتحدَّثُ عن نفسي.

وفجأة أُدرِكُ أن الأمر، مثل الطِّلاءَ المُلقى على الجدار، إنما هو رسالة. **أنتِ اللاحقة**. الذي أو الذين يفعلون هذا يريدون إفزاعي... وقتلي. والآن، أنا وحيدة، من دون أيِّ وسيلة لإيقافهم.

باستثناء سايمن. لا يزالُ بإمكاني أن أحاول مع سايمن. ليس لي أحد غيره.

الآن: جين

ها أنا قد عدتُ إلى نقطة الانطلاق. حامِلٌ ومن دون رجل. مِيَا لا تؤنِّبني بـ: قلتُ لكِ إن هذا ما سيحدثُ. لكنني أعلمُ أن هذا ما تُفكِّرُ فيه.

لا تزال لديّ مهمة أخيرة أُنجِزُها. قد يكون إدوارد لا يعبأ بمعرفة ما اكتشفتُهُ عن إيما، لكنني أعتقدُ أنَّ من حقِّ سايمن أن يعرف ذلك. وأدعو مِيَا لتحضر معنا، احترازاً من أن يكون ردُّ فعله سيّئاً.

يصلُ في الموعد المحدَّد، يحمل قنينة خمر وملفّاً ضخماً أزرق اللون. «لم تطأ رجلاي هذا المكان منذ أن حدث ما حدث»، يقولُ وهو يحدجُ داخلَ وَنْ فولغيت ستريت بنظرة كراهيةٍ. «لم أحبَّ أبداً هذا المكان. قلتُ لإيما إن البيت يُعجبني، لكنها هي التي كانت تريد أن تعيش هنا. الوسائلُ التقنيةُ نفسُها لم تكن مدهشة كما كان يبدو الأمر. دائماً، كنتَ تجدُ شيئاً ما لا يعمل».

«آه، حقّاً؟» أقولُ، مندهشة. «لم تحدث لي مشاكل أبداً».

يضعُ الملفَّ فوق المنضدة.

«أحضرتُ لكِ هذا. نسخة من أبحاثي حول إدوارد مونكفورد».

«شكراً. لكنني لم أعد في حاجة إليه».

يعقد حاجبَيه. «كنتُ أحسبُ أنكِ تريدين أن تعرفي كيف ماتت إيما».

«سايمن..»، أوجِّهُ سرّاً نظرةً إلى مِيَا، التي تبتعدُ بلباقة وهي تحملُ قنينة خمر لتفتحها. «لقد كذبت إيما بخصوص إدوارد. ولا أعرف تحديداً لماذا فعلت ذلك، مثلما أني لا أملكُ أيَّ يقينٍ حول ظروف وفاتها. لكن الأمر الأكيد: كل ما قالَتهُ لكَ عن إدوارد غير صحيح». أتوقّفُ قليلاً. «لقد وجدَت نفسها محاصرةً داخل كذبة أكبر بكثير. لم يكن الرجل في الفيديو الذي اكتشفته الشرطةُ هو السّارقُ. كان سول أسكوي».

«أعلمُ»، يقول سايمن بحقد. «لكن هذا لا علاقة له بالباقي».

لا أفهمُ في البداية أنّى لهُ أن يعلم بذلك. «آه... أخبرتكَ أماندا».

يُحرِّكُ رأسه نافياً. «لا. إيما هي من أخبرتني. بعد أن قطعت علاقتها بإدوارد، حكَت لي كلَّ شيء».

«وأخبرتكَ أيضاً كيف حصلَ ذلك؟».

«أجل. قام سول بتخديرها واعتدى عليها». يلاحظُ تعبير ملامح وجهي. «ماذا؟ اضطلَعْتِ بوظيفة المحقِّق ولم تعلمي هذا؟».

«لقد تحدّثتُ إلى سول»، أقولُ. «وأكَّدَ لي أن إيما هي التي كانت تريد..».

يُقهقِهُ سايمن باحتقار. «طبعاً. أيُدهشُكِ ذلك؟ كنتُ أُعِزُّ سول كثيراً، لكنني كنتُ أعلمُ، حتى قبل أن تُخبرني إيما بما فعلهُ بها، أنه إنسان مزدوج الشخصية. عندما انفصلتُ عن إيما، كنّا نذهبُ معاً لنحتسي كؤوس الخمر. كان يقول لأماندا إني بحاجة إلى الرّفقة، لكن في الحقيقة، كان يتّخذُ ذلك تعِلّةً للخروج ومضاجعة الفتيات.

وكان يستعمل دائماً التقنيةَ نفسها: «اجعلهُنَّ يشربن إلى أن يعجزن عن الوقف على أرجلهنّ»، كان يقول. «وهذا ليس خطيراً بالنسبة إلى ما تريد أن تصنعه بهنّ، بل على العكس»».

لا بدَّ أنني أبدو مصدومةً، لأنه يُضيفُ: «مُذهِلٌ، أليس كذلك؟ كنتُ أندهشُ وأنا أرى فتيات يترنّحنَ من شدّة السُّكر بعد كأسَين فحسب. كان يحب أن يتظاهر بالغنى والأبّهة وهو يُقدِّمُ لهنَّ الشامبانيا، غير أني قرأتُ في مكان ما أن فقاعات هذا الشراب تُخفي مذاقَ الروفيبنول، مُخَدِّرِ المغتَصِبين».

تتسعُ عيناي من الدهشة. وأتذكّرُ أن سول أسكوي كان قد ألَحَّ عليّ أن أشرب كأس شمبانيا. كنتُ أعتبرهُ إنساناً بئيساً، لكني مع ذلك صدَّقتُ كلَّ ما أخبرني به.

وها هي الحقيقة تُفْلِتُ مني مرة أخرى، بعد أن كنتُ أعتقد أني قد سلَّطتُ الضوء على جميع تفاصيل الحكاية. فإذا كان سول قد اعتدى على إيما، فهذا يعني أنها ليستْ مُزَيِّفَةً. صحيح أنها رَوَت كذبةً، وربما أكثر من كذبة، لكن حكايتها كانت حقيقيةً في أساسها. لم تُغيِّر سوى أسماء الفاعلين، لأسباب يمكن تخمينُها بسهولة.

يقول سايمن، كأنه يقرأ في أفكاري: «كانت تحاول أن تحميَني. كانت تعلم أنني لن أتحمَّلَ أن أعرف أنَّ من فعل بها ذلك إنما هو صديقي الحميم. كنتُ أشعرُ أن شيئاً ما غير طبيعي، حتى قبل حادث السطو. كانت تنتابها نوباتُ غضبٍ ضدّي من دون سبب، وكانت تنفجرُ كلّما حاولتُ أن أكون لطيفاً معها. وعادت مشاكلُها مع فقدان الشهية للظهور. لم تختفِ تماماً أبداً، وإن كانت لا تُحبُّ الحديث عن الأمر».

«هل تحدَّثتَ إليها، هنا؟».

«أُكرِّرُ لكِ الأمر: كانت قد أدركَت أنها ارتكبت خطأ رهيباً وكانت تريد أن تُصلِحَ كلَّ ذلك. كانت في حالة سيئة. احتضنت هريرةً ضائعة... وقتلها أحدُهم».

«كان لديها قطة؟» لا أُصدِّقُ الأمر. «هنا؟ في هذا البيت؟».

كانت ماغي إيفانس قد حدّثتني بالفعل عن قطّة ضائعة، دون أن تَذكُرَ أن إيما كانت تعتزمُ الاحتفاظَ بها.

«أجل»، يقولُ. «لماذا؟».

لأنَّ هذا ضدّ القواعد. لا يُسمَحُ بالحيوانات الأليفة. ولا بالأطفال كذلك.

ودون أن ينتظر جوابي، يفتحُ سايمن الملفَّ ويُخرِجُ منه وثيقةً. «كان مُحَامٍ قد سلَّمَها هذا. وفق هذه التصاميم، فقد دفن إدوارد مونكفورد زوجتَهُ وابنَهُ هنا، تحت هذا البيت تحديداً. انظري..». يُريني علامة وملاحظةً مكتوبةً. **المثوى الأخير للسيدة إليزابيث جيورجينا مونكفورد وماكسيميليان مونكفورد.** «يجب أن يكون المرءُ مريضاً حقيقةً ليصنع هذا، أليس كذلك؟».

«لقد نجوتِ بأعجوبة، جين».

تَصدُرُ هذه الملاحظة عن مِيَا، التي عادت بخطى صامتة، وهي تُلقي السمع. يستفسرُني سايمن عن الأمر بنظرة من عينَيه، لكنني أُقرِّرُ ألّا أمنحه أيّ تفسير.

«كانت إيما تعتقد أن الأمر يتعلّقُ بنوع من طقوس القربان»، يستأنفُ سايمن كلامه. «في تلك اللحظة، لم أُعِرْ ذلك كبير اهتمام، لكن بعد موتها، وجَّهتُ اهتمامي إلى البنايات الأخرى التي أنجزها مونكفورد. واتَّضحَ لي أن إيما كانت على حقّ. مات أحدُهُم في ظروف مشبوهة قربَ ورشة من ورشات شركة مونكفورد».

يضعُ قصاصات صحفية فوق الطاولة. كلُّ قصاصة مُرفَقَة بخريطة يظهر فوقها مكانُ البناية ومكان الوفاة. في اسكتلندا، قُتلتْ امرأةٌ شابّةٌ من لدن سائق سيّئ على بعد أقل من كيلومترين من البيت الذي بناهُ إدوارد مونكفورد قربَ إينفيرنيس. في مايوركا، اختُطِفَ طفلٌ على بعد ثلاثة كيلومترات من منزل على شاطئ البحر صمَّمَهُ إدوارد مونكفورد. في بروغ، ألقَت امرأةٌ بنفسها من أعلى جسر السكة الحديدية، على بعد مئات من الأمتار فحسب على كنيسة صغيرة وقَّعَ تصميمَها مونكفورد نفسُهُ. وفي لندن، أثناء أعمال تجهيز لاروش، عُثِرَ على كهربائيّ مبتدئ ميّتاً في بئر السلَّم.

«لا شيء من كلِّ هذا يُثبِتُ أن إدوارد مسؤولٌ عن هذه الوفيات»، أقولُ بهدوء. «تحدثُ كلَّ يومٍ آلافُ الحوادث المميتة والاختفاءات. وأن يقعَ بعضُها قريباً من بنايات مونكفورد لا يعني شيئاً على الإطلاق. أنتَ ترى رابطاً حيث لا يوجد أيُّ رابط».

«أو إن الرابط موجودٌ، لكنكِ ترفضين أن تريهِ».

وجهُ سايمن عابسٌ، ومُظلم.

«سايمن، الأمر الوحيد الذي يُثبتُهُ ذلك، إنما هو مدى حبِّكَ لإيما. وهذا رائع. غير أنه يُفسِدُ حكمَكَ..».

يقاطعني. «سُرقت مني إيما مرّتين. المرة الأولى عندما اقتحم إدوارد عنوةً علاقتَنا، في اللحظة التي كانت فيها إيما شديدة الضعف. والمرة الثانية عندما قُتِلت. أنا واثقٌ من أنها قُتلت لمنعي من استردادها. أريدُ أن تتحقَّقَ العدالة. وسأستمرُّ إلى النهاية في سبيل ذلك».

ينصرفُ بعد ذلك بفترة قصيرة، ويترك لنا، أنا ومِيَا، قنينةَ خمره.

«يبدو لطيفاً»، تُعلّقُ مِيَا.

«مهووسٌ بعض الشيء، أليس كذلك؟».

«كان يُحبُّها. لا يستطيع أن يضرب صفحاً عن الأمر ما دام لم يعرف الذي جرى لها. ألا ترين معي أن الأمر يكاد يكون بطولياً؟».

أُفكِّرُ. كلُّ هؤلاء الرجال المغرمون بإيما. كانت تستأثر باهتمام الرجال، على الرغم من مشاكلها. هل يمكن لأحد أن يشعر نحوي بالشيء نفسه، ذات يوم؟

«لاحظي»، تُضيفُ مِيَا، «كلُّ هذا الحبّ لم يجلب لها الحظَّ في النهاية. وإن أردتِ رأيي، فخيرٌ لك أن تعيشي بين أحضان رجلٍ مثله من أن تعيشي مع مهندسكِ المجنون».

«أنا، مع سايمن؟» أُقهقِهُ. «لا يمكن أن يحدث هذا».

«إنه صلبٌ، وموثوقٌ، ووفيٌّ. لا ينبغي أن تقولي لا يمكن..».

لا أجيبُ. لا تزال مشاعري نحو إدوارد شديدة التعقيد، فلا أستطيعُ أن أُلخِّصَها في جملةٍ واحدة أو اثنتين من أجل مِيَا. أحسستُ بالخجل أمام غضبه البارد لأنني كنتُ قد حقَّقتُ في وفاة إيما في الخفاء. لكنه لو يجد طريقةً للتخلُّص أخيراً منها، ربما قد يصير قادراً على أن يرى الوضعَ بوضوح أكبر؟

أهزُّ رأسي، لأعبِّر عن اختلافي مع نفسي، ولأطردَ هذه الأفكار من عقلي. تفكير حالم.

الأمس: إيما

- طيّب، سلام إيما، يقولُ.

- سلام، سايمن، أقولُ.

وعلى الرغم من وداعه، يتباطأ عند عتبة وَنْ فولغيت ستريت.

- أنا حقّاً سعيدٌ بكوننا قد تمكّنا من الحديث.

- أنا أيضاً، أقولُ. وأعنيها. توجد أمورٌ كثيرة لم أُخبره بها أبداً، أشياء كثيرة احتفظتُ بها في رأسي. ربما لو أننا تحدّثنا أكثر عندما كنّا معاً، ما كنّا لنفترق. كان جزءٌ مني يودُّ دائماً أن يركله في مؤخرته أو أن يطرده إلى الخارج، لكنني لم أعد أشعر بذلك العداء. الآن، أنا سعيدة بأن يكون إلى جانبي شخصٌ لا يحاكمُني.

- أستطيعُ أن أبقى، إن شئتِ، يقترحُ سايمن بصوت خفيض. لتطمئنّي. لو عاد ذلك الوغد ديون أو أحدٌ آخر غيره سأواجهه.

- أعلمُ، أقولُ. لكن بصراحة، هذا ليس ضروريّاً، فهذا البيت حصنٌ حقيقيٌّ. ثم، دَعْ كلَّ أمرٍ لحينه، اتفقنا؟

- حسن، يقول. يميل نحوي ويضعُ قبلة، مبالَغاً فيها، فوق خدّي. ثم يضمّني بين ذراعيه بقوة. ويُعجبني هذا.

بعد انصرافه، يعود البيتُ إلى صمته. وعدتُهُ أن آكلَ شيئاً ما. أملأُ إناء بالماء لأسلق بيضة وأمرِّرُ يدي فوق الموقد.

لا شيء.

أُعيدُ الكرَّة. لا شيء. أنظر تحت منضدة المطبخ لأرى إن يكن في الإمكان فصلُ لاقطِ الحركة عن العمل. لا.

لو أن سايمن حاضر لاستطاع أن يُصلِحَ هذا، وأهُمُّ بالتقاط هاتفي المحمول لأتَّصِلَ به من جديد، لكنني أتراجع. فأنا وصلتُ جزئياً إلى هذه الحالة المزرية لأني أرضى أن أقوم دائماً بدور المرأة الهشّة المحتاجة دوماً إلى الرجال ليحلّوا لها مشاكلها.

يوجد تفّاح في الثلاجة، وهذا يكفيني. عندما أعضّ واحدة، أشمُّ رائحة الغاز. يبدو أن الموقد، على الرغم من أنه لم يُطلِق شرارة الاشتعال، إلا أن تدفُّقَ الغاز يعملُ وينشرُ الغازَ في أرجاء البيت. أحاولُ أن أوقفه بتحريك يدَيّ بعصبية فوق المنضدة. فجأة، أسمعُ صوت اشتعال شرارة، وتنبعثُ كرةُ لهبٍ، زرقاء وصفراء، وتغمُرُ ذراعي. أُسقِطُ التفاحة. أنا تحت وقع الصدمة، لا أُحسُّ بأيِّ ألم، لكني أعلمُ أنه قادمٌ. أُسرعُ لأضعَ ذراعي تحت صنبور الماء البارد. لا ينزل الماء. أصعدُ إلى الحمّام وأنا أجري. الحمد لله، هنا في الأعلى، يسيل الماء. الماء المثلج فوق جلدي المحروق. أتركه يسيل دقائق معدودة. ثم أفحصُ ذراعي. تؤلمني وبشرتي محمرّة، لكن لا وجود لنَفطة.

ليس الأمر من وحي خيالي. مستحيل. كأن البيت لم تَرُقْهُ زيارة سايمن ويعاقبني بهذه الطريقة.

هو حصنٌ، قلتُ لسايمن. لكن ماذا لو أن البيت نفسه يقرِّرُ ألّا يحميني؟ هل أنا حقّاً في أمان؟

فجأة، يركبني الخوفُ.

ألتجئ إلى خزانةِ عاملةِ النظافة وأُغلقُ الباب عليّ. يمكنني أن أتحصَّن داخل الخزانة لو لزم الأمرُ، بوضع المكنسات خلف الباب لإحكام إغلاقه. ولن يُدرك أحدٌ من الخارج أنني هنا. هو ملجأ ضيّقٌ، مليءٌ بوسائل الصيانة وموادها، لكنني في حاجة إلى مكان آمنٍ، وسيكون هذا هو المكان.

12. في كلِّ مجتمع مُتْقَن البنيان، يجب على الذين يخرقون القواعدَ أن يتحمّلوا النتائجَ.

نعم ❍ ❍ ❍ ❍ ❍ كلا

الآن: جين

أنا مُمَدَّدَةٌ فوق سريري، نصف نائمة، عندما أُحِسُّ به. خَجِلٌ ومُتَرَدِّدٌ مثل طرقٍ صغير على الباب، مجرّدُ ارتعاشٍ داخلَ بطني. أتعرَّفُ إليه، وأتذكّرُهُ من فترة إيزابيل. **حركةُ الجنين**. تسمية إنجيلية جميلة.

أظلُّ مستلقيةً هنا، لأستلذَّ وأنتظر ركلاتٍ أخرى. أُحسُّ ببعضها، يتبعها نوع من التدحرج. يغمرني حبُّ الأمومة والسعادةُ، إلى درجة أني أجهش بالبكاء. كيف استطعتُ أن أفكّر في الإجهاض؟ عندما أفكِّرُ في ذلك الآن، يبدو لي ذلك لا يُتَصَوَّرُ.

اكتمل استيقاظي الآن، وأتركُ رجلَيّ تتأرجحان فوق الأرضيّة وأتأمّلُ جسدي الذي يتغيّرُ. لم أصل بعد إلى المرحلة التي تجعل غرباء في الشارع يوجهون إليّ ملاحظاتهم -وفق جدول وجدتُهُ في مقرِّ العمل، طفلي يملكُ قامةَ مُحامٍ، تقريباً-، لكن عندما أكون عاريةً، يستحيل ألّا يلاحَظَ أني حاملٌ. يتدلّى ثديايَ المثقلان ويُظهِرُ بطني استدارةً مريحة.

أمشي نحو الحمّام، متسلِّيةً بميلي إلى أن أتهادى في مشيتي من غير ضرورة: تَلُفُّ الذاكرةُ العَضَلِيَّةُ للأمومة جسدي مثل معطفٍ

مألوفٍ. يوجد مشكلٌ في رشّاش الماء. يكون الماء ساخناً وينقلبُ بارداً كالثلج فجأةً، غير أني أجدُ هذا منعِشاً. أتساءلُ إن لم يكن البيتُ يجد صعوبة في التعرّف إليّ الآن وقد صار شخصٌ آخر يحيى بداخلي. لا أعتقد أن هذه التكنولوجيا تعملُ بهذه الطريقة، لكنني لا أفقهُ فيها شيئاً ذا بال.

وبينما أتنشّفُ أشعرُ بموجة غثيان تصعد بداخلي. أجلسُ فوق مقعد المرحاض وأنفخُ طويلاً محاولةً إبعادها، لكنها تعود، وقد تضاعفت قوّتُها. لا خيار لي إلّا أن أرتمي إلى الأمام، واضعة رأسي داخل مقصورة رشّاش الماء. وأُجري الماءِ لإزالة القيء.

جدار المقصورة الآن تنتشرُ فوقه آثارُ القيء، فأجلس القرفصاء لأنظِّفهُ وأُلمِّعَهُ، ثم أنتقلُ إلى تنظيف الحوض. وعندما أنحني لأنظِّفَ الفَرْزَةَ التي تمتدُّ طولَ أساسِ الجدار، ووجهي يكاد يلتصقُ بالأرض، أرى شيئاً يلمعُ في الضوء. لا تستطيعُ يدايَ أن تطولاهُ، فأستعينُ بعود قطن لأستلَّهُ بعناية.

في البداية، أظنُّ أنني عثرتُ على قطعة حجرٍ أو كُرَيَّةٍ سقطت من إطارٍ. ثم ألاحظُ الثّقب الصغير في الوسط. إنها لؤلؤة، صغيرة جدّاً، ذات لون حليبيّ غير معتاد. لا بدَّ أنها قد سقطت من عقدي.

أعود إلى الغرفة، وأُخرِجُ العِقدَ من حُقِّهِ. تُشبهُ هذه اللؤلؤةُ بقيّة اللآلئ، من دون شكّ. لكن عِقدي كاملٌ، لا ينقصهُ شيء.

لا أفهمُ كيف تسرّبت هذه اللؤلؤةُ بما أن العِقد غير منفرط. مُحالٌ. هذا لغزٌ يتحدّى المنطق.

يوجد محلٌّ لبيع المجوهرات قبالة مقرِّ عملي في **الأمل الجديد**. وأُقَرِّرُ أن أعرضَ عليهم اللؤلؤةَ والعِقد.

الأمس: إيما

أبعثُ رسالة إلكترونية إلى شركة مونكفورد لأشتكي من مشاكل البيت. لا جواب. أتصلُ بمارك، الوكيل العقاري، لكنه يُخبرني أنَّ عليّ التوجّه مباشرة إلى شركة مونكفورد في كلِّ ما يتعلق بالمسائل التقنية. ينتهي بي الأمرُ إلى أن أصيح به في الهاتف، وأفترضُ أن هذا لا يُصلِحُ الأمور. أبعثُ رسالة نصية قصيرة إلى إدوارد. وطبعاً، لا يَرُدُّ.

ثم إني واثقة، فوق ذلك كلّه، أن الإضاءة قد غُيِّرت. كان مارك قد شرح لنا، عند انتقالنا للسكن هنا، أن قوة الإضاءة تزداد أوتوماتيكياً لتقاوم كآبة الشتاء. لكن، أيمكن للبيت أن يقوم بعكس هذا؟ فأنا ليس فقط صرتُ أنامُ نوماً سيّئاً، بل أستيقظُ متعبةً، وعيناي جافّتان ومحمرّتان.

يتّصلُ بي سايمن ويقترح عليّ من جديد أن يأتي ليعيش معي. سيكون من السهل أن أقول نعم. أجيبُهُ بأني سأفكِّرُ في الأمر. أستشعر النشوةَ في صوته، على الرغم من محاولته إخفاء ذلك. سايمن، الودودُ، والمُسَلِّي، والوفيّ. مأواي في العاصفة.

ثم يجيبُ إدوارد مونكفورد على رسالتي النصية القصيرة.

الآن: جين

«فريدة»، يُعلِّقُ الصائغُ وهو يُديرُ اللؤلؤة بين إبهامه والسبّابة، بينما يفحصُها بوساطة عدسته المُكبِّرة. «إن تكن هي ما أعتقده، فإنها لؤلؤة نادرة جدّاً».

أُخرِجُ العِقد من حُقِّهِ ذي شكل المحارة.

«هل يمكن أن يكون أصلُها من هذا؟».

يأخذُ الحُقَّ الذي أمُدُّهُ إليه ويهزُّ رأسه وهو يكتشف الحروف اليابانية. «كوكيشي ميكيموتو. نادراً ما نرى مثل هذا». يُخرجُ العِقدَ ويرفعهُ في الضوء ليُقارنهُ باللؤلؤة. «من دون شكّ، مماثلة. مثلما كنتُ أعتقد، إنها لآلئ كيشي».

«لآلئ كيشي؟».

«إنها لآلئ نادرة جدّاً، خصوصاً عندما تكون تقريباً مستديرة مثل هذه. أصلها من محارات كانت تحوي أكثر من لؤلؤة، أي توائم بعبارة أخرى. تحصُلُ على هذا اللمعان الاستثنائي، لأنها من دون نواة. وبما أنها، كما أخبرتُكِ، نادرة جدّاً، فإني أفترضُ أن العِقد قد انكسر وأن اللآلئ قد انفرطت. وقام صاحب العقد أو صاحبتُهُ بإصلاحه، ونسي أو نسيَت لؤلؤةً».

«أفهمُ». على الأقل، أفهمُ ما يقوله لي هذا الرجلُ. لكن في المقابل، أحتاج إلى وقت طويل لأهضم حقيقة أن إدوارد قد أهداني عِقداً كان قد أهداه لشخص آخر قبلي.

وعند خروجي من محلِّ المجوهرات، أُخرِجُ هاتفي.

«سايمن»، أقولُ ما أن يجيبني. «أتعلمُ إن كان إدوارد مونكفورد قد أهدى إيما عِقداً من اللؤلؤ؟ وإن كان قد فعلَ، فهل انكسر ذلك العقد؟».

الأمس: إيما

يجب أن أراكِ. إدوارد.

أُفكِّرُ قبل أن أجيب. **ألا تزالُ غاضباً مني، بابا؟**

لا يتأخر الجوابُ. **بالقدر الذي تستحقينه.**

لا يهمُّ. أيعني هذا أنكَ لا تزالُ تريدني؟

سنرى بعد هذا المساء.

في هذه الحالة، من مصلحتي أن يكون سلوكي مثاليّاً.

أحسُّ، منذ الآن، بركبتَيّ ترتعشان.

السابعة مساء. سترتدين اللآلئ. وتقريباً لا شيء آخر.

طبعاً.

ساعتان لأستعدَّ، وأنتظر، وأتحمَّلَ. أخلعُ ملابسي وأبدأ العمل.

الآن: جين

«ألا تفهمين إذاً؟»، يقول لي سايمن بلهجة مُلِحَّة. «هذا يُثبتُ أن إدوارد مونكفورد كان حاضراً عندما ماتَت إيما».

نحن جالسان في المقهى ذاته، قرب **الأمل الجديد**، حيث غازلني إدوارد مونكفورد لأول مرة. **شخصان يقترنان من دون أيِّ اعتبار سوى اللحظة الحاضرة**. يا لها من كذبة شوهاء! لكنه كان صادقاً في تلك اللحظة: كان يأمُلُ أن يسترجع العناصر التي أحبّها في علاقته بإيما، من دون الجوانب السيئة في تلك العلاقة. لكن، مثلما شرحتْ لي كارول، لا يمكنكَ أن تحكيَ مرّتين الحكاية نفسَها وانتظار نهاية مختلفة.

يواصِلُ سايمن كلامه.

«آسفة. ماذا كنت تقول؟».

«كنتُ أقولُ إن إيما كانت تضعُ هذا العقد لأجله فحسب. كانت تعرفُ أني أمقُتُهُ. كنّا تواعدنا على اللقاء في ذلك اليوم. كان الأمرُ تقريباً محسوماً. ثم ألغَت ذلك، قائلةً إنها ليست بحال جيدة. في تلك اللحظة تساءلتُ إن لم تكن تُخالطُ مونكفورد».

أعقد حاجبَيّ. «بصراحة، لا يمكنكَ أن تستنتج هذا كلَّهُ من مجرد لؤلؤة. لا تُثبِتُ شيئاً».

«فكِّري»، يُلِحُّ سايمن، بصبر. «كيف استرجع مونكفورد العِقدَ ليُهديَهُ إليكِ؟ كان بالضرورة حاضراً عندما انكسر. لكنه كان يعلم أنه لو تركَ اللآلئَ مبعثرةً فوق الأرضية، سيبدو الأمرُ مثل شِجارٍ، وليس انتحاراً أو حادثاً. فقام إذاً بجمعها قبل أن ينصرف، كلَّها إلّا واحدة. تلك التي عثرتِ عليها».

«لكن إيما لم تمت في الحمّام»، أُعقِّبُ على كلامه. «عثروا عليها عند أسفل السلَّم».

«لا يفصل الغرفة عن السلَّم سوى بضع خطوات. كان يستطيع بسهولة أن يجرّها إلى هناك ويدفعها».

لا أُصدِّقُ لحظةً واحدةً هذه الروايةَ المُنَمَّقةَ، لكن يجب أن أعترفَ أن اللؤلؤة يمكن أن تكون دليلاً.

«طيّب»، أقولُ. «سأتّصِلُ بجيمس كلارك. أعلمُ أنه يأتي إلى لندن كلَّ أربعاء. يمكنكَ أن تلتحقَ بنا. وهكذا، ستسمعُ بنفسكَ كيف سيردُّ على نظرياتكَ».

«جين... أتريدين أن آتي للاستقرار معكِ في وَنْ فولغيت ستريت مدة بضعة أيام؟»، لا بدَّ أني أبدو مندهشة، لأنه يسارعُ ليُضيف: «كنتُ قد اقترحتُ هذا على إيما. لم توافق ولم أجرؤ على الإلحاح. سأندم على ذلك طوال حياتي. لو كنتُ حاضراً..».

لا يُكمِلُ جملتَهُ.

«شكراً»، سايمن. «لكن لا شيء يُثبِتُ في هذه اللحظة أن إيما قد قُتِلَت».

«جميع الدلائل تُشيرُ إلى مونكفورد، هذا بدهيٌّ. أنتِ ترفضين الاقتناع لأسباب تخُصُّكِ. وأعتقدُ أن كلانا يعرفها».

تقعُ عيناهُ على بطني المنتفخ، فأحمَرُّ.

«وأنتَ»، أَرُدُّ عليه، «لديكَ أسباب عاطفية لترغبَ في أن يكون مُذنِباً. وليكن في علمكَ أننا، أنا وإدوارد، كانت بيننا علاقة قصيرة، لكن لا شيء أكثر. لم نعدْ مع بعض».

يبتسمُ، باديَ الحزن.

«طبعاً»، يقول. «انتهكتِ القاعدة رقم واحد. تذكّري ما جرى لذلك القط».

الأمس: إيما

قَصَصتُ، وقلَّمتُ، وسَوَّيتُ، واستعملتُ ملقط إزالة الشعر.

أضعُ عقد اللؤلؤ. يضغطُ عنقي مثل يد عاشقٍ. ينتشي قلبي. وتغمرني أمواجُ اللهفة.

لا تزال ساعة انتظارٍ قبل وصوله. أَصُبُّ لنفسي كأسَ خمرٍ كبيرة وأشربها تقريباً دفعة واحدة. ثم أتجهُ نحو الحمّام، والعقد لا يزال حول عنقي.

أسمعُ صوتاً في الأسفل. يصعبُ تحديدُهُ، لكن يمكن أن يكون صرير حذاء. أتجمّدُ.

- من هناك؟

لا جواب. أمسكُ فوطةً وأقتربُ من أعلى السلَّم. «إدوارد؟».

يتمدَّدُ الصمتُ، ثقيلاً وبليغاً، بطريقة معيّنة. أُحِسُّ بزغب قفاي ينتصبُ.

«من هناك؟».

أنزلُ درجاتٍ على رؤوس أصابع قدمَيّ. ومن هنا، أستطيعُ أن أرى أركان البيت الأربعة. لا أحد.

إلا إن يكن المقتحِمُ موجوداً تحتي مباشرة، تُخفيه الدرجاتُ الحجريةُ. أصعدُ من جديد متراجعة، وأنا أنظر خلال الفجوات.

لا أحد.

في تلك اللحظة أسمعُ صوتاً آخر، نوعاً من النخير. يبدو أنه يأتي من فوق، هذه المرة. لكن عندما أستديرُ، أسمعُ صفيراً حادّاً، بتردّدٍ يكاد يخترقُ حدود سمع الإنسان. يرتفعُ، شبيهاً بأزيز بعوضة. وأُلصِقُ يدَيّ على أذنَيّ، لكن الصوتَ يلجُ إلى دماغي.

ينفجر مصباحٌ في السقف، وتنتشرُ شظايا الزجاج المُهَشَّم فوق الأرضية وسط طنين. ويتوقّفُ الصوتُ. لا بدَّ أنه اختلال في مرافق البيت التقنية. في الصالون، أسمعُ حاسوبي المحمول يُعيد التشغيلَ. جميعُ الأضواء تخفُتُ ببطء، إلى أن تنطفئ، ثم تشتعلُ من جديد. تظهر صفحةُ استقبال Housekeeper على شاشة حاسوبي. كأن البيتَ بكامله قد أُعيدَ تمهيدُهُ للتوّ.

مهما يكن مصدر الخلل، فقد انتهى الأمر. لا وجود لأيِّ شخص. أعودُ لأصعد إلى الحمّام.

الآن: جين

«مُدْهِش»، يقول جيمس كلارك وهو ينظر بالتناوب إلى العِقد واللؤلؤة. «مُدْهِش».

«لا نعرفُ ما نقول عن هذا»، أقولُ له. وعندما أرى النظرة التي يحدجني بها سايمن، أضيفُ: «أو على الأصحّ، ينفرد كلٌّ واحد منّا برأيه الخاص. بالنسبة إلى سايمن، فهذا يمكن أن يكون دليلاً على أن إدوارد قد قتَلَ إيما. أما بالنسبة إليّ فلا أرى أن هذا يُغيِّرُ من الأمر شيئاً».

«سأقول لكِ ما الذي يُغيِّرُهُ هذا»، يُجيبُ المفتّشُ المحال على التقاعد. «مسارُ ديون نيلسون. لو كان هناك عِقد لؤلؤ في مكان ما، ولو مكسوراً، لكان قد أخذَهُ. وفي هذه الحالة ما كان السيد مونكفورد ليستطيع أن يُصلِحَهُ ليُهديهُ إليكِ. والنتيجة، يمكنني توديع نظريتي المفضَّلة».

«في المرّة الأخيرة التي التقينا فيها»، يقول سايمن، «بعد التحقيق، أخبرتَني أن مونكفورد كان لديه حجّة».

«أجل. نوعاً ما. بكلّ صراحة، كان من البَيِّنِ أنكَ لم تكن مستعدّاً للتخلّي عن القضيّة. وبعد أن تمكّنا أخيراً من استكمال

تحقيقٍ دامَ ستة أشهرٍ، لم تكن لدينا أدنى رغبة في أن يحاول عاشقٌ مكلوم القلب أن يكسر حكمَ الطبيب الشرعي. ولهذا قد أكون بدوتُ لكَ أكثر اقتناعاً ممّا كنتُ في الواقع. كان السيد مونكفورد يؤكِّدُ أنه كان موجوداً في الورشة بكورنويل لحظة موت إيما. كان قد شوهِدَ في فندقه صبيحة المأساة، وفي بداية المساء. لا شيء كان يدلُّ على أنه قد عاد إلى لندن بين الفترتين، لذا كنّا ميّالين إلى تصديقه».

يحدجُ سايمن الشرطيَّ السابقَ بنظرةٍ قوية.

«أنتَ الآن تقول إنه يمكن أن يكون قد قتَلَها».

«مليون شخص **كان يمكنهم قتلُها**»، يجيبُ كلارك. «نحن لا نفكر بهذه الطريقة. نحن نبحثُ عن الدلائل التي تُحدِّدُ المُذنبَ الحقيقي».

«مونكفورد مجنون!»، يحتدُّ سايمن. «انظر إلى البيوت التي يبنيها، بربِّكَ! إنه معتوه، مسكون بحبِّ الكمال، وعندما لا يُعجبهُ شيء، لا يضعُهُ جانباً. يُدَمِّرُهُ ويُعيدُ الكَرَّةَ. بل إنه قال ذلك لإيما، ذات يوم، بوضوح تام: «هذه العلاقة ستستمرُّ ما دامت مثالية بشكل مطلق». أليست هذه كلمات مجنونٍ؟».

يشرحُ كلارك بصبر وأناة لسايمن أن هواية علم النفس وعمل المحققين أمران مختلفان كلَّ الاختلاف. لكنني لا أُنصتُ إليه باهتمام.

قال لي إدوارد الكلامَ نفسَهُ، أُدركُ ذلك الآن. **من بين العلاقات الأكثر مثالية التي عرفتُها، لم يَدُمْ بعضُها أكثر من أسبوع واحد.. أنت تُقَدِّرُ الآخر أكثر عندما تعلم أن الأمر لن يدوم دائماً.**

يركلني طفلي برجله فوق السرّة. أرتعشُ. أنحنُ في خطر؟

«جين؟».

ينظرُ إليّ الرجلان مستفهمين. أفهمُ أن سؤالاً قد طُرِحَ عليَّ.

«عذراً؟».

يرفعُ جيمس كلارك العِقد.

«أيمكنُكِ أن تضعيهِ، من فضلِكِ؟».

أجدُ صعوبة في إقفال المشبك الصغير من الخلف. يَهُبُّ سايمن ليساعدني، فأرفعُ شعري لأسَهِّلَ له الأمرَ. تتعثَّرُ أصابعُهُ عند احتكاكها ببشرتي وأُدركُ، بكل اندهاش، أنه ينجذبُ إليّ.

وعندما يُشبَكُ العِقدُ، يفحصُهُ كلارك متفكِّراً.

«أتسمحين؟»، يسألني وهو يميلُ نحوي.

أوافقُ، فيحاول عندئذ أن يَدُسَّ إصبعاً بين صفوف اللآلئ وبشرتي. مستحيل.

«مممممم»، يُهَمْهِمُ وهو يعود للجلوس. «لا أريدُ أن أصبَّ الزيت على النار، إن أمكنني استعمال هذا التعبير، لكن قد يوجد تفصيلٌ مُهِمٌّ».

«ما هو إذاً؟»، يسألُ سايمن في الحال.

«عندما اكتُشِفَ جسدُ إيما، ظنَّ الشرطيُّ، الذي كان أوَّلَ من وصلَ إلى المكان، أنه لاحظَ أثراً خفيفاً حول العنق. وقد سجَّلَ ذلك، لكن المدة التي استغرقها حضور الطبيب الشرعي كانت كافية لأن يختفي الأثر. لم يتبقَّ سوى خدوش خفيفة». يشير إلى عنقي، إلى المكان الذي حاول أن يدسَّ فيه إصبعاً تحت العقد. «لم يكن شيئاً ذا بالٍ، بالتأكيد... ليس ما يمكن أن يتسبّبَ في الموت بطبيعة الحال. وخَلُصْنا، باعتبار خطورة الجروح الأخرى، إلى أنها قد تكون أُصيبت بتلك الخدوش أثناء سقوطها».

«بينما في الحقيقة، انتزعَ أحدٌ ما العِقدَ من عنقها»، يستنتجُ سايمن.

«هذا افتراض»، يُجيبُ كلارك.

«ويوجدُ افتراضٌ آخر»، أسمعني أقولُ.

«آه نعم؟»، يقول كلارك.

- «إدوارد. . . »، أُحِسُّ أنني أَحْمَرُّ. «لديَّ أسبابٌ تجعلني أعتقدُ أن إدوارد وإيما كانا يُحبّان العلاقات العنيفة».

يُبَحْلِقُ فيّ سايمن، بينما يهزُّ كلارك رأسَهُ.

«فعلاً»، يؤكِّدُ كلارك.

«إذاً، لو كان إدوارد مع إيما في ذلك اليوم، وهو الأمر الذي لا أزالُ أشكُّ فيه»، أقول هذا عابراً، «فإن العِقد كان يمكن أن ينكسر من غير قصد».

«ربما. أفترضُ أننا لن نعرفَ ذلك أبداً»، يقول المفتِّش.

في تلك اللحظة تَرِدُ فكرةٌ على ذهني.

«أثناء حديثنا السابق، قلتَ إنه لا يوجد أيُّ وسيلة لمعرفة من دخل إلى البيت توّاً بعد موت إيما».

«صحيح. وماذا بعد؟».

«أجدُ هذا غريباً، هذا كلُّ ما في الأمر. هذا البيتُ مُصَمَّمٌ ليُسَجِّلَ عدداً كبيراً من المعطيات والاحتفاظ بها. . . بل إن هذا علّة وجوده».

«يمكنك القيام بإنزالٍ في مكاتبهم»، يقترحُ سايمن. «مصادرة الحواسيب وفحص ما يوجد بداخلها».

يوقِفُهُ كلارك بإشارة.

«مهلاً. أنا، لا أستطيعُ أن أفعلَ أيَّ شيء. أنا متقاعد.

والعمليةُ التي تصفها سَتُكَلِّفُ آلاف الجنيهات. واحتمال أن تتمكّن من الحصول على تصريح بالتفتيش بعد كل هذا الوقت ضعيف جدّاً. لا يوجد أيُّ دليل دامغ».

يضربُ سايمن بقبضته على الطاولة.

«لا وجود لأمل!».

«ولو كنتُ مكانك، لحاولتُ أن أنسى كلَّ هذا الأمر»، يقولُ كلارك بنغمة متعاطفة. ويستديرُ نحوي. «وأنتِ، أنصحُكِ أن تبحثي سريعاً عن مسكن آخر. بأقفال صلبة ونظام إنذار جيّد. في حالة ما إذا...».

الأمس: إيما

أدخلُ الحمّامَ. لا شيء يحدثُ في البداية. ثم ينهمرُ الماءُ من رأس الرشاش الضخم كالشلّال. أقلبُ وجهي، مبتهجة.

كلُّ شيء سينتظمُ.

أغتسلُ بعناية من أجله، أنظِّفُ بالصابون جميع أرجاء جسمي. لكن فجأة، من دون إنذار، يشرعُ صبيبُ الماء في التقطّع ويصيرُ الماءُ جليدياً. أتراجعُ صارخة.

- إيما، يقول صوتٌ من خلفي.

ألتفتُ سريعاً.

- ماذا تفعل هنا؟ أسألُ. ألتقِطُ الفوطة من المشجب وأَلُفُّ بها جسدي. وكيف دخلت؟

الآن: جين

«ما هي ميزانيتك؟»، لا تضحكُ كاميلا بشكل صريح، لكنها تعتقد بوضوح أني أنخدِعُ بالأوهام. «بينما كنتِ تعيشين في وَنْ فولغيت ستريت اشتعل سوقُ الكراء. لا تكفي المساكنُ في لندن. من دون الحديث عن كل أولئك الأجانب الذين يستثمرون في العقار لحماية أموالهم. بيتٌ بحجرتَين يتطلّبُ اليوم كراؤه الضِّعفَ». تشيرُ إلى واجهة الوكالة. «انظري».

عند عودتي إلى وَنْ فولغيت ستريت قرّرتُ أن أعملَ بنصيحة جيمس كلارك وأن أشرع في البحث عن شقّة. وها أنا قد بدأتُ أندم على ذلك. «قد يكفيني استوديو كبير. في الفترة الحالية على الأقل».

«ليس لديك الإمكانات لكراء استوديو، جين. لكن يتبقى حلُّ العوّامة».

«سأضعُ طفلاً. وقريباً سيبدأ في المشي، فلا أعتقدُ أن عوّامةً ستكون فكرةً جيّدة، إن فهمتِ ما أقصدُ». أتردَّدُ، ثم أسألُ: «ألا يوجد مُلّاكٌ آخرون يفعلون مثل إدوارد؟ الذين يُكرون بيتهم بثمن رخيص لأشخاص يعتنون به؟».

تُحرِّكُ كاميلا رأسها بالنفي.

«الاتفاق المُبرَمُ مع مونكفورد فريدٌ من نوعه».

«لا يستطيعُ أن يطردني ما دمتُ أدفعُ ثمن الكراء. ولن أرحلَ ما لم أجد سكناً آخر». شيءٌ ما في تعابير وجه كاميلا يوقفني. «ماذا هناك؟».

«عَقد الكراء الذي وقّعتِهِ يحوي أكثر من مئتي قاعدة»، تُذَكِّرُني. «أرجو ألّا تكوني قد خالفتِ أيَّ واحدة منها. وإلّا ستكونين مسؤولة عن إلغاء العَقد».

تغمرني دفقةُ غضبٍ.

«تبّاً لتلك القواعد! وتبّاً لإدوارد مونكفورد!».

أضربُ الأرض بقدمي من شدّة غيظي. إنها هرمونات النَّمِرة.

لكن، على الرغم من كلمات التحدي هذه، أعلمُ أنني لن أواجِهَ إدوارد في هذا المجال. منذ حديثي مع سايمن وجيمس كلارك، أصبح وَنْ فولغيت ستريت يوحي إليّ بإحساس لم أُجرِّبهُ من قبل بين هذه الجدران. بدأتُ أشعرُ بالخوف.

مكتبة
t.me/t_pdf

الأمس: إيما

- احتفظتُ بالمفتاح الرّقمي، يقولُ.
يتقدَّمُ خطوةً نحوي. عيناهُ محمرّتان ونظرتُهُ مجنونة. لقد بكى.
- قلتُ لمارك إنني مَحَوْتُهُ عندما رحلتُ. لكنني لم أفعل ذلك. واستخدمتُهُ في قرصنة منظومة البيت. لعب أطفال.
- آه، أقولُ. لا أعرف ما أقولُ غير ذلك.
- كنتُ في الأعلى، يعترفُ. في العِلِّيّة. أحياناً، آتي عندما تكونين نائمة. وأنامُ هناك في الأعلى. هكذا، أكونُ قريباً منكِ.
يضعُ إصبعه فوق حنجرتي فأتراجعُ، مذعورةً.
- إنه العقد الذي أهداكِ إياه، أليس كذلك؟ إدوارد.
- أجل. يجب أن تنصرف، سايمن. أنتظر شخصاً.
- أعلمُ. يُخرِجُ سايمن من جيبه هاتفاً محمولاً لا أعرفُهُ. إدوارد مونكفورد. لكن، لا. أنا من بعثتُ إليكِ بالرسالة.
- هيه؟ أقول بصوت خفيض.
- ذات مساء في الأسبوع المنصرم، أخذتُ هاتفَكِ وسجَّلتُ هذا الرقمَ ضمن أرقام الاتصال الخاصة بكِ، باسمه، يشرح لي بنوع من التباهي. لكي تتوهّمي أن الرسائل تأتي من عنده. وقد محوتُها

بعد ذلك طبعاً. ثم إن هذا هاتف مدفوع الثمن مسبقاً، لا يمكن تعقُّبُ أثره.

- لكن. . . لماذا؟ أسألُ مندهشة.

- لماذا؟ يُردِّدُ سايمن. لماذا؟ هذا هو السؤال الذي لا أتوقف عن طرحه على نفسي، إيما. لماذا مونكفورد؟ لماذا سول؟ في حين لا أحدَ منهما يحبُّك قدرَ حبِّي لكِ. وأنتِ أيضاً، كنتِ تحبينني. أعرفُ. كنّا سعيدَين.

- لا. لا، سايمن، أقولُ بنبرة صارمة ما استطعتُ. أنتَ مخطئ. لم يكن في مستطاعنا أن نكون سعيدين معاً، ليس في الأمد الطويل. لستُ مناسِبة لك. أنتَ في حاجة إلى امرأة طيبة تعتني بك، وليس إلى امرأة مثلي.

- لا تقولي هذا، إيما. تسيلُ دموعٌ على خدِّهِ الآن. لا يمكنُكِ قولُ هذا. لن أسمح لكِ أن تقولي هذا.

أحاولُ أن أسترجع زمام الوضع.

- يجب أن تنصرف من هنا، سايمن. حالاً. وإلّا، سأتّصِلُ بالشرطة.

يحرِّكُ رأسه.

- لا أستطيعُ، إيما. لا أستطيع.

- لا تستطيعُ ماذا؟

- لا أستطيعُ أن أتخلّى، يهمسُ. لا أستطيعُ أن أقبَلَ أن ترغبي في جميع هؤلاء الرجال وأنا لا.

ينظر إليَّ بطريقة غريبة، يائسة، وأُدرِكُ أنه قد تهيّأ لاقتراف فعلٍ مُرعِبٍ. فجأةً، أنطلقُ محاولةً المرور أمامه. يمسكني من معصمي، لكن يده تقبضُ على الدُّملج، الذي ينزلقُ، وها أنا حرّة. لكنه

يعترض طريقي بجسمه وتبحث أصابعهُ عن عنقي، عن العِقد. أُحِسُّ به ينكسرُ، وتتساقطُ اللآلئُ مثل حبّات البَرَد الصغيرة. تضغطُ ذراعُهُ على عنقي من الخلف، ويَجُرُّني بعنفٍ إليه ليُرغِمني على الخروج من الحمّام متقهقرةً إلى الوراء، بطريقة معلِّم سباحة يُنقذُ شخصاً من الغرق. يصعقني الخوفُ ولا أجدُ بُدّاً من أن أتركه يجرّني.

- سايمن... لا أتمكَّنُ من الكلام، ذراعُهُ تخنقني. عندما نصلُ إلى أعلى السلَّم، يستدير وأجدني أمام الفراغ.

- أحبُّكِ، إيما، يهمسُ في أذني. أحبُّكِ.

لكنه يلفظُ هذه الكلمات بنوع من الغضب، كأن الأمر لا يتعلّقُ بالحبِّ، بل بالكراهية، وبينما يُقبِّلُني، وهو يدفعني نحو درجات السلَّم الحجرية، أُحِسُّ بمدى تصميمه، يريدُ أن أموت. أتدحرجُ، يصطدمُ رأسي بالدرجات الحجرية، الواحدة تلو الأخرى، يُهَشِّمُ الألمُ والرُّعبُ كلَّ جزء من جسدي، الذي تزداد سرعتُهُ. في المنتصف، أهوي في الفراغ، على جانب السلَّم، وأجدُ للحظةٍ راحةً قصيرةً، يغمرها الرعبُ، قبل أن تُسرعَ الأرضيةُ الحجريةُ لتتلقّفني وينفجر رأسي.

الآن: جين

أتّصلُ بسايمن.

«ليس من عادتي أن أدعو للعشاء رجالاً بالكاد أعرفهم»، أقولُ له. «لكن، إن يكن عرضُكَ صادقاً، فأنا سأكون سعيدة بأن أستمتع برفقتكَ».

«بكلِّ سرور. أتريدين أن أُحضِرَ معي شيئاً؟».

«في الحقيقة، لا يوجد عندي خمر في البيت. أنا شخصياً لن أشرب، لكن قد ترغبُ أنتَ في ذلك. عندي شرائح لحم. ليس من لحوم المتاجر الكبرى، اشتريتُها من تلك المجزرة الأنيقة في هيغ ستريت. لكنني أُحذِّرُكَ: سآكلُ حصَّتَكَ، بالإضافة إلى حصّتي، إن تصل متأخّراً. لديَّ شهيّة مفترسة في هذه اللحظة».

«هذا أفضل». يبدو أن هذه الملاحظة تُسلِّيهِ. «سأكون عندكِ في السابعة مساء. وهذه المرة، أعدُكِ بألّا أتّهمَ مونكفورد بقتل صديقتي. حسن؟».

«شكراً». كنتُ تحديداً أريد أن أقترح عليه ألّا نتحدث لا عن إيما ولا عن إدوارد هذا المساء -يكفيني ما أنا فيه من قلق-، لكنني

لم أكن أعرف كيف أتطرَّقُ للموضوع بكياسة. أُدرِكُ أنَّ سايمن إنسانٌ ودود جدّاً. أتذكَّرُ ما قالتهُ مِيَا. **إن أردتِ رأيي، فخيرٌ لك أن تعيشي بين أحضان رجلٍ مثله من أن تعيشي مع مهندسكِ المجنون.**

أطرُدُ هذه الفكرةَ من ذهني. حتى لو لم أكن ضخمة وحاملاً من رجل آخر، فذاك أمرٌ لا أتصوَّرُهُ.

عندما أفتحُ له البابَ بعد ساعتين تقريباً، أكتشفُ أنه يحملُ ورداً وقنينة خمر. «هذا من أجلكِ»، يقولُ وهو يمدُّ إليَّ الباقةَ. «لا أزالُ غاضباً من نفسي بسبب سوء أدبي معكِ أثناء أول لقاء بيننا. لم يكن في إمكانكِ أن تعلمي أن تلك الورود لم تكن موجَّهَةً إليكِ».

يقبِّلني على خدِّي، وتستغرقُ قبلتُهُ وقتاً أطول قليلاً من اللازم. إنه منجذِبٌ إليّ، أكادُ أكون واثقة من ذلك الآن. لكني لا أعتقد أن الأمر يمكن أن يكون متبادلاً، مهما تقل مِيَا عن ذلك.

«إنها رائعة»، أقولُ وأنا أضعُ الورودَ بجانب الحوض. «سأضعها في الماء».

«وأنا سأفتحُ قنينة الخمر. إنه بينو غريغيو، خمر إيما المفضَّل. أنت واثقة من أنكِ لا تريدين قليلاً منه؟ لقد استقصيتُ الأمر في الإنترنت. أغلبُ الأخصائيين يعتبرون أن امرأة حاملاً يمكنها أن تشرب كميةً قليلة من الكحول في الأسبوع الخامس عشر تقريباً».

«فيما بعد، ممكن. لكن هيّا أنتَ».

أحشو الورودَ في مزهريّة وأضعُها فوق الطاولة.

«أين هو مثقب القنينة، إيما؟»، يسألني.

«في الخزانة. إلى اليمين». أصمتُ قليلاً. «هل ناديتَني إيما؟».

«صحيح؟»، يضحكُ. «أنا آسفٌ. يبدو لي كلُّ هذا أليفاً جدّاً. أن أكون هنا، معكِ، وأن أفتحَ قنينة خمر. ليس معكِ أنتِ، ولكن معها، بالطبع. لن يحدث الأمرُ مرة أخرى، أعدُكِ. أين هي الكؤوس؟».

الأمس: إيما

الآن: جين

غريب طهيُ شرائح اللحم من أجل رجلٍ، أيٍّ كان، في وَنْ فولغيت ستريت. لم يكن إدوارد ليتركني أطهو أبداً؛ كان سيتكفَّلُ بالأمر بنفسه. كان، بعد أن يرتدي وزرةً، سيختار الزيت الجيّد، والأدوات المناسبة، وهو يشرحُ لي مختلف كيفيات طبخ شرائح اللحم، في توسكانا أو في طوكيو. أما سايمن، فإنه سعيد بأن يراني أمام الفرن بينما نتحدّثُ عن سوق العقار، وعن طرق الحصول على مسكن غير غالي الثمن وعن الشقة التي يكتريها الآن.

«الجيّدُ بالنسبة إلى المرء عندما يرحلُ عن هذا، أنه لا يعود مجبراً على الالتزام بتلك القواعد البليدة»، يقولُ بينما أقوم بشكل أوتوماتيكي، بغسل المقلاة، ومسحها، ووضعها في مكانها، قبل أن نلتحق بالمائدة. «بعد مدّةٍ، تجد صعوبة في تصديق أنكَ كنتَ تعيش بهذه الطريقة».

«هممم»، أقول.

أعلمُ أني بعد فترة سأكون محاطة بكل تلك الأشياء المختلفة التي يحتاجها وليدٌ، وسيظلُّ جزءٌ مني يحنُّ دائماً إلى جمال وَنْ فولغيت ستريت المتقشِّف، والمنضبط.

أشربُ جرعاتٍ من الخمر، لكني ألاحظُ أنني لم أعد أتذوّقُه.

«كيف يسيرُ حملكِ؟»، يسألُ سايمن، وأتفاجأُ وأنا أحدِّثُهُ عن قلقي بسبب متلازمة داون، وهو ما يجرّني للحديث عن إيزابيل. والنتيجة أنني أجهشُ بالبكاء ولا أقوى على إنهاء شريحتي.

«أنا آسفٌ»، يقولُ. «لا بدَّ أنكِ قد عانيتِ كثيراً».

أهزُّ كتفيَّ وأمسحُ دموعي. «لكل واحد مشاكله، أليس كذلك؟ إنها الهرمونات، أبكي لأتفه الأسباب».

«كنتُ أريد أن أبنيَ أُسرةً مع إيما».

بعد أن قال هذا، يظلُّ سايمن صامتاً، قبل أن يستأنف: «كنتُ سأطلبها للزواج. لم أَبُحْ بهذا لأيٍّ أحد. والغريب أن انتقالنا للعيش هنا هو الذي حثّني على اتخاذ هذا القرار: كنّا أخيراً قد وجدنا مَسْكناً. كنتُ أعلمُ أن إيما تعبرُ فترةً صعبةً، لكني كنتُ أعزو ذلك إلى حادث السطو».

«لماذا لم تفعل ذلك؟ أقصدُ: أن تطلبها للزواج».

«آه...»، يرفع كتفيه. «كنتُ أريدُ أن يكون أعظم طلبٍ في جميع الأزمنة. مثل تلك الفيديوهات التي نشاهدها على الإنترنت حيث ينظِّمُ الشخصُ حفلاً خاصاً ليُغنِّيَ الأغنية الأثيرة لدى الفتاة، أو يُطلِقُ **أتوافقين على الزواج مني؟** في السماء بواسطة الألعاب النارية. كنتُ أبحثُ عن فكرة، عن أمرٍ يُبهِرُها. ثم، من دون إنذار، قطعَت علاقتَها بي».

شخصيّاً، كنتُ دائماً أجدُ طلبات الزواج المفرِطة غريبة بعض الشيء، بل مجنونة. غير أنني أحرصُ على ألاّ أقول له هذا.

«ستجد امرأة أخرى، سايمن». أنا واثقة من هذا.

«صحيح؟»، يُوجِّهُ إليّ نظرةً ذات معنى. «من النادر أن ألتقيَ شخصاً أشعرُ أني قد أقمتُ معه رابطاً حقيقياً».

أقول لنفسي إن الوقت قد حان لأحسم معه الموضوع: «سايمن. . . أرجو ألّا تجدني مغرورة، لكن بما أننا نتحدث بصراحة، فإني حريصة على أن تكون الأمور واضحة بيننا. أنا أُعِزُّكَ كثيراً، لكنني لا أبحثُ عن علاقة جديدة الآن. يكفيني ما يشغلني».

«أجل، بالتأكيد»، يُجيبُ في الحال. «لم أظنّ أبداً أنّ. . . لكننا بخيرٍ معاً، أليس كذلك؟ باعتبارنا صديقين؟».

«أجل». أبتسمُ لأعبِّرَ لهُ عن امتناني للباقته.

«ومع ذلك»، يُضيفُ سايمن، «أراهِنُ أنكِ ستكونين مستعدةً للزواج بمجرد أن يشير لك مونكفورد بفرقعة من أصابعه».

أعقدُ حاجبَيّ. «لا، بالتأكيد لن أفعل».

«كنتُ أمزحُ. في الواقع، أنا أصاحِبُ فتاةً بين الفينة والأخرى. تسكنُ في باريس. وأُفكِّرُ في الانتقال للعيش هناك لأتمكن من رؤيتها أكثر».

ثم ينتقل الحديث إلى مواضيع أخرى، في جوٍّ مريح. أنتبه إلى أنني كنتُ أحنُّ إلى هذا الجو: هذه الطِّيبة، وهذا الحوارُ المتحضِّرُ، المختلف كل الاختلاف عن حضور إدوارد المُهَيْمِن.

وفي الأخير، يسألُ سايمن: «أترغبين أن أبقى هنا هذا المساء، جين؟ فوق الكنبة، طبعاً. إن كان هذا يُطَمْئِنُكِ. . .».

«هذا لطفٌ منك. لكننا لا نخشى شيئاً، أنا وهي». وأُرَبِّتُ على بطني. «أنا وحدبتي».

«طيّب. ربما في مرة أخرى».

13. يوجد غالباً اختلافٌ كبير بين الأهداف التي أرسُمها لنفسي والنتائج.

نعم ○ ○ ○ ○ ○ كلا

الآن: جين

أستيقظُ متعبةً، كأني طالعةٌ من غيبوبة. من دون شكّ بسبب الكمية القليلة من الخمر التي شربتها البارحة، أقول لنفسي. لم أعد معتادة على الخمر. تتقطّعُ معدتي بموجات الغثيان الصباحية وأضطرُّ إلى أن أهرعَ نحو المرحاض. ثم، في الوقت الذي أحلم فيه بحمّام منعش، يختارُ Housekeeper هذه اللحظة ليشلَّ كل شيء في البيت.

جين، المرجو أن تضعي تقويماً من 1 إلى 5 للتأكيدات الآتية، 1 يناسبُ «متَّفقة تماماً» و5 تناسب «غير متَّفقة نهائياً».

بعض وظائف البيت قد عُطِّلَت إلى حين استكمال التقويم.

«تبّاً لك»، أقول. لا أملكُ القوة على الاضطلاع بهذا الآن. لكنني في حاجة إلى الاستحمام. أُلقي نظرةً على السؤال الأول في القائمة.

لو أن أبنائي يحصلون على نتائج سيّئة في المدرسة، هل سيكون وصفي بالأمِّ السيئة وصفاً صائباً؟

نعم ○ ○ ○ ○ ○ كلا

أضعُ علامة على الخانة المتوسطة. وفجأة أتوقّفُ. أنا شبه متأكدة من أن في السابق لم تُطرح أسئلة تتعلّقُ بالكفاءات الأبوية.

أتكون هذه الاستمارةُ اعتباطية؟ أم إن الأمر يتعلق بشيء آخر: نوع من النقد المُشَفَّر من لدن Housekeeper؟

وبينما أواصِلُ استعراضَ الأسئلة، أقوم بملاحظة أخرى. أُدرِكُ الأمورَ بشكل مختلف. إن مجرد الإجابة عن أسئلة هذه الاستمارة يُذكِّرني بأن العيش هنا هو امتياز، مقصورٌ على بعض المختارين، وأن مغادرة هذا البيت سيُشَكِّلُ لي تمزُّقاً لا يقلُّ قسوةً عن فقداني لإيزابيل. . .

أستردُّ نفسي، مفزوعة. كيف أمكنني أن أفكِّر بهذه الطريقة، ولو للحظةٍ واحدة؟

أتذكَّرُ ما كان قد قالهُ الدليلُ لمجموعة التلاميذ الذين أتوا لزيارة البيت. **ربما لم تنتبهوا إلى ذلك، لكنكم الآن تسبحون في مزيج مُرَكَّب من الموجات ما فوق الصوتية المريحة.**

هل تكون أسئلة Housekeeper جزءاً من عمل وَنْ فولغيت ستريت؟

أتَّصِلُ بالإنترنت بفضل الواي فاي الخاص بالجار وأرقُنُ إحدى الأسئلة على شريط بحث غوغل. النتيجة فوريةٌ: مقال علمي نُشِرَ في مجلة طبية غامضة، **مجلة علم النفس الإكلينيكي**.

إن أسئلة أداةِ تقويم نزعة الكمال يقيسُ مختلف أنواع نزعة الكمال المَرَضية، من بينها نزعة الكمال الشخصية، والمستوى العالي لما يُنتَظَرُ من الآخرين، والحاجة إلى التقدير، والتخطيط لكل شيء (هوس النظام والترتيب)، والاجترار (الحاجة إلى التحليل الفائق)، والسلوك القهري، والصلابة الأخلاقية...

أقرأُ المقال محاولةً أن أفكَّ شفرةَ لغته التقنية. ويبدو أن هذه الأسئلة قد صُمِّمَت في البداية من لدن علماء النفس بغاية تشخيص نزعة الكمال المَرَضية، من أجل علاجها. أتساءلُ في البداية إن كانت هذه هي الحالة هنا: هل يراقب البيتُ صحّتي النفسية بالطريقة نفسها التي يتحكَّمُ بها في دورات نومي، ووزني... إلخ؟

ثم أُدرِكُ أنه يوجدُ تفسيرٌ آخر.

لا يستخدمُ إدوارد هذه الاستمارةَ من أجل علاج نزعة الكمال لدى المكترين، بل على العكس، ليزيد من وطأته. يحاول أن يتحكّمَ ليس في محيطنا فحسب، والطريقة التي نعيش بها فيه، ولكن أيضاً في أفكارنا ومشاعرنا الأكثر حميمية.

ستستمرُّ هذه العلاقة ما دامت مثالية بشكلٍ مطلق...

أرتعدُ. أتكونُ نتيجة سيئة في اختبار القياس النفسي هي التي حدَّدت مصيرَ إيما؟

أستكملُ الاستمارةَ بوضع العلامات على التي أعتقدُ أنها ستمنحني أفضل نتيجة. وعندما أنتهي، يعود حاسوبي إلى الاشتغال، وترجعُ الأضواء.

أنهضُ، مرتاحة لقدرتي أخيراً على التوجّه إلى الحمّام. لكن،

بينما أصعدُ السلَّم، يطرأُ مشكلٌ. الأضواءُ تومِضُ. وحاسوبي يتوقف قبل أن تكتمل إعادةُ تشغيله. يبدو أن كل شيء يتوقف. ثم. . .

وأنا أنظرُ نحو الأسفل، أرى شيئاً يظهرُ فوق شاشة حاسوبي. كأنه فيلم، ولكنه ليس فيلماً.

يحيِّرني الأمرُ، فأعودُ إلى النزول. إنها صورة لي، صورة متحركة، هنا بالضبط، في هذه الحجرة. عندما أقتربُ من الشاشة، تبتعدُ الخلفيةُ.

الكاميرا توجد **خلفي**.

أرفعُ حاسوبي وأديرُهُ. تُظهِرُ الشاشةُ الآنَ وجهي وليس رأسي من الخلف. أستعرضُ الجدارَ أمامي بهذه الوضعية، إلى أن تشير الشاشةُ إلى أنني أواجه الكاميرا.

ولكن لا يوجد شيء على الجدار. قد يكون ثقباً في حجم رأس دبّوسٍ في الحجر الباهت، لا غير.

أضعُ الحاسوبَ وأُغلِقُ النافذة في الشاشة. توجد خلفها نافذةٌ أخرى بصورة أخرى. ثم أخرى، وأخرى كذلك. تُظهرُ جميعُها أرجاء مختلفة من وَنْ فولغيت ستريت. أُغلقُها واحدة تلو الأخرى، وأنا أحرصُ على أن أسجِّلَ، قبل الإغلاق، أمكنةَ وجود الكاميرات. تُظهِرُ الأولى الطاولةَ الحجريةَ من زاوية مغايرة. والثانيةُ موجَّهَةٌ نحو باب الدخول. وتُصوِّرُ الثالثةُ الحمّامَ. . .

حجرة الحمّام. من دون ستار. مقصورة رشّاش الماء مُشرَعَةٌ تماماً. لو تكون هذه لواقطُ البيت، فمن ذا الذي يستطيع الولوج إليها؟

أضغطُ من جديد. الكاميرا الأخيرة مُثبَّتةٌ فوق السرير مباشرة.

أشعرُ برغبة في التقيؤ. كل تلك المرات التي كنتُ أُحِسُّ فيها أني مراقَبةٌ... كان الأمرُ صحيحاً.

وليس فوق سريري فحسب. بل حتى في المطبخ، لا بدَّ أننا كنَّا في وسط مجال رؤية الكاميرات.

أرتعشُ من رأسي إلى أخمص قدمَيّ. أنا حانقة. فجأة، تحت تأثير اهتياج الهرمونات، يتحوَّلُ قرفي إلى غضب شديد.

إنه إدوارد من صنع هذا. ثبَّتَ الكاميرات في بنية وَنْ فولغيت ستريت نفسها. لماذا؟ بسبب نزعة التلصّص؟ أم كانت تلك طريقة أخرى لتمَلُّكِ كل لحظة من حياتي؟ أنا واثقة من أن الأمر غير قانوني... ألمْ يُرسَل أحدُهم إلى السجن مؤخراً لأنه صوَّرَ شخصاً من غير علمه؟

ثم أقولُ لنفسي إن إدوارد ما كان ليترك أبداً هذا الصنف من التفاصيل للمصادفة. أستعرضُ بريدي الإلكتروني إلى أن أجد رسالة كاميلا المرفقة ببنود وشروط وَنْ فولغيت ستريت. وأكتشفُ في الأخير، في عَقد الكراء، بخطٍّ صغيرٍ، البند الذي أبحثُ عنه.

... بما في ذلك، وليس هذا فحسب، الصور الفوتوغرافية والمتحرّكة...

تعبُرُ ذهني فكرةٌ أخرى. إدوارد صمَّمَ هذا البيتَ، لكن كلَّ التكنولوجيا هي من عمل شريكه، ديفيد تييل. وإن كنتُ أجدُ صعوبة كبيرة في أن أتصوَّرَ إدوارد متلصِّصاً بواسطة التكنولوجيا الدقيقة، لا أستطيعُ أن أقول الأمر نفسه عن تييل.

ودون أن أنتظر أن يسكن عني الغضب، أذهبُ لآخذ معطفي.

الآن: جين

لا أُتعِبُ نفسي بطلب موعد. أنتظر ببساطة في بهو لاروش إلى أن يتجمّع مستخدَمو شركة مونكفورد، حاملين في أيديهم أقداح القهوة والساندويتشات، حول المصاعد، وأتبعهم. وعندما أصلُ إلى الطابق الرابع عشر، أخرجُ معهم.

«إدوارد غير موجود»، تقول لي السمراء الرائعة في الاستقبال، بعد أن تستعيد زمامَها من الدهشة.

«إنما أريد أن أقابل ديفيد تييل».

تبدو أكثر اندهاشاً من السابق. «سأرى إن كان متاحاً». تبحث عن رقم المكتب في آيبادها. وأُدرِكُ أن التكنولوجيَّ لا يتلقى زيارات كثيرة.

تهجُّمي على ديفيد تييل طويلٌ، وصاخبٌ، ومليءٌ عن عمد بالسِّباب. لا أكاد أسترجع أنفاسي، لكنه ينتظرُ بهدوء أن أفرغ. يُذَكِّرُني موقفُهُ بموقف إدوارد في مواجهة زبونه، عندما جئتُ إلى هنا أوَّلَ مرة: كان يظلُّ غير مكترثٍ أمام غضب ذلك الرجل.

«هذا سخيف»، يُجيبُ عندما أتوقفُ أخيراً. «أعتقد أن وضعكِ يجعلُكِ تقومين بِرَدِّ فعلٍ مبالَغٍ فيه».

لم يكن من السهل عليه أن يختار أفضل من هذا ليجعلني أنفجر من جديد. «أولاً، أنا لستُ مريضة، أيها الأبله. وثانياً، اعفني من تعاطفكَ. أعلمُ ما رأيتُهُ. أنت تتجسَّسُ عليّ، لا تستطيعُ إنكار الأمر. بل إنه مكتوبٌ في هذا العَقد اللعين!».

يهزُّ رأسهُ. «لقد طلبنا منكم بالفعل أن تُوقِّعوا تنازلاً. ولكن لنحميَ أنفسنا فحسب. لا أحد يستطيعُ الولوجَ إلى الصور التي تلتقطها تلك الكاميرات، باستثناء برنامج التعرّف إلى الوجه. لكي يتمكّنَ البيتُ من تتبُّعِ تحركاتك، لا غير».

«وماء الرشّاش الذي ينتقلُ من الساخن إلى البارد ليُفزعني؟ لا تقل لي إن الأمر يتعلّقُ بالتعرّف إلى الوجه».

يعقد حاجبَيه. «كنتُ أجهلُ وجودَ مشكل مع الرشّاش».

«لكن ليس هذا هو الأهمّ. ماذا كانت تصنعُ تلك الكاميرات عندما قُتِلت إيما؟ لا بدَّ أنها سجّلَت ما حدث».

يتردَّدُ قبل أن يُجيبَ. «الاتصالاتُ كانت مُعطَّلة في ذلك اليوم. مشكلٌ تقنيٌّ. سوء حظ».

«أنت لا تنتظرُ مني أن. . .»، أقولُ في اللحظة التي يُفتَحُ فيها البابُ، مدفوعاً بعنفٍ من قِبَلِ إدوارد مونكفورد الذي يقتحمُ المكتبَ.

«ماذا تفعلين هنا؟»، يقول لي.

لم يسبق لي أن رأيتُهُ بهذا القدر من الغضب.

«إنها تطلبُ معطيات وَنْ فولغيت ستريت المتعلِّقة بالسيدة ماتيوس»، يشرح تييل.

يحمرُّ وجهُ إدوارد من الغضب.

«هذا يكفي. أريدُ أن تُغادري، أتفهمين؟»، في تلك اللحظة لا أفهمُ إن كان يقصد مكتبه أم وَنْ فولغيت ستريت. ثم يُضيفُ: «نحن نستدعي شرطَ العقوبة. لديكِ خمسة أيامٍ لمغادرة البيت».

«ليس من حقِّكَ أن تفعلَ هذا».

«لقد خرقتِ على الأقل عشرة بنود مُقَيِّدة. ستكتشفين أنَّ من حقِّنا أن نفعل هذا».

«إدوارد... ما الذي تخافُ منه؟ ماذا تحاول أن تُواري؟».

«لستُ خائفاً من أيِّ شيء. لكنني ضجرتُ من أن تتجاهلي رغباتي باستمرار. بصراحة، أجدُ مُسَلِّياً أن تتّهميني بأني مهووسٌ بإيما ماتيوس بينما من الواضح أنّكِ أنتِ من لا تستطيعين الفكاك منها. لماذا لا تنسين هذه الحكاية؟».

«أنتَ أهديتَها عِقدي، أُجيبُ بالغضب نفسه. إن تكن بريئاً كما تدَّعي، لماذا أصلحتَ عِقدها لتُهديني إياه؟».

ينظر إليَّ كأنه يقف أمام مجنونة.

«أهديتُكُما عِقدَين متناظرَين لأنني أحبُّ كثيراً لون تلك اللآلئ، هذا كلّ ما في الأمر».

فجأة، أجدني أسألُ: «هل قتَلْتَها، إدوارد؟ بصراحة، يبدو لي أن هذا ما حصل».

«من أين تأتين بهذا؟»، يُجيبني مندهشاً. «من ذا الذي حشر في ذهنكِ هذه الفكرة الجنونية؟».

«أريدُ جواباً».

أحاولُ أن أتحكَّم في ارتعاش صوتي.

«لن تحصلي على أيِّ جواب. والآن، اغربي من هنا».

تيبل لا يقولُ شيئاً. وينظر إدوارد بغضب إلى بطني عندما أنهضُ لأنصرف.

الآن: جين

لا خيار لي إلّا أن أعود إلى وَنْ فولغيت ستريت. غير أني ألِجُ البابَ بكثير من الخشية، مثل ملاكمٍ مهدودٍ يتقدَّمُ نحو الحلبة من أجل جولة جديدة.

لا يفارقني الإحساسُ بكوني مراقَبة، وأني يُتَسلَّى بي. تحدُثُ أعطابٌ صغيرة في البيت، هنا وهناك. ترفضُ مكابس كهربائية أن تعمل. وتزداد قوةُ الأضواء، ثم تتعطَّلُ. وعندما أرقُنُ «استوديو للكراء» في محرِّك بحث Housekeeper، يُوجِّهُني إلى مواقع نساء زانيات. وعندما أريدُ أن أنصتَ إلى الموسيقى، ينتقي النِّظامُ اللحنَ الجنائزيَّ لِشوبان. ينطلقُ الإنذارُ المضادُّ للاقتحام من دون سبب، ويجعلني أنتفضُ من الخوف.

أصرخُ باتجاه السقف: «توقَّف عن هذا السلوك الصبياني!».

صمتُ الحجرات الفارغة هو الجواب الوحيد، الساخر.

أُمسكُ بالهاتف.

«سايمن»، أقولُ. «إذا كان عرضُكَ لا يزالُ قائماً، فأنا راغبةٌ في أن تأتي لتُمضيَ الليلة هنا».

«ما الذي يحدُثُ، جين؟»، يسألني في الحال، قلقاً. «تبدين مفزوعة».

«لا، لستُ مفزوعةً»، أكذبُ. «لِنَقُلْ إن هذا البيت يُصيبني بالجنون. ليس في الأمر ما يُقلِق، أنا واثقة. لكن سيكون من الأفضل أن تكون هنا».

الآن: جين

«لقد أتيتُ ما أن تمكَّنْتُ من ذلك»، يقول سايمن وهو يضعُ حقيبة سفرٍ بجانب الباب. «هذا من محاسن أن يعمل المرء لحسابه الخاص. يمكنني أن أعملَ هنا مثلما أفعلُ في ستاربكس». ينظرُ إليَّ ويتوقّفُ. «جين، أنتِ واثقة من أنكِ بخير؟ تبدين في حالة سيّئة».

«سايمن... عليّ أن أُقدِّمَ لك اعتذاري. منذ البداية، وأنتَ تؤكِّدُ أنَّ إدوارد قتَلَ إيما وأنا أرفضُ أن أُنصِتَ إليك. لكنني أبدأُ بالاعتقاد أن...»، أتردَّدُ، وأجدُ صعوبة في أن أنطق هذه الكلمات بصوت مرتفع. «أبدأُ بالاعتقاد أنّكَ قد تكون على حقّ».

«لا تحتاجين إلى الاعتذار، جين. ما الذي جعلكِ تُغيِّرين رأيَكِ؟».

أُحَدِّثُهُ عن الكاميرات المُخبّأة في الجدران ومواجهتي مع تييل.

«وفي الأخير بصقتُ في وجهه ما عندي»، أقولُ. «اتَّهمتُ إدوارد بأنه أهداني عِقدَ إيما».

يتطلَّعُ إليّ سايمن، وقد انعقدَت أساريرُ وجهه فجأةً. «وكيف كان ردُّ فعله؟».

«لقد أكَّدَ أن الأمر كان يتعلق بعِقدَين مختلفَين».

«هل استطاع أن يُثبتَ ذلك؟».

«لم يُحاول حتى أن يفعل. طردني فحسب»، أرفعُ كتفَيّ باستسلام. «أمامي خمسة أيام لأجدَ مسكناً آخر».

«يمكنكِ أن تسكني في بيتي، إن شئتِ».

«شكراً. لكنني أثقلتُ عليكَ بما فيه الكفاية».

«لكننا سنبقى دائماً صديقَين، أليس كذلك؟ أرجو ألّا تنسيني لمجرد أن ترحلي من هنا».

«طبعاً لا»، أقولُ، وقد أزعجني ما يُظهرُهُ من عاطفة. «لكنني أواجِهُ الآن ورطةً أخلاقية». أشيرُ إلى الطاولة حيث يوجد العِقد، ملفوفاً في داخل حُقِّهِ ذي شكل المحار. «لقد دفعتني قصةُ العِقد إلى أن أنظر إلى ثمنه. يبلغُ ثمنُهُ في الحقيقة نحو ثلاثة آلاف جنيه».

يرفعُ سايمن حاجبَيه.

«مبلغُ ضمانٍ جيِّد من أجل شقّة»، يقولُ.

«تماماً. لكني أعتقد أنَّ عليّ أن أعيدهُ إلى إدوارد».

«لماذا؟ إذا كان قد اختار أن يُقدِّمَ لكِ هديّةً فاخرة، فهذه مشكلةٌ تَخُصُّهُ».

«أجل، لكن... لا أريدُ أن يعتقد أنني أهتمُّ بثمنه فحسب. للأسف، أنا في حاجة إلى هذا المال». **ولا أريدُ أن يحتقرني أكثر،** أقول لنفسي.

«أن يُشكِّل لكِ هذا ورطةً أخلاقية يُخبِرُ كثيراً عن شخصيتكِ جين. ما كانت غالبيةُ الناس لتتردَّدَ ثانية واحدة».

يبتسم لي سايمن. اختفى التوتُّرُ الذي ظهر عليه قبل قليل، عندما تحدَّثتُ عن إدوارد واللآلئ. لماذا صار عصبيّاً فجأةً؟ ما الذي كان يخشاه؟

تعبرُ فكرةٌ ذهني، تفصيلٌ صغيرٌ جدّاً، لكنه شديد الوضوح.

لو كان سايمن على صواب وعِقدي هو بالفعل العِقد الذي أهداهُ إدوارد في السابق إلى إيما، فهذا يعني أن أحد صفوف اللآلئ يجب أن يكون به لآلئ أقل من الصفَّين الآخرين. غير أنني وأنا أفحصُهُ الآن، تبدو لي الصفوفُ الثلاثةُ متطابقةً تماماً.

ينزلقُ إصبعي فوق صفِّ اللآلئ الأعلى وأنا أَعُدُّ بسرعة. أربع وعشرون لؤلؤة.

وأربع وعشرون لؤلؤة كذلك بالنسبة إلى الصفِّ الثاني.

وبالنسبة إلى الصفِّ الثالث.

إدوارد إذاً كان يقول الحق. العِقد الذي أهداني إيّاهُ ليس هو العِقد الذي أهداه إلى إيما. فالسيناريو الذي قدّمَهُ، والذي يقضي بأنَّ إدوارد قد قَتل إيما ثم جمَعَ كلَّ اللآلئ المبعثرة باستثناء واحدة، لم يحدث أبداً.

أو لعلّهُ قد حدثَ مع سايمن.

تَلِجُ هذه الفكرةُ دماغي، وقد اكتملَ بناؤها. ماذا لو أنَّ كلَّ شيء قد حدثَ تماماً مثلما رواهُ سايمن. . . لكن الفاعل هو وليس إدوارد؟

ليس لديكِ أيُّ دليل، أقولُ لنفسي.

ومع ذلك، لم أعد شديدة الارتياح لفكرة أن يقضي هذا الرجلُ الليلة هنا.

خصوصاً أني أقومُ بملاحظة أخرى: لا يحدث أيُّ خللٍ تقنيٍّ في البيت عندما يكون سايمن موجوداً هنا. الصنابير تعملُ، والمطبخُ كذلك، وHousekeeper يظلُّ متاحاً. لماذا؟

أيكون هو أصلُ جميع تلك الأعطاب؟

كان تيبل قد بدا محرجاً أمام اتهاماتي. لكنه كان حائراً أيضاً. وأشار إلى مشكل تقنيٍّ غامض. هل كان منزعجاً لأنه كان يعرفُ أنَّ شخصاً آخر يملك القدرة على الولوج إلى أنظمة وَنْ فولغيت ستريت؟

أأكونُ قد أخطأتُ على طول الخطّ؟

14. أحاولُ ألّا أبيِّنَ للناس ما أفكِّرُ فيه حقيقةً.

نعم ❍ ❍ ❍ ❍ ❍ كلا

الآن: جين

«جين؟ أنتِ بخير؟».

يفحصني سايمن بعناية.

«أجل، أجل». أستردُّ زمامَ نفسي وأبتسم في وجهه. «أنتَ لطيفٌ حقاً بمجيئك. لكن ما كان عليك أن تُحضر حقيبة. لقد بعثت إليَّ صديقتي مِيَا رسالة قصيرة. ستأتي لتقضي الليلة هنا».

«أليس لديها أطفال؟ وزوج؟».

في نغمة صوته تعاطفٌ واضح.

«بلى، ولكن...».

«إذاً هم في حاجة إليها. وبما أنني الآن هنا... ثم إن الأمر سيكون كما في الماضي».

«في الماضي؟ كيف هذا؟»، أسألُ بارتياب.

«أجل، أنا وأنتِ. هنا، معاً».

«لم يكن ذلك «في الماضي»، سايمن».

لا تخفتُ ابتسامتُهُ. «ليس الأمر بالبعيد جدّاً. بالنسبة إليّ على الأقل».

«سايمن. . »، لا أعرفُ كيف أقولُ له هذا. «أنا لستُ إيما. لستُ مثلها في أيِّ شيء».

«لا، بكل تأكيد. أنتِ، أولاً، شخصٌ أفضل».

آخذُ هاتفي من فوق الطاولة.

«ماذا تفعلين، جين؟».

«يجب أن أصعد لوضع العِقد في مكانه في الطابق».

«أنا أتكفَّلُ بذلك»، يمدُّ يدَهُ. «أنتِ حاملٌ. يجب أن تُريحي نفسكِ».

«أحسُّ أنني بخير تماماً».

فجأةً، تُواتيني فكرةٌ. بدأ سايمن في التلميح إلى حملي قبل أن يلاحظ ذلك أيُّ شخص آخر. **أغلبُ الأخصائيين يعتبرون أن امرأة حاملاً يمكنها أن تشرب كميةً قليلة من الكحول في الأسبوع الخامس عشر تقريباً.** أنَّى له أن يعلمَ عدد أسابيع حملي؟

أتقدّمُ لأمُرَّ أمامهُ. ويحتفظُ بيده ممدودة، لكني أتجاهلها.

«انتبهي في السلَّم!»، يقول لي وهو يتابعني بنظره.

أُرغمُ نفسي على التأنّي، وأنا أردُّ على تحذيره بإشارة من يدي.

المكان الوحيد، باستثناء الرّدهة، الذي يملكُ باباً هو خزانة عاملة النظافة. أتسلَّلُ إليه وأُغلِقُ البابَ بالمكانس.

أحاولُ أن أتّصلَ بمِيَا. **فشلٌ في الاتصال.**

«تبّاً»، أقولُ بصوت مرتفع. «عليك اللعنة».

إدوارد مونكفورد. **فشلٌ في الاتصال.**

الشرطة. **فشلٌ في الاتصال.**

وعندما أنظُرُ إلى شاشة هاتفي، ألاحظُ ألّا وجود لتغطية.

وبصعوبة، أتمكّنُ من أرتفع إلى الفضاء تحت السقف وأرفعُ الهاتفَ إلى أعلى ما يمكن. لا وجود لأيِّ إشارة، هنا أيضاً.

«جين؟»، ينادي عليّ سايمن من الأسفل. «أنتِ بخير، جين؟».

«عُدْ إلى بيتكَ، سايمن! لستُ على ما يُرام».

«آه، أنا آسف. سأطلُبُ طبيباً».

«لا، لا حاجة إلى ذلك. أنا أحتاجُ إلى بعض الراحة فحسب».

أسمعُ صوتَهُ يقتربُ في السلَّم.

«جين؟ أينَ أنتِ؟ هل أنتِ في الحمّام؟».

لا أُجيبُ.

«طق طق... لا، أنتِ لستِ في الحمّام. تلعبين الغميضة؟».

يُصدر بابُ الخزانة صريراً عندما يدفعُهُ من الخارج.

«لقد وجدتُكِ!»، يصيح بمرحٍ. «هيّا، اخرجي من هنا الآن، حبيبتي».

الآن: جين

«لن أخرجَ من هنا»، أقولُ عبر الباب.

«هذه سخافة. لا نستطيع أن نتحدّث بهذه الطريقة».

«أطلبُ منكَ أن تنصرف، سايمن. وإلّا، سأطلبُ الشرطة».

«مستحيل. لقد ثبّتُّ آلةً صغيرةً تمنعُ الاتصال عن الهاتف المحمول. وحتى عن الاتصال بالإنترنت عبر الواي فاي».

لا أُجيبُ. أُدركُ شيئاً فشيئاً أن الأمر أخطر ممّا كنتُ أخشى. لقد خطَّطَ لكلِّ شيء.

«كلُّ ما كنتُ أريدُهُ هو أن أكون معكِ»، يقول. «لكنكِ لا تزالين تُفضِّلين مونكفورد، هيه؟».

«ما علاقة مونكفورد بكل هذا؟».

«إنه لا يستحقُّكِ. مثلما كان لا يستحقُّها. غير أن الأشخاص الأخيار لا ينالون أبداً الفتيات الخيّرات، هيه؟ يخطفُهُنَّ الأوغادُ من صنفه».

«سايمن، لديَّ إشارة في هاتفي. أطلبُ الشرطة...»، أتّخذُ نبرةً مفزوعة، «ألو، الشرطة؟ أرجوكم... أنا موجودة في وَنْ فولغيت ستريت في هندون. يوجد شخصٌ في بيتي يُهدِّدُني».

«هذا ليس دقيقاً تماماً، حبيبتي. أنا لم أُهدِّد أحداً».

«خمس دقائق؟ طيب، بسرعة من فضلكم!».

«مُقنِعٌ جدّاً. تُتقنين الكذب، جين. مثل جميع النساء العاهرات اللواتي عرفتُهُنَّ».

أنتفضُ عندما يبدأ بركل الباب بقوّة. تنطوي المكانسُ لكنها لا تنكسرُ. أكادُ أفقدُ وعيي من الرّعب.

«هذا لا يهمُّ، جين»، يستأنفُ كلامه، مُجهَداً. «لديَّ الوقتُ كلّه».

أسمعُهُ ينزلُ. تنصرمُ دقائق طويلة. أشُمُّ رائحة قديد خنزير مقليّ. وعلى الرغم من أن الأمر قد يبدو عبثيّاً، فإن فمي يتحلّبُ لتلك الرائحة.

أتفحَّصُ داخلَ الخزانة بنظري لعلّي أجدُ وسيلةً أخرى يمكنني استعمالُها. يقعُ نظري على الأسلاك التي تمرُّ على طول الجدار: شرايينُ وَنْ فولغيت ستريت وأعصابُهُ. أبدأُ بسَحبها، بشكل عشوائيٍّ. ولا بدَّ أنّي أحدثتُ ردَّ فعلٍ ما، لأنَّني فجأة، أسمعُ سايمن يصعد.

«ذكيٌّ جدّاً، جين، لكن مُزعجٌ أيضاً، يجب أن أعترف. هيّا، اخرجي، الآن. لقد أعددتُ الطعامَ».

«اذهب إلى حالكَ، سايمن. ألا تفهم؟ يجب أن تنصرف. أنا جادّةٌ فيما أقول».

«كأنّكِ إيما عندما تغضبين». أسمعُ صوت سكّين تكشطُ إناءً وأتخيّلُهُ جالساً القرفصاء، من الجهة الأخرى من باب الخزانة، وهو منهمكٌ في أكلِ ما طبخهُ. «كان عليّ أن أقول لها «لا» مرّاتٍ أكثر. كان عليّ أن أكون أكثر سلطويّة. كان هذا دائماً هو مشكلتي. أنا

متعقِّلٌ أكثر من اللازم. ولطيف أكثر مما ينبغي»، يفتحُ قنينةً. «كنتُ أظنُّكِ، قد تكونين لطيفة أنت كذلك، وأن الأمر قد يختلف هذه المرة. لكن لا».

«ديفيد تيبل! إدوارد! النجدة!».

أصيحُ بأعلى صوتي.

«لا يستطيعان سماعك، جين».

«بلى. إنهما يراقباني».

«هذا ما اعتقدتِ؟ أخشى أن تكوني قد أخطأتِ. أنا من كان يراقبكِ. كنت تُشبهينها لدرجة كبيرة. إني مغرمٌ بكِ منذ مدة طويلة جدّاً».

«هذا ليس حُبّاً»، أقولُ مفزوعةً. «لا يمكن للحبِّ أن يكون من طرفٍ واحدٍ».

«الحبُّ دائماً من طرفٍ واحد، جين»، يقولُ بحزن.

أحاولُ أن أحتفظَ بهدوئي. «لو أنك تحبني، لأردتَ أن أكون سعيدة. وليس محبوسة هنا، أرتعدُ من الخوف».

«أريدكِ أن تكوني سعيدةً، أكيد. معي. لكن إن لم يكن في وسعي أن أحصلَ عليكِ، لن أسمح لذلك الوغد بأن يهنأ بكِ بدلاً مني».

«أُكرِّرُ لكَ الأمر: لقد قطعتُ علاقتي به».

«أجل، هذا ما كانت تقوله»، يبدو متعباً. «فقمتُ بإخضاعها لاختبار. اختبار بسيط. فأرادَت أن تسترجعه. هو. وليس أنا. لم أكن أريدُ أن تسير الأمورُ على هذا النحو، جين. كنتُ أريدُ أن تقعي في حبّي. لكن في الظروف الراهنة، هذا هو الحلُّ الأمثل».

أسمعُ صوت سحّابٍ: إنه يفتحُ حقيبته. ثم صوت سائلٍ في

صفيحة. وتتسرّبُ بُقعةٌ سوداء تحت باب الخزانة. تنتشر رائحةُ البنزين.

«سايمن! توقف!».

«لا أستطيعُ، إيما»، صوتُهُ متقطِّعٌ، وأَجَشُّ، كأنه سيجهش بالبكاء. «لا أستطيعُ أن أسمح بحدوث هذا».

«الرحمة، سايمن. فكِّر في ابني. وإن تكن تكرهني، فكِّر في الجنين».

«آه، طبعاً أُفكِّرُ فيه! الدَّعيّ الصغير بن الدَّعيّ الدّنِس. طفلُهُ. لا، أبداً!» يُحرِّكُ الصفيحةَ مرّةً أخرى. «سأُضرمُ النار في هذا البيت اللعين. لن يرضيهُ الأمرُ، هيه؟ وسأضطرُّ إلى أن أحرقكِ معه، إن لم تخرجي من هناك. لا تُرغميني على فعل هذا، جين».

جميعُ مواد الصيانة التي تحيط بي شديدة الاشتعال. ألقي بها الواحدة تلو الأخرى في الفضاء تحت السقف، ثم أرتفعُ لأندَسّ فيه أنا كذلك. أنظُرُ إلى هاتفي: دائماً من دون إشارة.

«جين! آخر فرصة... اخرجي من هناك وكوني لطيفةً معي. تظاهري بأنكِ تحبينني، قليلاً فقط. تظاهري، هذا كلُّ ما أطلبُهُ منكِ».

أتقدّمُ تحت السّقف وأنا أستنيرُ بهاتفي. توجد عوارض خشبية في كل مكان. عندما ستصلُ النارُ إلى هذا المكان، لا شيء سيستطيعُ إيقافَها. وإخالُ أنني أتذكَّرُ أن الموت في حرائق المنازل ينتج في البداية عن الاختناق بالدخان.

أمشي على شيء رخوٍ. حقيبةُ النوم القديمة. وتنقدحُ حقيقةٌ في ذهني. ليس إيما التي كانت تنامُ هنا. كان سايمن. كان قد احتفظ

ببعض أغراضها وببطاقة معالجتها النفسية. ربما كان يفكر في أن يطلب المساعدة. لو أنه فعل ذلك...

«جين؟»، يصيح من الأسفل. «جين؟».

في تلك اللحظة أرى حقيبتي، تلك التي كنتُ قد خبَّأتُها هنا. مقرفِصةً، أُخرِجُ علبةَ ذكريات إيزابيل. أُداعبُ تلك القطعَ بيدٍ مرتعشة: القماط الذي كانوا قد لفُّوها فيه، وقالب يديها وقدمَيها الصغيرتَين المصنوع من الجبس.

هذا كلُّ ما تبقّى منها.

لقد تخلّيتُ عنكما. عن كليكما.

أجثو على ركبتَيّ، يداي ملتصقتان ببطني وأُرخي دموعي.

15. ابنتُكِ تَغْرَقُ في البحر. وبينما تُسرعين إلى نجدتها، تكتشفين نحو عشرة أطفال آخرين، أبعد منها قليلاً، يعانون من الخطر نفسه. يمكنكِ أن تُنجي ابنتَكِ في الحال أو أن تُسرعي إلى نجدة المجموعة بكاملها، الأمر الذي قد يتطلّبُ وقتاً أطول. ماذا تختارين؟

- ❍ تُنقذين ابنتكِ
- ❍ تُنقذين الأطفال العشرة الآخرين

الآن: جين

لن أستطيع أن أقول كم وقتاً قضيتُ محبوسةً هنا، أبكي. لكنني عندما أتوقّفُ، لا أشمُّ أيَّ رائحة احتراق. لا أشمُّ سوى رائحة البنزين الكريهة.

أُفكِّرُ في سايمن، في مكان ما تحتي، منهمكٌ في التباكي هو كذلك، بطريقة تثير الشفقة، على حاجته إلى الحنان.

وأقول لنفسي: **لا**.

لستُ إيما ماتيوس، المتقلِّبة والضعيفة. أنا أُمٌّ دفنَت طفلاً وتحملُ آخرَ في بطنها.

كم سيكون سهلاً أن أبقى في هذه العِلِّيَّةِ، وأن أُسْلِمَ نفسي لسلبيّة الحزن الرقيقة. أن أتمدَّدَ وأنتظرَ أن يمرَّ الدخان عبر العوارض ليغمرني ويقضي عليّ.

أُقرِّرُ أمراً مخالفاً.

تدفعني غريزةٌ بدائيةٌ إلى أن أهبَّ واقفةً. كأنني في حالة مَسٍّ، وأنزلُ من جديد إلى الخزانة مروراً بالفتحة. وأُزيلُ المكانسَ التي تُغلقُ البابَ، من دون ضوضاء.

العِقد لا يزال في جيبي. أُخرِجُهُ. أكسرُ الخيوطَ وأستلُّ اللآلئ في كفِّي.

أفتحُ الباب، بكل رفقٍ.

لا يمكن التعرُّفُ إلى وَنْ فولغيت ستريت. الجدرانُ مكسوَّةٌ بالغرافيتي. والوسائد والطنافس مبقورةٌ. وتنتشر فوق الأرضية شظايا الأواني المكسورة. وتُغطّي النوافذَ آثارٌ حمراء تُشبِهُ الدَّمَ. وأشُمُّ، خلف رائحة البنزين القويّة، رائحةَ الغاز.

«سايمن؟»، أقول وسط البيت الصامت.

يظهر عند أسفل السلَّم، كأنه ينبعثُ من الفراغ.

«جين! كم أنا فرحٌ».

«أستطيعُ أن أُعوِّضَها».

لم أُخطِّط للأمر، لكنه يبدو لي الآن بوضوح؛ أعرفُ ما يجبُ أن أقول، وتخرجُ الكلماتُ من فمي، من دون تردُّد، ولا ارتعاش.

«إيما»، أقولُ. «إيما الوديعة، تلك التي كنتَ تُحبُّها. سأكون إيماكَ، ثم ستتركني أنصرفُ. توافق؟».

يتطلَّعُ إليَّ من الأسفل، من دون كلام.

أحاول أن أتخيَّلَ طريقة كلام إيما، ونبراتها.

«أواه»، أقولُ وأنا أنظُرُ من حولي. «لقد خرَّبتَ هذا البيتَ تخريباً، هيه، حبيبي؟ يجبُ أن يكون حبُّكَ لي عظيماً لتصنع كلَّ هذا، سايمن. لم أكن أعلمُ أنَّكَ واقعٌ في الهوى إلى هذا الحدّ».

يتعاركُ الارتيابُ في عينَيه ضدّ شعور آخر. السعادة؟ الحبّ؟ أضعُ يدي على بطني.

«سايمن، هناكَ أمرٌ يجبُ أن تعلم به. أنا حامل. ستكون أباً. أليس هذا أمراً رائعاً».

يتحرّكُ متراجعاً فأرتعدُ؛ أشعرُ أني قد بالغتُ في الأمر. **الدَّعيّ الصغير بن الدَّعيّ الدَّنِس.**

أستأنفُ حالاً: «هيّا نتمدَّد، سايمن. لدقائق قليلة فحسب. سَأَدْلِكُ ظهركَ ويمكنك أن تَدْلِكَ ظهري. سيكون الأمر مريحاً، هيه؟ مداعبة صغيرة جميلة».

«أجل، جدّ مريحة»، يقول بصوت تخنقه الرغبةُ، وهو يصعدُ السلَّم.

«أتريدُ أن تستحمَّ؟».

يهزُّ رأسهُ، ثم يقسو شيءٌ ما في نظرته. «أنتِ كذلك».

«سأذهبُ لأجلبَ برنسَ الحمّام».

أتوجّهُ نحو الغرفة وأنا أحسُّ بعينَيه تتابعني. أفتحُ بابَ الخزانة وآخذُ بُرنساً معلَّقاً فوق شمّاعة.

أسمعُ الماءَ يسيلُ. يجب أن يكون تحت الرشّاش. لكني عندما أستديرُ، أجدُهُ قد عاد إلى المكان نفسه، ويواصلُ مراقبتي.

«بعدَكِ»، يقول.

أبتسمُ وأتوجَّهُ نحو الحمّام.

«لا أستطيعُ، إيما»، يقول فجأة.

أحسبه في البداية يتحدّثُ عن هذه التمثيلية.

«ماذا تقصد، حبيبي؟».

«لا أستطيعُ أن أخسركِ. لا أستطيعُ أن أسمح لكِ أن تكوني تلك المرأة التي ترغبُ في رجالٍ آخرين ولكن ليس فيَّ أنا».

يتلفّظُ هذه الكلمات بنبرةِ ترنيمةٍ غريبةٍ، مثل أغنية تدور في حلقة داخل دماغه، منذ مدة جدّ طويلة لدرجة أن الكلمات فقدت كلَّ معنى.

«لكني إنما أريدكَ أنتَ حبيبي. ولا أحد غيرك. تعال، سأُريكَ».

فجأةً يُجهشُ بالبكاء، ويُخفي وجهه بين يديه. أنتهزُ فرصتي. أتسلَّلُ أمامه لأنطلق نحو السلَّم، هذا السلَّم الخطير حيث لاقَت إيما حتفَها. أكاد أتعثَّرُ في الدرجة الأولى لفقدان توازني بسبب بطني الثقيل، لكنني أستندُ إلى الجدار بيدٍ، وأتمكَّنُ من استعادة توازني. وتطأ قدماي الحافيتان الدرجاتِ الحجريةَ المألوفةَ بثقةٍ. ينطلقُ سايمن يلاحقني وهو يُزمجر في غضب. ويتمكّنُ، لا أعرفُ كيف، من أن يشدّني من شعري ويجذبني إليه. فأرمي بحفنة اللآلئ في وجهه. لا يكاد يُصدِرُ ردَّ فعلٍ. لكنه وهو ينزل على الدرجة اللاحقة، يضعُ قدميه فوق اللآلئ، الخطيرة مثل الكريات، وتنطلقُ رجلاهُ في اتجاهَين مختلفَين. ترتسمُ الدهشةُ والرّعبُ فوق ملامح وجهه، ثم يسقط في الفراغ. يصطدم أوّلاً جسدُهُ بالأرضية، ثم يليه رأسُهُ في فرقعةٍ يهتزُّ لها قلبي. تتدحرجُ اللآلئُ فوق درجات السلَّم مثل شلّالٍ وتتساقطُ حول جسده المصلوب، والمُعوَجّ. أظلُّ للحظةٍ واثقةً من أنه لا يزالُ حيّاً، لأنه ينظر إليَّ بثبات، باديَ الفزع، ويبحثُ عني، رافضاً أن يستسلم. ثم ينتشرُ الدّمُ من حول رأسه وتنطفئ نظرتُهُ.

الآن: جين

أحاولُ مرة أخرى أن ألتقطَ إشارةً، لكن جهاز التشويش الذي ثَبَّتَهُ سايمن لا يزال يعمل على ما يبدو. سأضطرُّ إلى الذهاب عند الجيران لأطلب سيارة الإسعاف. لكن لا داعي للعجلة. عيناهُ المُفَتَّحتان ساكنتان ورأسُهُ محاط بهالةٍ من الدّم الأحمر الغامق.

أنزلُ السلَّم بحذرٍ وأعبُرُ الصالون وأنا أتفادى بعناية اللآلئَ التي تنتشر فوق الأرضية، ويدي فوق بطني في حركة وقائية. يقودني طريقي قربَ النوافذ الكبيرة. وتقريباً من دون وعيٍ، أتوقّفُ وأمسحُ بكمِّ بُرنُسي أشكالَ الغرافيتي الدامية. تمَّحي بسهولة، ليظهر انعكاسُ وجهي في الظلام الممتدِّ في الطّرف الآخر.

كلُّ هذا سيختفي، أقولُ لنفسي. كل هذا الخليط، هذه الفوضى السطحية. والدّمُ وجسدُ سايمن سيختفيان قريباً بدورهما. وسيستعيد البيتُ مظهرهُ الطّاهر. مثل كائن حيٍّ يطردُ شظيّةً. وَنْ فولغيت ستريت قد شفا نفسه بذاته.

يغمرني شعورٌ بالطمأنينة، والسلام. أتأمّلُ وجهي في الزجاج الغامق، وأشعرُ أن البيتَ قد قَبِلَني؛ ها نحن كلانا، كلُّ واحد منّا بطريقته، غَنِيّان بالوعود.

16. مستخدَمٌ في السكك الحديدية، مسؤول عن تحويل سكّة الحديد، يأخذُ معه ابنه إلى العمل، في خرقٍ للقانون. ويأمره ألّا يقتربَ من السكّة. بعد ذلك بقليل، يرى قطاراً يقتربُ، لكن قبل أن يتمكّنَ من تحريك المحوِّل، يكتشفُ ابنه وهو يلعب فوق السكة. الولد بعيد جدّاً، لا يسمعُهُ. إذا لم يُحرِّك المستخدَمُ المحوِّلَ سينزاحُ القطارُ عن السكة، متسبِّباً في العديد من الضحايا، لكنه إذا قام بتغيير السكة، سيقتُلُ القطارُ بكل تأكيد ابنَهُ. في الحالتين معاً ليس أمامه سوى ثوانٍ معدودة ليَجْرِيَ كي يُحذِّرَ سائقَ القطار أو ابنَهُ. لو كنتِ مكانه، ماذا تفعلين؟

- ❍ تقومين بتحريك المحوِّل
- ❍ لا تُحَرِّكين المُحَوِّل

الآن: جين

لا أَلِدُ في مسبح صغير، مع شموع مزدوجة وجاك جونسون يغني في آيبادي. أحصُلُ، بدل هذا، على عملية قيصرية بعد أن اكتُشِف، على إثر تحليل عادي، مانعٌ صغيرٌ في معدة طفلي، مشكل يسهلُ علاجُهُ بواسطة عملية بعد الولادة. الحمد لله، لكن ذلك كان كافياً لترجيح كفّة ولادةٍ طبّية.

يحرصُ الدكتور غيفورد كثيراً على أن يشرح لي جميع الآثار المحتملة ويتوجب عليّ أن أخضع لفحوصات جديدة. بعد الوضع، آخُذُ توبي بين أحضاني مدّةَ دقائق معدودة، رائعة، وحلوة-مُرَّة، قبل أن يأخذوهُ مني من جديد. لكن المُولِّدةَ وضعَتهُ فوق صدري واستطعتُ أن أُحِسَّ بلثته الصلبة تقبضُ على حلمتي، وهذا الإحساسُ العميقُ بالسَّفِّ يتغلغلُ في أعماقي، في اللحظة التي ينبجسُ فيها اللبنُ. يتدفّقُ حبّي فيه، وتنطوي عيناهُ الزرقاوان، كبيرتَين وسعيدتَين. يا له من وليد باسمٍ. تشرحُ لي المولِّدةُ أن هذه لا يمكنُ أن تكون ابتسامةً حقيقيةً، ليسَ في هذه المرحلة، قد يكونُ غازاً أو التواء في الشفة. لكنني أعلمُ أنها مخطئة.

يحضر إدوارد لزيارتنا في اليوم الموالي. لقيتُهُ مرّاتٍ عديدة أثناء الشهور الثلاثة الأخيرة من حملي، جزئياً بسبب كل التعقيدات ذات الطابع القضائي التي تَلَتْ موتَ سايمن، لكن أيضاً لأنه امتلكَ الجرأة ليعترفَ بأنه كان عليه أن يتنبّهَ إلى الخطر الذي كان يُمثِّلُهُ سايمن. نحن الآن مرتبطان لمدة طويلة برابطة الأبوّة، وإن أمكننا بعد ذلك أن نصبح أكثر من هذا... هذا احتمالٌ لا يستبعدُهُ إدوارد بشكل تامٍّ، أقول لنفسي أحياناً.

لا أزال نائمة عندما يصلُ، وتأتي الممرضة تسألني إن كنتُ أسمحُ بدخوله. طبعاً. أريد أن يرى ابننا.

«ها هو»، أقولُ، غير قادرة على إخفاء ابتسامة. «أُقدِّمُ لكَ توبي». غير أني أشعر بغضب شديد. لا تزالُ عادةُ الخضوع لأحكام إدوارد، وطلب موافقته، مستحكمة فيَّ ولم تفقد، لقرب العهد بها، قوّتَها.

يأخذُ توبي بين ذراعَيه ويفحصُ وجهه المدوَّر والبهيج.

«متى علمتِ بذلك؟»، يسألُ.

«بأنه مصابٌ بمتلازمة داون؟ عندما اكتشفوا المانعَ. ما يقاربُ ثلثَ الرضّع الذين يُعانون من رتق الاثني عشريّ مصابون بمتلازمة داون».

وهكذا تبيَّنَ أن اختبار الحمض النووي الصادق تسعاً وتسعين في المئة لم يكن غير قابل للخطأ. لكني، بعد أن مرَّ وقعُ الصدمة والحزن، ابتهج جزءٌ مني لكون الاختبار قد أخطأ. فلو علمتُ قبل ذلك لكنتُ بالتأكيد قد أجهضتُ، وعندما أنظر الآن إلى توبي، بعينيه اللوزيتي الشكل، والأنف المعقوف، والفم الجميل ذي الشفتين

الدقيقتين الشبيهتين بشفتَيّ، لا أرى كيف كان لي أن أضعَ حدّاً لهذا الوجود.

ومن الطبيعي أن دوافع القلق ليست قليلة. لكن كل طفلٍ مصاب بالتثلّث الصبغيِّ هو مختلفٌ، ويبدو أننا محظوظان. يملكُ القوة العضلية نفسَها لدى طفل آخر. تنسيق فمه عندما يمسكُ بحلمتي في فمه جيّدٌ. وليس لديه مشكل في البلع، ولا وجود لتشوّهاتٍ في القلب ولا في الكليتين. أنفُهُ، على الرغم من أنه معقوف، فهو أنف إدوارد. وعيناه، على الرغم من شكلهما الطويل، لا تختلفان كثيراً عن عينيَّ.

إنه جميلٌ.

«جين»، يقول إدوارد، «قد لا يكون هذا لا الوقت المناسب ولا المكان الأنسب، للحديث عن هذا، لكن يجب عليك أن تتخلّي عنه. هناك أناسٌ يتبنّون هذا الصنفَ من الأطفال. أناسٌ يختارون هذه الحياة. أناسٌ مختلفون عنكِ».

«لن أستطيع، إدوارد. لن أستطيع».

مدَّةَ لحظةٍ، أرمُقُ، في أعماق عينَيه، لمعة غضبٍ. وشيء آخر، ربما: شرارة خوفٍ جدّ صغيرة.

«يمكننا أن نحاول من جديد»، يواصلُ كلامه، كأنه لم يُنصت إليَّ. «أنا وأنتِ... سنحذفُ الماضي تماماً من حسابنا. وهذه المرة، يمكننا أن ننجح. أنا واثق من ذلك».

«لو أنّكَ كنتَ صادقاً معي في موضوع إيما، لكنّا قد تمكّنّا معاً من إنجاح الأمر».

ينظر إليَّ بحدَّةٍ. أرى بوضوح أنه يتساءلُ إن كان الأمر من أثر الأمومة، إن أكن قد اكتسبتُ ثقةً في النفس لأنني أصبحتُ أمّاً.

«كيف كان لي أن أُحدِّثَكِ عنها في الوقت الذي لم أكن أنا نفسي أفهم شيئاً؟»، يقولُ إدوارد. «أنا شخصٌ مهووس. وكانت إيما تُحبُّ أن تستفزَّني، وتشعرُ بالإثارة كلمّا تمكّنَت من أن تُخرجني عن طوري وفقدتُ التحكّمَ في زمام أمري، وأنا كنتُ أمقُتُ نفسي في تلك اللحظات. فانتهى بي الأمرُ إلى أن قطعتُ علاقتي بها، غير أن الأمر كان قاسياً بالنسبة إليّ، قاسياً جدّاً».

يُضيفُ، بعد تردُّدٍ:

«ذات يوم، سلَّمتني رسالةً. كانت تقول إنها تريد أن تشرح موقفها. فيما بعد، طلبَت مني ألّا أقرأها. غير أني كنتُ قد قرأتُها».

«هل احتفظتَ بها؟».

«أجل. تريدين أن تَرَيها؟».

«لا». أنظُرُ إلى وجه توبي النائم. «يجبُ أن نُرَكِّزَ على المستقبل».

يغتنِمُ هذه الجملةَ. «ستُفكّرين في الأمر إذاً؟ أنتِ مستعدّة للتخلّي عن هذا الطفل؟ أعتقدُ أنني يمكن أن أُصبِحَ أَباً من جديد، جين. أشعرُ أني مستعد. لكن علينا أن نختار الطفلَ الذي نريد أن يكون لنا. طفلٌ **نُخَطِّطُ له**».

أختار هذه اللحظة لأقولَ الحقيقةَ لإدوارد.

الأمس: إيما

كنتُ أعلمُ ذلك حتى قبل أن ألقاك، عندما تحدَّثَ الوكيلُ العقاريُّ عن قواعد عَقد الكراء. تريد بعضُ النساء، غالبيَّتُهُنَّ من دون شكٍّ، أن يُعشَقنَ ويُحتَرَمْنَ. يُرِدْنَ رجلاً لطيفاً وودوداً، يهمسُ لهنَّ بكلمات الحنان والحبِّ. حاولتُ أن أكون تلك المرأةَ وأن أُحبَّ ذاك الرجلَ، غير أني عاجزةٌ عن ذلك.

وعندما هرقتُ القهوةَ فوق تصاميمكَ، أصبح الأمرُ يقيناً. حدثَ شيءٌ ما، دون أن أستطيع أن أقول ما هو بالتدقيق. كنتَ قاسياً وقويّاً، لكنك سامحتني. كان سايمن يسامح، هو كذلك، لكنه كان يفعل عن ضعف. منذ تلك اللحظة، صرتُ ملكاً لكَ.

لا أريد أن أُعشقَ. أريدُ أن يُتَحَكَّمَ فيَّ. أريدُ رجلاً رهيباً، رجلاً يكرهُهُ الرجالُ الآخرون ويحسدونه، ولا يعبأ بكلِّ ذلك. أريدُ رجلاً من حجر.

مرةً أو مرّتين، خلتُ أني وجدتُهُ، فلم أستطع عنه فكاكاً. وعندما استغلّني ذانِكَ الرجلان قبل أن يتخلّيا عني، قبلتُ الأمرَ باعتباره الدليل على أنهما فعلاً من كانا يدّعيان.

أحدُهما كان سول. في البداية، كنتُ أجدُهُ مُقرفاً. شخصٌ

دنيءٌ متبجِّحٌ وكريهٌ. وبما أنه كان متزوِّجاً بأماندا، كنتُ أقولُ إنه كان يتعاطى غزلاً عابراً. فدخلتُ في لعبته، وكان ذاك خطئي. جعلني أشرب. وكنتُ أعرف مقصدَهُ، لكنني كنتُ أعتقدُ أنَّهُ سيتوقّفُ عندما تصلُ الأمور حدّاً معيّناً. لكنه لم يتوقّف، ولا أنا توقّفتُ على ما يبدو. كأنَّ الأمرَ كلَّه إنما يحدُثُ لشخص آخر. أعرفُ أنَّ الأمرَ سيبدو غريباً، غير أني كنتُ أشعُرُ كأني أودري هيبورن تُراقِصُ فريد آستر. وليس مجرد ملحقة صحافية ثملة تقوم بأفعال قذرة مع موظف أعلى في ظروف كئيبة أثناء فترة تدريبٍ في الشركة. احتجتُ إلى وقتٍ لأُدرِكَ أني لا أحبُّ ما يصنعُ، ولا الكيفيةَ التي يصنع بها ذلك، غير أن الأوان كان قد فاتَ. كلما حاولتُ أن أوقِفَهُ، ازدادَ شراسة.

بعد ذلك، كرهتُ نفسي. كنتُ أعتقد أني مُذنبة لأني سمحتُ له أن يستدرجني إلى ذلك الوضع. وكنتُ أكرهُ سايمن الذي لم يكن يريد أن يرى سوى حسناتي، بينما لم أكن قطعاً تلك المرأة التي يتخيّلُها. كان من السهل جدّاً الكذبُ على الجميع بدلَ قول الحقيقة.

إذاً، كما ترى، اعتقدتُ أني أخيراً وجدتُ فيكَ كائناً لطيفاً وقويّاً في الآن عينه. سايمن وسول مجتمعان بالقدر نفسه. وعندما اكتشفتُ أنّكَ كانت لديكَ أسرار، أنتَ أيضاً، ابتهجتُ للأمر. اعتقدتُ أننا يمكن أن يُصارِحَ أحدُنا الآخر بصدقٍ، وأن نتخلَّصَ من كلِّ أثقال ماضينا. لا أتحدَّثُ عن الأشياء، ولكن عن كل تلك الأمور التي نُثقِلُ بها رؤوسَنا. فهذا ما فهمتُ وأنا أعيشُ في وَنْ فولغيت ستريت. يمكن للمرء أن يخلق المحيطَ الأكثر نقاءً والأكثر صفاء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لكن ذلك لا يُغني عنه شيئاً إن كانت الفوضى في رأسه. وهذا ما يبحثُ عنه كلُّ واحدٍ، أليس كذلك؟ شخصٌ يتكفَّلُ بكلِّ الرُّكام الذي يسود عقلَنا.

17 . أن يكذب المرء وأن يبقى سيِّدَ الوضع، أفضلُ من قول الحقيقة من دون القدرة على التنبُّؤ بالنتائج.

نعم ❍ ❍ ❍ ❍ ❍ كلا

الآن: جين

«كان الأمرُ مُخَطَّطاً»، أقولُ.

يعقد إدوارد حاجبيه. «أهذه مزحة؟».

«لِنَقُل إن في الأمر عشرة في المئة من المزاح».

يبدأ في الاسترخاء، لكنني أُضيفُ:

«أريدُ أن أقول بهذا إن الأمر كان مخطَّطاً له من **لَدُني أنا**. وليس من لدنكَ أنتَ». أَشُدُّ على توبي في قعر ذراعي. «علمتُ ذلك في المرة الأولى التي رأيتُكَ فيها في مكتبك، كي أكون صادقةً معك. علمتُ أنّكَ يمكنُ أن تكون أباً لطفلي. جميلٌ، وذكيٌّ، ومبدِعٌ، وحاسِمٌ... كنتَ بالتأكيد أفضل مَنْ يمكنني العثور عليه».

«أكذبتِ عليَّ؟»، يسألُ غير مُصدِّق.

«ليس تماماً. لنقلْ إنني لم أشرح لكَ كلَّ شيء».

خصوصاً عندما أجبتُ عن السؤال الأول من استمارة الترشّح، ذاك الذي كان يطلب مني أن أضعَ قائمةً بكلِّ ما يبدو لي ضروريّاً في حياتي. عندما تفقدُ مركزَ كونِكَ، لا يمكنُ أن يُعيدَ تكوينَك سوى شيء واحدٍ.

لم أكن لأنجح في ذلك في مكان آخر غير وَنْ فولغيت ستريت.

الندمُ، والشكُّ، والتردُّدُ. . . في العالم العادي، كان كلُّ هذا سيشلُّني. لكن في هذا الفضاء العاري، الصّارِم، لم يزدد عزمي إلا تعاظماً. كان هذا البيتُ متعاطفاً مع خططي، وكلُّ قراراتي كانت لها بساطة الخسارة الخالصة.

«كنتُ أعلمُ أن شيئاً ما يحدثُ»، شحبَ وجهُ إدوارد. «كان Housekeeper قد اكتشفَ اختلالاتٍ، ومعطياتٍ عبثيةً. وكنتُ أحسبُ ذاكَ من أثر هوسِك بموتِ إيما، ذلك البحث السخيف الذي كنت تحاولين إخفاءهُ. . .».

«لم أكن أهتمُّ بإيما، ليس بها شخصيّاً. لكن كان عليَّ أن أعلمَ إن كنت تشكِّلُ خطراً على طفلنا».

والمفارقة، أن موتَ سايمن هو الذي سمح لي أن أُجيبَ عن هذا السؤال. عثرتُ في ملفِّهِ عن إيما على اسم جون واتس، رئيس العمّال عند بناء وَنْ فولغيت ستريت. كان قد ذَكَرَهُ شريكُ إدوارد السابق، توم إليس، عندما التقت به إيما، لكنها ظلت وفيّةً لطريقتها الفوضوية في التفكير، فلمْ تُتابع الأمرَ. كان رئيسُ العمّال قد أكَّدَ ما كنتُ متأكِّدةً منه من قبل: موتُ زوجة إدوارد وابنه لم يكن سوى نتيجة حادثٍ مأساويٍّ، لا غير.

«لا أشعرُ بأيِّ أَلَمٍ من أجلكَ، إدوارد»، أقولُ. «لقد حصلتَ تماماً على ما كنتَ ترغبُ فيه: علاقة قصيرة، قوية ومثالية. وكلُّ رجلٍ ينامُ مع امرأةٍ وفق هذه القواعد يجب عليه أن يعلم أنه يمكن أن تترتَّبَ عن ذلك نتائج».

لا أشعرُ كذلك بأيِّ إحساسٍ بالذنب بسبب سايمن. عندما أغلقتُ صندوقَ ذكريات إيزابيل، كنتُ أعلمُ في تلك اللحظة أني سأقتُلُهُ إن استطعتُ. قبل أن تصلَ الشرطةُ كنتُ قد جمعتُ جميع

اللآلئ ولم يعد هناك ما قد يوحي بأنني قد اضطلعتُ بأيِّ دورٍ في ذلك الموت الحزين.

هل كان فعلي مقبولاً؟ أو على الأقل مفهوماً؟

من هي المرأة التي تستطيعُ أن تؤكِّدَ أنها ما كانت لتفعل ما فعلتُ لو كانت في وضعيتي؟

«آه، جين». يهزُّ إدوارد رأسَهُ. «جين. هذا... رائع. أثناء كل ذلك الوقت الذي كنتُ فيه أعتقدُ أني أتحكَّمُ فيكِ، كنتِ أنتِ التي تتحكّمين فيّ أنا. كان عليّ أن أشكَّ في أنكِ كنتِ تُخفين فكرةً ما في رأسكِ».

«هل ستستطيعُ أن تُسامحني؟».

«مَنْ أفضل مني يعلمُ ما معنى أن يفقد المرء ولده؟ نكونُ مستعدين لفعل أيِّ شيء، ولو كان مُدَمِّراً، ولو كان شرّاً، لنُخَفِّفَ عنّا الألم. ربما نحنُ متشابهان أكثر ممّا كنا نعتقد».

بعد أن يقول هذا يظلُّ صامتاً لحظاتٍ طويلة، هائماً في أفكاره.

«بعد موت ماكس وإليزابيث، فقدتُ صوابي لبعض الوقت»، يستأنفُ كلامه أخيراً. «كنتُ مجنوناً من شدّة الإحساس بالذنب، والحزن، كنتُ كارهاً لنفسي. سافرتُ إلى اليابان، لأحاول الهربَ من ذاتي، لكن ذلك لم ينفع في شيء. وعندما عدتُ، اكتشفتُ أن توم إليس كان يُخَطِّطُ لاستكمال بناء وَنْ فولغيت ستريت وأنْ ينسبه إلى نفسه. لم أكن لأتحمَّلَ أن يخرجَ البيتُ الذي صمّمناهُ أنا وإليزابيث معاً، بيتُ أسرتنا، إلى النّور بتلك الطريقة. فقمتُ بتمزيق جميع التصاميم وبدأتُ كلَّ شيء من جديد. وبكل صراحة، لم يكن يهمّني أن أعرف نوع البناء الذي كنتُ سأُشيّدُهُ في مكان البيت. وأخيراً، تخيّلتُ مكاناً في فراغ الضريح وعُقمه، لأن ذلك كان

يناسبُ وضعيَ الروحيَ في تلك المرحلة. ثم انتبهتُ إلى أني وسط جنوني أبدعتُ شيئاً خارقاً. بيتٌ يقتضي تضحيةً من لدن جميع الذين سيعيشون فيه، لكنّه سيكافئهم أضعافاً مضاعفة. بعض الأشخاص، مثل إيما، سَحَقَهُم البيتُ. لكن يوجدُ أشخاصٌ آخرون، مثلكِ، يزيدُهم البيتُ قوّةً».

يتفحّصُني بإلحاح. «ألا تفهمين إذاً، جين؟ لقد برهَنتِ أنّكِ جديرةٌ بهذا البيت. وأنّكِ تملكين ما يكفي من الانضباط والصلابة لتكوني سيّدةَ وَنْ فولغيت ستريت. لهذا، أعرضُ عليكِ اقتراحاً».

لا تفارقُ نظرتُهُ عينَيّ ولو للحظة واحدة.

«إذا سلَّمتِ هذا الطفلَ ليتبنّاه أحدٌ ما... سأمنَحُكِ البيتَ. سيكون **بيتَكِ أنتِ**، وستصنعين به ما تشائين. لكن كلما انتظرتِ، صار اتخاذُ القرار أصعب. ماذا تريدين حقيقةً؟ فرصة معرفة الكمال؟ أو حياة كلّها تقضينها في الاهتمام بِ... بِ..». ويُشيرُ بحركةٍ إلى توبي. «المستقبل المرصود لكِ منذ الأمد، جين؟ أو هذا؟»

.18

- ❍ تتنازلين عن الوليد
- ❍ لا تتنازلين عن الوليد

الآن: جين

«إذا قلتُ نعم، سيكون لنا طفلٌ آخر؟».

«أعاهِدُكِ على ذلك». يستشعر تردُّدي «ليس هذا هو الحلُّ الأمثل بالنسبة إلينا فحسب، جين. إنه في مصلحة توبي كذلك. بالنسبة إلى طفلٍ مثله، من الأفضل أن يُتَبَنَّى الآن من أن يكبر من دون أبٍ».

«له أبٌ».

«لقد فهمتِني. هو في حاجة إلى أبوين قادرَين على قبوله كما هو. ولا يندمان على الطفل الذي كان يمكن أن يكون كلما نظرا إليه».

«أنتَ على حقّ»، أقولُ. «هو في حاجة إلى هذا».

أفكِّرُ في وَنْ فولغيت ستريت، في ذلك الإحساس بالانتماء وفي تلك الطمأنينة التي أشعرُ بها بين تلك الجدران. أنظُرُ إلى توبي، وأفكِّرُ في الآتي. أمٌّ عازبة، وحيدة مع طفل مُعَوَّق، مُجْبَرَةٌ على الصراع ضدّ النظام ليستفيد من العلاجات التي يحتاج إليها. حياة عذابٍ، وفوضى، وتسوياتٍ.

أو إمكانية أن أحاولَ، مرةً أخرى، أن أعرفَ شيئاً أفضل وأجمل.

يوجدُ حليبٌ مُجْتَرٌّ فوق كتف توبي. أمسحُهُ بعناية. هكذا. لم يعد هناك شيء.

أتّخذُ قراري.

سأنتزعُ من إدوارد كلَّ ما أستطيع. ثم سأتركهم يختفون جميعاً في الماضي، جميع شخصيات هذه الدراما. إيما ماتيوس والرجال الذين أحبُّوها، والذين كانوا مهووسين بها. لم تَعُدْ لهم أهمية بالنسبة إلينا الآن. لكنني، ذات يوم، عندما سيكون توبي قد كبر، سآخذُ علبةَ أحذية، من فوق الرفِّ حيثُ وُضِعَت، وسأحكي له مرةً أخرى قصّةَ شقيقته، إيزابيل مارغريت كافنديش، فتاة الأمس.

الآن: أستريد

«هذا رائع»، أقولُ وأنا أنظُرُ باديَةَ الدّهشةِ إلى الجدران المُشيَّدة من حجرٍ شديد الصفاء، وإلى الفضاء، والضوء. لم يسبق لي أبداً أن رأيتُ بيتاً لا يُصدَّقُ مثل هذا. ليس حتى في الدنمارك نفسها.

«أجل، هذا مكان استثنائيّ»، توافقني كاميلا. «في الواقع، المهندسُ الذي وضع تصميمه مشهور جدّاً. ما زلتِ تتذكّرين كلَّ ذلك الضجيج، السنةَ الماضيةَ، حول موضوع تلك المدينة الإيكولوجية في كورنويل؟».

«قصّة سكّان كانوا يرفضون الرّضوخَ لقواعد عَقد الكراء، أليس كذلك؟ ألمْ ينتهِ الأمرُ بأن طُرِدوا جميعاً في آخر المطاف؟».

«هنا أيضاً عَقد الكراء له خصوصية معيّنة»، تقولُ كاميلا. «إذا أعجبَكِ البيتُ يجبُ أن أُحَدِّثَكِ عن الأمر».

أُجيلُ عينَيّ فوق الجدران التي تبدو على أهبة الطيران، والسلَّم الذي يطفو فوق الفراغ، وهذه السكينة التي لا تُصَدَّق. يمكنني في هذا الديكور، أقول لنفسي، أن أعيد بناء ذاتي من جديد، أن أضرب صفحاً عن مرارة الطلاق وغيظه. وأسمعني أجيبُ: «أجل، أعجبني البيتُ».

«طيّب. آه، بالمناسبة..»، تتفحّصُ كاميلا الفراغَ تحت السّقف، كأنها كانت تريد أن تتفادى نظرتي. «أنا واثقة من أنكِ ستنقرين، في جميع الأحوال، هذا العنوان على غوغل، لذلك لا جدوى في أن أُخفيَ عنكِ الأمرَ. يملكُ هذا البيتُ قصةً... زوجان شابان كان يعيشان هنا. سقطت المرأةُ من السلَّم وماتَت، وهو قتلَ نفسه ثلاث سنوات بعد ذلك، في المكان نفسه تماماً. يُعتَقَدُ أنه رمى بنفسه في الفراغ عن عَمْدٍ، ليلحقَ بها».

«هذه مأساةٌ بالتأكيد»، أقولُ. «لكن المآسي في الغالب رومانسية. إن كنتِ تريدين أن تعرفي هل سيجعلني الأمرُ أتراجعُ... الجوابُ هو لا. هل يوجد أمرٌ آخر يجب أن أعرفهُ؟».

«مالِكُ البيت يتصرَّفُ أحياناً مثل مستبدٍّ. لقد قدّمتُ له عشرات المكترين المحتملين في الأسابيع الأخيرة، لكنه لم يقبل منهم أحداً».

«صدّقيني، أعرفُ كيف أُعامِلُ المستبدّين. عشتُ إلى جانب واحدٍ منهم مدَّةَ ستّة أعوام».

وهكذا، في المساء نفسه، أجدني أستعرضُ صفحات مطبوع الترشيح العديدة. كل هذه القواعد التي يجب أن أقرأها! وكل هذه الأسئلة التي يتوجّبُ عليّ أن أجيب عنها! يغريني شربُ كأسٍ ليساعدني على أداء هذه المهمّة، لكنني لم أشرب منذ ثلاثة أسابيع، الآنَ، وأحاولُ أن أصمدَ.

ضعي قائمةً بجميع الأشياء التي ترينَ أنها لا يمكن الاستغناء عنها.

أستنشقُ بعمقٍ وآخذُ قلمي.

شكر

مدَّني الكثير، الكثيرُ من الأشخاص بمساعدتهم أثناء السنوات العشر التي احتجتُ إليها لأعثرَ على الطريقة الفضلى لرواية هذه القصة. أريدُ أن أشكر بشكل خاص المنتِجة جيل غرين من أجل تشجيعاته المبكِّرة، ولورا بالمير من أجل ردود فعلها الذكية أمام نسخة أولى غير مكتملة، وتينا سيديرهولم من أجل مقاربتها الشاعرة، والدكتورة إيما فيرغوسون من أجل نصائحها في المجال الطبي، وفي مجالات أخرى.

عند Penguin Random House، أوجِّهُ كلَّ شكري وعرفاني لكات ميسياك، ليس من أجل أنها اشترت هذا الكتاب وبعثت، تقريباً في اليوم الموالي، بجزء منه من خمسين صفحة إلى زميلتها في معرض الكتاب في فرانكفورت فحسب، ولكن أيضاً من أجل شهور النقاشات المحفِّزة، والنزعة الاحترافية من دون خلل وهواية النشر التي تلت ذلك.

غير أني مدين قبل كل شيء لكارادوك كينغ ولفريقه عند United Agents: ميلدريد يوان، وميلي هوسكينس، وياسمين ماكدونالد، وإيمي ميتشيل، الذين قرأوا الصفحات الأولى من هذا الكتاب عندما كان لا يزال في تخطيطاته الأولى.

أهدي هذا الكتاب إلى ابني أولي، الذي لا يُقهَر وصاحب مرحٍ لا يُزَعزَع، وأحد الأشخاص النادرين في العالم الذين وُلِدوا بمتلازمة جوبير من صنف ب، وإلى ذكرى شقيقه البكر، نيكولا، ولد أَمْسِنا.

مكتبة
t.me/t_pdf

t.me/t_pdf

ج ب دوليني

فتاة الأمس

تبحثين عن بيت الأحلام؟ هذه فرصتك! «وَنْ فولغيت ستريت»، التحفة المعمارية الرائعة، معروضة للإيجار. غير أن هذا البيت، يجب أن تستحقّيه! يجب الانصياعُ للقواعد الصارمة التي يفرضها مهندسُهُ الجذّاب، إدوارد مونكفورد، والإجابة بانتظام عن أسئلته المربكة والمتطفّلة.

بعد انفصال مؤلم، تنتقل جين إلى هذا المنزل الفخم، رغبة منها في طيّ صفحة الماضي وبدء حياة جديدة. وبينما تزداد مطالب المهندس المشهور، يتشكَّلُ لديها يقينٌ مقلقٌ: البيتُ مُصَمَّمٌ ليُغَيِّرَ حياةَ مَنْ تعيش فيه! تكتشف أيضاً معلومة لا تقل خطورة: إيما، الفتاة التي كانت تسكنه من قبلها والتي تُشبهها بشكل لافت، لقيت فيه حتفها في ظروف غامضة.

شيئاً فشيئاً، ترى جين نفسها تسلك طريقَ الهاوية نفسه، تقوم بالاختيارات نفسها، تلتقي بالأشخاص أنفسهم، وتعيشُ في الرعب نفسه الذي كانت تعيشه «فتاةُ الأمس».

بمجرد فتحك لهذا الكتاب، ستصبح من مالكي البيت.
أو على الأصحّ، سيمتلكُكَ البيتُ.
وَنْ فولغيت ستريت سيتحكَّمُ بك.
وَنْ فولغيت ستريت سيتلاعب بك.
سينقلب يقينك شكّاً وشكُّك يقيناً.
ستنتقل من ماضي إيما إلى حاضر جين، والعكس.
ستستهويك اللعبة، بل إنكَ ستحبُّ ذلك...
... مثلك مثل مئات آلاف القراء قبلك، الذين مكّنوا هذه الرواية المشوّقة من الفوز بجائزة القراء للعام 2018.

ISBN 978-9953-68-942-5

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com

صورة الغلاف: James Brittain-VIEW / Alamy Stock Photo ©